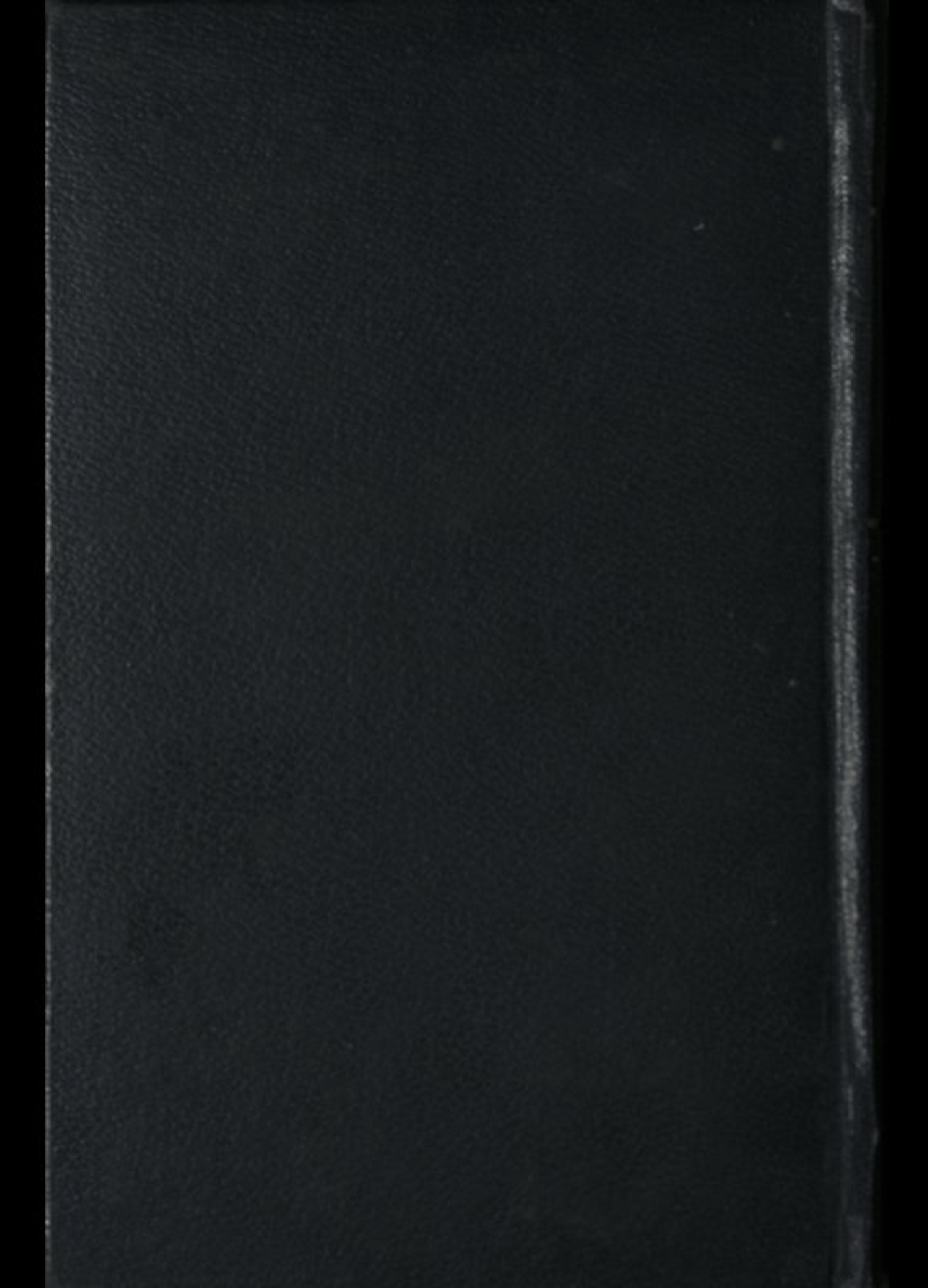




الدكتور كرنيليوس ڤان ديك

حياة

كرنيليوس فان ديك

ولادته في الولايات المتحدة في ١٣ آب سنة ١٨١٨
اول وصوله الى بيروت في ١ نيسان سنة ١٨٤٠
شروعه في ترجمة التوراة سنة ١٨٥٧
ذهابه لتنحيس صفائحها سنة ١٨٦٥
شروعه بتأسيس الكلية سنة ١٨٦٧
استعفاؤهُ منها ومن مستشفاها سنة ١٨٨٢
يوبيله الخمسيني في سوريا سنة ١٨٩٠
وفاته بالحمى في ١٣ ت٢ سنة ١٨٩٦
تمثاله في المستشفى الارثوذكسي في ٢٦ شباط سنة ١٨٩٩

طبعت بالمطبعة العثمانية في (بعبدا * لبنان) سنة ١٩٠٠

فهرس

مقدمة

العلم شيء والعمل شيء والمنفعة شيء · فربما كان علمٌ ولم يكن عملٌ · وربما كان عملٌ ولم يكن علمٌ · وربما كان علمٌ وعملٌ ولم تكن منفعة · وقد يجتمع العلم والعمل والمنفعة كما اجتمعت على اتمها في حياة فقيد المشرق استاذنا المرحوم كرنيليوس ڤان ديك الذي حوى من العلم اجله ومن العمل افضله ومن المنفعة اجزلها ومن الاخلاق اجملها

ولما كان الغرض من ترجمة المشاهير الوقوف على ماضي خبرهم والتنصح باعمالهم · اجتناء للفضائل واقتداء بالافاضل · وكان في أخبار آثار الخيرة تشويق الى الاقتداء · وعظةٌ وذكرى للعقلاء · آثرنا ترجمة حياته ليكون بتعداد مآثرها نشأةٌ للنفوس وبتذكارها طلاوة الذ من طلى الكؤوس وبطبعها خدمة تحفظ مع مؤلفاته في الطروس

كان ڤنديك اميركياً وطناً · وسورياً اقامةً وفضلاً · وعند مجيئه اخذ شفق الدور العلمي الجديد بالطلوع · وشمس

العصر السعيد بالبزوغ . وغيوم القلاقل بالانقشاع عن سمائنا . والاجانب يبتغون خيرنا وولاءنا . ويربطون مع دولتنا العلية العهود التجارية . والمواثيق السياسية فتقاطر الى شرقنا منهم التجار والعلماء . والصيادلة والاطباء . ففتحت المدارس والمستشفيات وكثر طلابُ العلوم واللغات . ومهدت الدولة سبل الاداب . وفتحت لطلاّب المعارف الابواب حتى بلغنا هذا العصر الحميدي السعيد . وتفيأنا بظل العلم العثماني المجيد

ومن اولى منا بترجمة حياته وقد سقانا من منهل الاداب العذب الزلال . وبلّغنا من العلم والطب غاية الآمال . فلذا قصدنا ان نجمع بعد عينه هذا الاثر . في عهد سلطانٍ مهّد الامور بعدلهِ . ونشرت رايات العلم بظلهِ . وجاء رجال الخير كفنديك الى سلطنته . فزرعت بزور الآداب في هذه الاقطار . واستنارت بانوار العلوم والفنون هذه الامصار لازالت ايامه باليمن موصوفة واعلامه بالنصر والاجلال محفوفة . آمين

كاتبه

اسكندر نقولا البارودي

سيرة الطيب الذكر الدكتور كرنيليوس فان ديك

قد مضى[1] على العلم في المشرق اعوام وقرون شكا فيها قلة الراغبين بهِ المقبلين عليه وكثرة الزاهدين بهِ المدبرين عنه فسمع الدكتور كرنيليوس فانديك نداءُ واجاب شكواه فلبَّاه فجاء ونحن ذوو همم هوامد واكف جوامد ومروَّات نيام فاخذ بترجمة الكتب وتاليفها وتهذيب الاخلاق وتثقيفها وتعليم الشبان وارشاد الفتيان واول ما شرع به ترجمة التوراة الشريفة الى لغتنا العربية وبعد ان كانت محفوظة في المعابد محصورة معرفتها بالنفر القليل ما عدا الرؤساء الروحيين اصبحت بعناية اهل الخير وهمة هذا الفاضل مترجمة مصححة مطبوعة مضبوطة معروضة لكل طالب قريبة من كل راغب فصارت مشهورة شائعة عزيزة المبدإ مفهومة المعنى يقرأُها المئات والالوف. ولما تحقق بنفسه افتقار سورية الى العلوم العالية وان ذلك لا يقوم الا بالمدارس الكلية وقد كانت البلاد

(١) من خطاب قدمه جامع هذا الكتاب في يوبيل الدكتور فان ديك

محرومة منها خطر له السعي في سبيل ذلك مع غيره من الافاضل فتوفقوا لفتح المدرسة الكلية السورية الانجيلية سنة ١٨٦٧ واخذ الشبان يتعلمون فيها العلوم العالية وبعضهم الطب والجراحة والصيدلة والآداب والفلسفة حتى صار ابناء هـذه المدرسة مئات يشار اليهم بالبنان ولا يخفى ما هي عليه هذه المدرسة من النفع الجزيل والخير العميم وما لهذا العلامة الفاضل من الايدي البيضاء فيها وعلى تلاميذها فمن احق بمدحه واولى بترجمة حياته وأحرى باكرامه واحترامه حياً وميتاً من تلميذ له مثلي علمه العلوم حدثاً والاداب شاباً والطب فتى وامده بالكتب والمؤلفات والنصائح والارشادات ونشطه على الكتابة والتأليف والترجمة والتصنيف وشجعه على كتابة المجلة الطبية (الطبيب) وامده بمقالاته الدرية وارائه السنية ما زاده رواجاً لدى القراء الكرام واعتباراً لدى العلماء والادباء فعليه تجرأت انا تلميذه الحقير المقر بالعجز والتقصير على تلخيص حياة عالم مثله كبير شهير وانا ارى ان هذا الموضوع يعجز عنه فطاحل الرجال وغيري اولى فيه مني على كل حال . آملاً ان يشفع لي في ذلك خلوص النية في وصف تلك الذات السنية وقد اعتمدت في ما دونت على أصح الكتب والمجلات واقوال الاصدقاء وشهادة ثقاة معاصريه من الاطباء والادباء

وليس[1] المقام مقام رثاء وتأبين والا لكتبنا رثاء استاذنا فانديك بدماء القلوب قضاء لحق واجب . واستنزفنا خزائن اللغة في وصف مناقبه واذعناه في المشارق والمغارب . وانما سيرته غرضنا لما فيها من المواعظ والحكم والارشاد الى سبل الرشاد . ومحاسن الاخلاق والشيم وخلائق المعروف وعواطف الوداد . وقد كنا جمعنا طرفاً منها ونشرنا بعضه في المجلد الثامن من المقتطف وبعضه في « سر النجاح »[2] فرأينا ان نعيد ما ذكرناه هنالك ونتوسع فيه بما يحتمله المقام ونلحقهُ ببعض ما قالته الصحف في تأبينه . ويقيننا ان القراء الكرام يتعزون عن فقد فيلسوف الشرق بما ابقى من الفضائل والفواضل . وبأن غرس المعارف الذي غرسته يمينه يبقى يانعاً نضيراً ما دامت سيرته تتلى في المدارس والمنازل وخبره يزيد العقل حكمة والنفس نشاطاً والقلب سروراً والانسان العاقل اجتهاداً واقتداء . (رحمهُ الله رحمةً واسعة)

---

(١) المقتطف جزء ١٢ سنة ١٩

(١) انظر الصفحة ٦٩٨ من السنة الثامنة من المقتطف والصفحة ٢١٥ من سر النجاح المطبوع في مصر سنة ١٨٨٦

الفصل الاول

خبر الدكتور فانديك من حين نشأ الى ان استعفى من المدرسة الكلية السورية الانجيلية

انا نفتخر (١) بشرف الانسانية ونحن نراجع اسماء الذين قاسوا المشقات حاملين علم الدين والاداب والتهذيب والتدريس الى اقاصي الارض كجدسون رسول برما وهنري مرتين مترجم الكتاب المقدس الى اللغة الفارسيَّة ومريسون مترجمهِ الى لغة الصين وكاري في الهند و بريترد بين هنود اميركا والدكتور لفنستون مكتشف الاقسام المجهولة في افريقية وهيبر في الهند و باتيسون و باطون في جزائر البرابرة والسيدة فراي التي زارت سجون كل الممالك معرّضة نفسها للامراض والضيقات شفقة على المسجونين وفلورنس نتنكال الملقبة بملاك المستشفيات بين المجاريح والمرضى في حرب القرم

ونحن نذكر شخصاً جليلاً كُتب اسمه منذ زمان طويل في دفتر الذين بذلوا حياتهم في سبيل خدمة اخوتهم البشر ومع اننا نعتبر كل الاعتبار توصية الفقيد الدكتور فان ديك بان لا ينطق عند دفنهِ بشيء من الغلو بمديحهِ لا نستطيع ان نمتنع عن ذكر

(١) من الخطبة التاريخية التذكارية التي تلاها جناب الفاضل الدكتور هنري جسب الاحد الاول والاربعاء بعد وفاة الفقيد النشرة عدد ١٥١٠ وجه ٣٩٣

نعمة الله الفائقة الظاهرة في حياته واعماله في الديار الشرقية نحو ٥٥ سنة لانهُ في ذلك تظهر عناية الله وحكمته السرمدية في اقامة فعلة في كرمه مقتدرين على العمل في الوقت الذي يعينه وفي الطريق التي يختارها لمجد اسمه تعالى ·

وُلد[1] الدكتور كرنيليوس فان ديك في ١٣ اغسطس (آب) سنة ١٨١٨ في قرية كندرَهوك من اعمال ولاية نيويورك بأميركا ووالداه هولانديان هاجرا الى الولايات المتحدة باميركا وولدا غيره سبعة هو اصغرهم · وكان في صغره يتعلم في مدرسة في قريته فامتاز بالاجتهاد والثبات وبرع في اليونانية واللاتينية حتى حاز قصب السبق على رفقائه وكانوا كلهم اكبر منه سناً · وقد نقل لنا اولاده ما سمعوه من بعض اعمامهم عن اجتهاد والدهم في صباه وكلفه بالعلم والعمل معاً وهو انه حفظ اسماء كل النباتات البرية التي تنمو في تلك النواحي وتعلم ترتيبها وتقسيمها الى رتبها وصفوفها وفصائلها وانواعها حسب نظام لينيوس النباتي الشهير وجمع رواميزها وجففها ورتبها وسماها باسمائها حتى صار عنده منبتة ذات شأن وهو صبي صغير وكل ذلك رغبة منه في العلم لا اجابة لطلب ولا امتثالاً لامر ولا تعلماً من استاذ

---

(١) المقتطف جزء ١٢ سنة ١٩

واصابت اباه مصيبة ذهبت بماله واورثته الفقر وذلك انه كفل صديقاً له على مبلغ من المال فخان الصديق وغدر فاضطر ابوه الى بيع كل ما يملكه من متاع وعقار صوناً لشرفه من العار ووفاء لدين الغادر · ولذلك لم يستطع ان يوازره الا بالنزر اليسير مما يحتاج اليه من الكتب ولوازم التعلم فكان مدة بقائه في بيت ابيه يجد الكتب بوسائط شتى فتارةً يستعيرها من رفاقه وتارةً يستأجرها بدريهمات قليلة يجمعها وتارةً يحفظ ما فيها بالسماع من قارئيها وتارةً يتذرع بالسعي في مصلحة انسان الى قراءة كتاب يقتنيه وتارة يجد و يرجع خائباً · وكان في تلك القرية طبيب كريم الاخلاق يقتني مكتبة فلما رأى اجتهاده في تحصيل المعارف وجهاده للتغلب على مصاعب الفاقة اخذته الحمية ففتح له ابواب مكتبته وامتعه بمشتهى نفسه واماني صباه · وكان فيها كتاب كيفيه الشهير في علم الحيوان فاكب على درسه ولم ينثنِ عنه حتى اغترف كل ما فيه ثم تعلم كل ما تيسر له علمه عن حيوان بلاده . ولم يمضِ عليه زمانٌ طويل حتى جرى في ميدان المعارف شوطاً يذكر فجعل يخطب في علم الكيمياء على فرقة من بنات بلاده وهو ابن ثماني عشرة سنة · وربما توهم الذين عرفوه والذين اطلعوا على مؤلفاته وسمعوا بواسع علمه انه كان كل ايامه محفوفاً بوسائط العلم والتعليم حاصلاً على ما يلزم

من معدات التأليف والتدريس حتى حصل ما حصل والف ما الف ولكن الذين عرفوا احواله حق المعرفة يعلمون انه قاسى في صغره اشق المصاعب حتى تسهل له تحصيل المعارف وانه قضى اكثر ايامه في ضنك فصار ابن خمسين عاماً وهو لا يقدر ان يبتاع الاما ندر من الكتب المستحدثة ولم يسعه الانفاق على تحصيل ما يشتهي من الكتب والجرائد والادوات العلمية الا بعد سنة ١٨٦٧

وكان ابوه طبيباً فجعل يدرس الطب في صباه عليه وكان يخدم في صيدليته فاتقن فن الصيدلة فيها علماً وعملاً ولما حصل ما تيسر له الحصول عليه عند ابيه جعل يتلقى الدروس الطبية في سبرنكفيلد ثم اتم دروسه في مدرسة جفرسن الطبية بمدينة فيلادلفيا من مدن الولايات المتحدة حيث نال الدبلوما والرتبة الدكتورية في الطب . وكان تعلمه في هذه المدرسة على نفقة ذويه فكانت مساعدتهم هذه له اساساً للاعمال العظيمة التي عملها في سورية وسائر البلدان العربية من التعليم والتهذيب والبر والخير والاحسان وفي الحادية والعشرين من عمره فارق الخلان والاوطان واتى سورية مرسلاً من قبل مجمع المرسلين الاميركيين وكان قد سبقه طبيب آخر اميركي وهو الدكتور آسا دوج الذي توفي في القدس سنة ١٨٣٥ بعد اقامته فيها نحو سنتين وكان وصول

الحكيم فانديك بعد نحو ٥ سنوات لوفاته ٠ وحل في بيروت في ٢ ابريل (نيسان) سنة ١٨٤٠ ولكن لم تطل اقامته فيها حتى قام منها بايعاز المجمع المذكور واتى القدس طبيباً لعيال المرسلين الذين كانوا فيها ايام فتوح ابرهيم باشا في بلاد الشام . فاقام فيها تسعة اشهر ثم قفل راجعاً الى بيروت حيث شرع في درس العربية وحينئذٍ تعرف بالمرحوم بطرس البستاني وكانا كلاهما عزبين فسكنا معاً في بيت واحد وارتبطا من ذلك العهد برباط المودة والصداقة وبقيا على ذلك طول الايام حتى صار يضرب المثل بصداقتهما ولما توفي البستاني كان اشد الناس حزناً على فقده حتى انه لما طلب منه تابينه خنقته العبرات وتلعثم لسانه عن الكلام وبقي برهة يردد قوله « يا صديق صباي » حتى لم تعد ترى بين الحاضرين الا عيناً تدمع وقلباً يتوجع

وجعل يدرس العربية على الشيخ ناصيف اليازجي ثم على الشيخ يوسف الاسير الازهري وغيرهما من علماء اللغة . وبذل الجهد في درسها والاخذ بجذافيرها حتى صار من المعدودين في معرفتها وحفظ اشعارها وامثالها وشواهدها ومفرداتها واستقصاء اخبار اهلها وعلمائها وتاريخها وتاريخهم . فهو بلا ريب اول افرنجي اتقن معرفة العربية والنطق بها والبيان والتأليف فيها حتى لم يعد يمتاز عن

اولادها . وبقي على ذلك الى خريف سنة ١٨٤٢ ثم انتقل الى عيتات وهي قرية بلبنان واقترن هناك بالسيدة جوليا بنت مستر ابت قنصل انكلترا في بيروت المشهورة بفضلها وحسن اخلاقها . ثم انتقل من عيتات الى قرية عبيه وهناك انشأ مع صديقه بطرس البستاني مدرسة عبيه الشهيرة وشرع من يومه في تأليف الكتب اللازمة للتدريس في تلك المدرسة فألف كتاباً في الجغرافية وآخر في الجبر والمقابلة وآخر في الهندسة وآخر في اللوغارتمات وفي المثلثات البسيطة والكروية وفي سلك الابحر والطبيعيات وقد طبع بعضها و بعضها لم يطبع. و بعد ان قضى في عبيه اربع سنوات على ما ذكرنا في التدريس والتأليف دعاه مجمع المرسلين الى صيدا وعهد في مدرسة عبيه الى المرحوم سمعان كلهون رجل اشتهر بالفضل والاستقامة والتقوى . وبقي الدكتور فان ديك مع صديقه الفاضل الدكتور طمسن في صيدا وتوابعها معلماً واعظاً مبشراً جائلاً من مكان الى مكان حتى توفي المرحوم عالي سميث سنة ١٨٥٧ فانتدب الدكتور فان ديك لترجمة التورة والانجيل مكانه

وفي سنة ١٨٤٧ تعين [١] عضواً في لجنة المرسلين ومعهُ الدكتور عالي سميث والدكتور طمسن وغيرهما ليطلبوا تعيين الدكتور

(١) النشرة عدد ١٥٥٩ وجه ٣٩٧

سميث لترجمة الكتاب المقدس من اللغتين العبرانية واليونانية الى اللغة العربية فقدموا تقريرًا بليغًا مطوّلاً اقتبسنا منه بعض الجمل التي تحسب نبوات بمستقبل الكتاب المقدس في اللغة العربية وذلك قولهم بعد المقدمة التي فيها قابلوا بين لغات بعض القبائل القليلة العدد الآخذة في الزوال واللغة العربية الثابتة ما نصهُ «ان من يترجم الكتاب المقدس الى اللغة العربية انما يفتح كنوز الاسفار الالهية لاربعين الف الف من جيلٍ ثابت غير زائل لا يفنى من قرنٍ الى قرنٍ الى نهاية الزمان · وهل يمكن المبالغة في البحث في هذا الموضوع العظيم الشأن . هل يمكن المبالغة في التعبير عن تلك القوة العظيمة التي ستنشر اوراق الخلاص الشافية على شاطىء دجلة والفرات والنيل والنيجر وتفتح ينابيع ماء حيّ في سهول سورية وقفار سبا وشبا وصحاري افريقية وتنير بنور الحياة قمم لبنان ذلك «الجبل الجيد» الذي رآهُ موسى من بعيد وطور سينا موقع اعطاء الناموس وجبل اطلس في غربي افريقية الشمالي

انهُ لا مبالغة في مشروع نظير هذا لان الافكار ليست تخيلات فارغة ولا تصورات العقول المختلة لان الذي يعطي كلام الله أربعين الف الف من الناس الذين مات المسيح لاجل خلاصهم ويكتب تفسير هذه الاسفار وكتب الفهرس وعلم اللاهوت

والمواعظ والرسائل والكتب المدرسية والجرائد الدينية وعلى الجملة يكون واسطة لاحياء الآداب المسيحية في وضع جرثومة الحياة التي بنموها تثمر اثمارًا للحياة الابدية يعمل عملاً جزيل النفع تدوم فوائده ما بين ربوات كثيرة من الناس الى نهاية القرون»

ثم شرع في ترجمة التوراة الدكتور عالي سميث سنة ١٨٤٩ وداوم على الدرس والترجمة الاستعدادية مدة ثماني سنين واستراح من اعماله في ١١ كانون الثاني سنة ١٨٥٧ وقال قبل وفاته لا يحسب انه اكمل شيئاً من الترجمة الأ عشر اصحاحات من سفر التكوين كان قد نجز طبعها تحت نظرهِ . واما الدكتور فان ديك فانتقل سنة ١٨٥١ مع الدكتور طمسن الى صيدا اذ تقرَّر عنده انهُ يسلم نفسهُ من ذلك الوقت الى التبشير وخدمة الكلمة فصرف ست سنوات في صيدا وجوارها منادياً بالانجيل خادماً المرضى معلماً جماهير من الشعب شاغلاً ايامهم ليلاً بدرس الكتاب في صيدا وجائلاً من قرية الى قرية في اتمام واجباتهِ الروحية والطبية. وفي سنة ١٨٥٣ زار مسقط رأسه في اميركا ولا انسى خطاباً تلاهُ في محفل سنوي في نيويورك في ١٢ ايار سنة ١٨٥٤ وكنت(١) حينئذٍ تلميذاً في مدرسة يونيون اللاهوتية وكان رفيقهُ في ذلك الخطاب

(١) هذا قول صاحب النشرة الاسبوعية جناب الفاضل الدكتور هنري جسب

الدكتور دوف الاسكوتلاندي المرسل المشهور الى بلاد الهند ‧ وفي
تموز سنة ١٨٥٤ رجع الى سورية وعند وفاة الدكتور سميث
سنة ١٨٥٧ تعين من المرسلين في سورية بتصديق المجمع الاميركي
وجمعية الكتب المقدسة لترجمة كتابه تعالى فشمر عن ساعد العزم
واخذ يعاني المشاق بتجشم المصاعب بتطبيق كل كلمة على اصلها حتى
تم له ذلك وكان في هذا الاثناء متوليًا ادارة المطبعة الامركية

نعم ان عالي سمث قد باشر ترجمة التوراة والانجيل من اللغتين
الاصليتين بمعاونة المعلم بطرس البستاني واتم ترجمة سفر التكوين
وسفر الخروج الأ الاصحاح الاخير منهُ وراجعهما وصححهما وترجم
اسفارًا أخرى ولكن لم يراجعها فلما انتدب الدكتور فان ديك
مكانهُ ابقى السفرين الاولين على حالهما وترجم وراجع ما بقي وعانى
في غضون الترجمة من الاتعاب ما لا يعرفه الا الذين يعرفون تدقيق
النصارى في التفتيش عن اصل كل لفظة من الفاظ كتابهم وعن
معنى كل آية من آياته ‧ وتولى مع الترجمة ادارة المطبعة الاميركية
المشهورة وحسن فيها وزاد الشكل على الحروف حتى صارت من
احسن مطابع المشرق واشهرها . وأتم الترجمة سنة ١٨٦٤ و بعثه
مجمع المرسلين الى الولايات المتحدة سنة ١٨٦٥ ليتولى امر طبعها
وعمل الصفائح بالكهربائية لها هناك فأقام في الولايات المتحدة سنتين

حتى اتم ذلك وعاد الى سورية سنة ١٨٦٧ . وليس من غرضنا الآن ان نصف هذه الترجمة التي شهد لها اعظم علماء الارض بالدقة والصحة ومطابقة الاصل وقد صارت النسخ المطبوعة منها الوفاً والوف الاوف حتى لم يبقَ مكان في المشرق الا بلغت اليه وانتشرت فيه

وكان اثناء وجوده في اميركا يدرس العبرانية في مدرسة يونيون اللاهوتية وكان الطلبة يعافون درس هذه اللغة قبل تدريسه لها و يأبون الحضور في ساعة تدريسها لصعوبتها ووعورة اسلوب التدريس . فلما شرع في تدريسها غير هذا الاسلوب ولطول باعه فيها جعل يعلمهم اياها كلغة حية لا ميتة بحيث صار الطالب يجد في درسها معنى ولذة و يرغب في تحصيلها . فتقاطر الطلبة اليه وتكاثر عددهم فلما رأت عمدة المدرسة ذلك عرضت عليه ان يتولى منصب استاذ العبرانية فيها وعينت له راتباً كبيراً فاعتذر عن قبوله قائلاً «اني تركت قلبي في سورية فلا لذة لي الا بالعودة اليها» . وفي تلك الاثناء تم امر انشاء المدرسة الكلية السورية في بيروت على نفقة جماعة من اهل الخير في الولايات المتحدة باميركا فعرضت عليه عمدتها الكبرى في اميركا ان يكون استاذاً فيها فاجابها الى ذلك ثم طلبت اليه ان يعين راتبه السنوي بنفسه فكتب ٨٠٠

ريال مع ان راتب اصغر استاذ فيها لا يقل عن ١٥٠٠ ريال وقد فعل ذلك حباً بخير البلاد ونفع اهلها

ولما وصل الى بيروت باشر ترتيب المدرسة الكلية الطبية مع صديقه الفاضل الدكتور يوحنا ورتبات . ووضعا نظاماً لدروسها وشرعا في التعليم من ساعتهما لا يحاسبان على اتعاب ولا ينتظران من احد تبجيلاً لقدرهما ومدحاً لاسميهما . بل ان الدكتور فان ديك لما رأى ان المدرسة تفتقر الى استاذ يدرس الكيمياء فيها أقبل من فوره على تدريسها حال كونه معيناً استاذاً لعلم الباثولوجيا وحده ولم يكن في المدرسة حينئذٍ من كل ادوات الكيمياء الا قضيب من زجاج وقنينة عتيقة فانفق من ماله مئتي ليرة انكليزية على ما يلزم من الادوات . ولم يكن في يد التلامذة كتاب يطالعون فيه فجعل يلقي العلم عليهم خطباً مبتدئاً بالتجارب الكيماوية ومستطرداً من الجزئيات الى الكليات على اسلوب يقرب هذا العلم من الافهام ويرسخ حقائقه في الاذهان . وقد مر علينا الآن نحو ثلاثين سنة ولا نزال نذكر اكثر ما كان يلقيه علينا من درر الفوائد لحسن الاسلوب الذي القاها به . والف حينئذٍ كتاباً مختصراً في مبادىء الكيمياء حفظناه خطاً ثم توسع فيه وطبعه على نفقته وهو يعلم انهُ لا يسترجع نفقات طبعه قبل مماته . وبقي يدرّس هذا الفن ست

سنوات متواليات و ينفق على لوازم التدريس من جيبه · وجاء استاذ الكيمياء و بقي سنتين من الزمان يدرُس العربية والدكتور فان ديك يدرّس مكانهُ مجاناً حباً بصالح المدرسة وخير ابناء البلاد ولما تولج استاذ الكيمياء اشغاله اعتزل الدكتور فان ديك عنها وترك للمدرسة كل ما انفق عليها ولم يأخذ مقابله الامئة ليرة انكليزية

ولم يقتصر على هذا التبرع بل انه تولج منصب استاذ ثالث وهو استاذ علم الفلك · وذلك ان المدرسة لم يكن عندها مال يقوم بنفقة استاذ لهذا العلم فتبرَّع بتدريسه مجاناً وألف له كتاباً مسهباً وطبعه على نفقته ايضاً كما طبع كتاب الانساب والمثلثات والمساحة والقطوع المخروطية وسلك الابحر · ولم يكن في المدرسة آلات فلكية يعتد بها فما لبثت ان شرعت في بناء مرصدها حتى ابتاع له آلات بسبعمائة ليرة انكليزية من ماله الخاص · واثث وفرش فيه على نفقته · وكان اسلوبه في تعليم الكيمياء والباثولوجيا مبنياً على العمل والمشاهدة حتى يجد الطالب فيه لذةً قلما يجدها في درس العلوم العويصة كهذا العلم

وانشأ للمرصد اسماً كبيراً حتى صار معروفاً في المشارق والمغارب مقصوداً من القريبين والبعيدين مراسلاً لاشهر مراصد الارض ولما خلفه الدكتور فارس نمر في تدريس علم الفلك الوصفي الّف

كتاباً في الفلك العملي وجعل يعلم به الطلبة على الآلات . وكان مع تدريسه علم الباثولوجيا وعلم الكيمياء وعلم الفلك يتولى ادارة المطبعة الاميركية فينقح ما يطبع فيها من الكتب ويهتم بتأليف النشرة الاسبوعية ويطبب في مستشفي ماري يوحنا حيث كان يتقاطر اليه المرضى افواجاً افواجاً حتى يبلغ عددهم الالوف في السنة . وما بقي من الوقت الذي يخصصه البعض بالنزهة والرياضة والراحة والنوم كان يقضيه في تأليف الكتب العلمية والطبية والدرس والمطالعة والتجارب العلمية وحضور الجمعيات النافعة ومراسلة العلماء في سائر اقطار الارض حتى كان اهل بيته لا يرون منهُ اكثر مما يرى منه الغريب وكل ذلك قياماً بالواجبات التي يعجز جماعة من الرجال عن القيام بها

ومن مزاياه انهُ لم يكن يؤخر الى الغد عملاً يقدر ان يعمله اليوم ولذلك كنت تراهُ معداً كل ما يطلب منه قبل زمان طلبه وكان كلما طلب منهُ اهل بيته ايام اشتغاله في المدرسة الكلية ان يستريح بين عمل وآخر ويؤخر الاشغال الى اوقاتها حرصاً على صحته يجيبهم اخاف ان يفاجئني مرض او يعارضني معارض فاكون سبب خسارة لكل من تتعلق اشغالهم ومصالحهم بي فالواجب عليَّ ان اكون سابقاً في انجاز اشغالي حذراً من ذلك . ولكثرة اهتمامه

باشغال المدرسة واشتغاله بمصالحها عن غيرها كان اصحابه يكلمونه في ذلك فلا يسمع لهم حتى صار من الاقوال الشائعة بين معارفه انك اذا رمتَ ان تكون على رضى مع فان ديك فاياك ان تشغله بشاغلٍ عن المدرسة الكلية واذا اردت ان تسر قلبه فكلمه عن المدرسة والتلامذة والمرصد والتأليف · وقد الف اثناء وجوده في المدرسة الكلية كتابه في الباثولوجيا وهو مجلد ضخم وكتباً في التشخيص الطبيعي وفي الكيمياء وفي الفلك الوصفي وفي المثلثات والمساحة والقطوع المخروطية وكلها مطبوع · والف كتاباً في الفلك العملي وآخر في امراض العينين وآخر في تخطيط السماء وقد طبع حديثاً

« قال اصحاب المقتطف »

ورأينا في تلك الاثناء انه يستحيل علينا ان نجاري الامم الغربية في العلوم والمعارف اذا اقتصرنا على ما يترجم ويؤلف من الكتب لان العلوم الحديثة جارية جرياً حثيثاً فما يؤلف فيها هذا العام يمسي بعضه قديماً في العام التالي ولا بد من جريدة تقطف ثمار المعارف والمباحث العلمية شهراً فشهراً وتذيعها في الاقطار العربية · فعقدنا النية على انشاء المقتطف لهذه الغاية ورسمنا خطته التي سار عليها منذ انشائه الى الآن ولم نختر له اسماً بل قمنا كلانا(1) وذهبنا الى استاذنا

(1) اي الدكتور يعقوب صروف والدكتور فارس نمر

الدكتور فان ديك وكان في المرصد الفلكي حيث كان يقضي اكثر اوقاته فاستشرناه بما عزمنا عليه وسألناه ان يختار لنا اسمًا له. فابرقت اسرته وجعل يشدد عزائمنا ويسهل علينا الصعاب . وقال سمياهُ « المقتطف » واجعلاه كاسمه وحسبكما ذلك . ثم كتب الى صاحب السعادة خليل افندي الخوري الشاعر المشهور وكان مديرًا للمطبوعات في سورية يطلب اليه ان يسعى لنا في جلب الرخصة السلطانية باسرع ما يمكن . ففعل ولم يمضِ شهر من الزمان حتى اتتنا الرخصة السلطانية فذهبنا وبشرناهُ بها فقال سيرا في عملكما والله معكما وانا سأشرع من هذه الساعة في كتابة بعض الفصول للمقتطف . فكتب فصول اطباء اليونان والشرق ونشرنا اول فصل منها في الجزء الثاني من المقتطف الذي صدر في غرة يوليو (تموز) سنة ١٨٧٦ . واباح لنا كل ما عندهُ من الكتب والجرائد والآلات والادوات لكي نستعملها كما نشاء من غير سؤال

وفيما هو لاهٍ باشغال التأليف والتدريس والرصد والمراسلات العلمية عما سواها من مطامع البشر نكبت المدرسة الكلية بحادث ابعد عنها اكثر اساتذتها فتركها محتملاً آلام فراقها محافظة على مبادئه . وبقي يطبب في مستشفى ماري يوحنا على جاري عادته الى ان اضطر ان يتركهُ على غير رضى منه . لكنه انما

تركه ليحيي في الوجود مستشفى طائفة الروم الارثوذكسيين الذي صار له فيه ايادٍ تذكر في الرحمة بالمسكين ومعالجة المرضى والبائسين

ووقع استعفاؤه من المدرسة الكلية موقعاً عظيماً في نفوس السوريين وغيرهم من ابناء اللغة العربية لانهم حسبوا انه اكرهَ عليه اكراهاً فجاءته الرسائل تترى من كل انحاء البلاد العربية مقرة بفضلهِ مبينة عظم منزلتهِ ومنها رسالة من دمشق الشام بامضاء الامير عبد القادر الحسيني الجزائري والسيد محمود حمزة مفتي الشام والشيخ سليم العطار والدكتور ميخائيل مشاقة وعبده بك القدسي وغيرهم وهذا نصها

« حضرة العلامة الفاضل الفيلسوف الدكتور كرنيليوس فان ديك الجزيل الاحترام

غب سؤال شريف خاطركم الكريم مع الاحترام والاعتبار الخ ... انا نحن محترمي جنابكم لدى تأملنا في استقالتكم من المدرسة الكلية التي لم تتم ولم يتم سواها من مرقيات المعارف الا بهمتكم وفضلكم ولدى تفكرنا فيما انطوبتم عليه من حسن السجايا والمزايا والمحبة لوطننا السوري الذى طالما خاطرتم بحياتكم ومصالحكم في سبيل نفعه وترقيته ولدى نظرنا في مؤلفاتكم الجمة التي اعييتم

النفس في تأليفها وفي التلامذة الكثيرين الماهرين الذين ظهروا ثمارًا لغرسكم لم يسعنا الحال ولا ارتاحت الحاسيات الا إلى اظهار الشكر لمعروفكم والاقرار بفضلكم · وجلّ ما نستطيع تقديمهُ الآن لحضرتكم حبنا وانعطاف قلوبنا ومنّتنا لكم ليعلم الغيران الدكتور كرنيليوس فان ديك لهُ المنزلة الاولى في قلب كل سوري مخلص لوطنهِ وانّ بيدهِ الاقتدار على نفع بلادنا خارج المدرسة الكلية كما كان ينفعها فيها · فبناءً عليهِ وعلى امور كثيرة سيظهرها المستقبل تبيانًا لفضلك ايها الحبيب لابناء سورية عمومًا رفعنا اليك رسالة المحبة والاعتبار سائلين الحق تعالى ان يحفظك و يبقيك طويلاً مع عائلتك الموقرة والمحبوبة عندنا التي نخص بالشكر منها شبلك الهمام الدكتور وليم ونؤمل انه لا يقلّ عنك بشيء واطال الله تعالى بقاءك »

ويلي ذلك الامضاءات

وبقي بعد تركه المدرسة الكلية مكبًا على التأليف والتصنيف ورصد الافلاك ومعالجة المرضى والاهتمام باشغالهِ في جمعية المرسلين وكان قد كلّ بصرهُ من طول السهر ومشقات التأليف ولكنهُ بقي حتى آخر ايامهِ من ابش خلق الله وجهًا والطفهم معشرًا واكثرهم انسًا يقتحم الاشغال بهمة الفتيان. ويكاتب تلامذتهُ ومريديهِ ويسعى في كل مأثرة ويسبق الى كل مفخرة كما سيجيء

الفصل الثاني


﴿ خبره بعد ترك المدرسة الكلية ﴾

قد يظنُّ لاول وهلة ان عزيمته نبث حينئذٍ عن التأليف والتصنيف والاشغال العلمية الكثيرة ۰ ولكن جاء الامر على خلاف ذلك فزال حالاً ما تولاًّه من الانقباض وبقي حتى مرضهِ الاخير من ابش خلق الله وجهاً والطفهم معشراً واكثرهم انساً يقتحم الاشغال بهمة الفتيان لان البشاشة والهمة خاتمان فطريان فيهِ فلم تغيرهما غيرُ الزمان . وابتاع نظارة كبيرة وآلات لرصد الكواكب والاحداث الجوية وظل يراقب ويرصد كلما طلب الراحة من عناء الاشغال لانهُ كان يجد في درس الطبيعة لذةً لا توصف وساعدهُ على ذلك منزلهُ في رأس بيروت من حيث موقعهُ الطبيعي واتساع اراضيهِ وزرنا (بلسان اصحاب المقتطف) ديار الشام في تلك الفترة فلم يكد يستقرُّ بنا الجلوس عندهُ حتى قال هلموا انظروا ما استحضرت من الآلات وما ربيت من النباتات وجال بنا حول منزلهِ ووجههُ يتدفق نوراً وقلبهُ حبوراً

ولم تقعده الشيخوخة عن التأليف والتصنيف والترجمة والتلخيص فألّف كتب النقش في الحجر في ثمانية اجزاء حاذياً فيها حذو جماعة من كبار العلماء الذين ألفوا كتب المبادىء باللغة الانكليزية فجرى مجراهم وزاد عليهم ما تتمّ به الفائدة . فاقبلت المدارس على هذه الكتب ايّ اقبال واقرّت نظارة المعارف المصريّة على تدريسها في مدارسها . وطبع كتابهُ في محاسن القبة الزرقاء فجاء جامعاً بين الحقائق العلمية والاخبار الفكاهية . ولدينا الآن رواية دينية بديعة ترجمها عن اللغة الانكليزية ثم وافته المنية قبل طبعها وكان قد طلب الينا ان نتولى طبعها فأرسلت الينا بعد وفاته وطبعت ونشرت

وغنيٌّ عن البيان ان رجلاً مثلهُ قضى العمر في خدمة العلم والعالم يكون علماً منظوراً من الاقارب والاباعد وغرضاً مقصوداً لرسائل القوم ومسائلهم ناهيك عن مكاتبات تلامذتهِ المنتشرين في اقطار المشرق والمغرب وعن انهُ لم يكن يستنكف من اجابة كلّ من يكاتبهُ او يسائله ولذلك بقي حتى مرضه الاخير يشتغل ما لا يشتغلهُ الفائقون جدّاً واجتهاداً الممتازون همّةً واقداماً

والانسان اذا عكف على الدرس واجتهد في التحصيل اتقن علماً من العلوم واشتهر فيهِ ولو لم تكن قوى عقله فائقة . ولكنهُ لا

يستطيع اتقان علوم كثيرة الأ اذا فاق في مضاء ذهنهِ وذكاء ذكرهِ ووافر اجتهادهِ ومنحه الباري صحة جيدة وعمراً طويلاً · ولذلك قلَّ الذين اشتهروا في الارض بعلوم كثيرة والعائشون من هؤلاء اليوم افراد معدودون وقد كان استاذنا الدكتور فان ديك واحداً منهم كما شهدت لهُ العلوم التي حواها صدرهُ والتآليف التي الفها والشهرة التي حازها بين علماء الارض · فانهُ درس اللغويات ففاق فيها وحفظ عشر لغات خمساً قديمة وخمساً حديثة فاتقنها واشتهرت اشغالهُ فيها وحسبنا شاهداً على ذلك ترجمتهُ للتوراة والانجيل الى العربية واشتهار الترجمة بين علماء اللغات في سائر الاقطار كما سيظهر في اثناء الكلام · ودرس الرياضات فاتقنها حتى صار رياضياً معدوداً والف فيها مؤلفات مشهورة للتدريس في المدرسة الكلية · ولقد طالعنا مؤلفات كثيرة للافرنج على شاكلتها فلم نجد اعمَّ منها فائدةً ولا اوفى بالغرض · ودرس علم الهيئة فاتقنهُ علماً وعملاً والف فيهِ ثلثة مؤلفات وضمَّ اليهِ علم الظواهر الجوّيه فصارت كبار مراصد العالم تعتمد على ارصادهِ وتطلب معاضدتهُ في تقرير الحقائق وكشف الشرائع الطبيعية · واشتغل في الكيمياء فاتقنها علماً وعملاً · وفي الطب ففاق في مؤلفاتهِ وعلمهِ وعملهِ حتى صار اكثر من ثلثة ارباع

الاطباء السوريين من تلامذتهِ المؤسسين على تعليمهِ المستفيدين من تصانيفه

هذا ويندر ان يفوق الانسانُ الواحدُ في جودة الادراك والذكرة معاً كما فاق استاذنا بدليل اشتغالهِ في اسمى العلوم وحفظه للغات الكثيرة · ولا ينكر احدٌ ممن عرفهُ وعاشرهُ انهُ من الافراد المعدودين الذين فاقوا في قوة الذكر فانهُ قلما نسي اسم انسان سمع اسمهُ مرةً فيناديه باسمهِ ولو بعد السنين الكثيرة · وكان يذكر مئات من الابيات في كثير من اللغات كانهُ حفظها امس وهو قد حفظها في حداثتهِ من مثل قول الشاعر

ان الشبابَ والفراغَ والجده　　مَفْسَدَةٌ للمرء ايُّ مَفْسده

ولم يحادثهُ انسان الاَّ تعجب مما يستشهد بهِ من الآيات والحكم والامثال والنوادر والشواهد حتى كانَّ صدره بحرٌ حوى المعارف كلها · واغرب من ذلك انك لا تطلب منهُ شاهداً على مسألةٍ من المسائل الاَّ هداك حالاً الى الكتاب والوجه والسطر الذي فيهِ شاهدك كأنهُ قرأهُ تلك الساعة او حفظ لفظهُ غيباً وهو لم يقرأْه الاَّ مرةً واحدة منذ سنين عديدة حتى ان كثيرين كانوا يخرجون من حضرتهِ وهم يظنون انهُ قرأ ما ذاكروهُ فيهِ قُبيل اجتماعهم بهِ · وهذا يدهش كلَّ معارفهِ ويخضع عقولهم لعقلهِ

وكان مع ذلك كله على غاية الاتضاع والوداعة لا يحتقر رأياً ولو جاء عن فتى حديث السن ولا يأبى محادثة الصغار وملاطفة البسطاء · ومعارفه يضربون به المثل في الاخلاص وحفظ الوداد فهو من الذين لا ينسون معروفاً ولا يستعظمون على صديقهم مبذولاً وحبه للمسكين مشهور لدى الخاص والعام فقلما فات مسكيناً في سورية نوال فضله · واتعابه في تعليم الشبان وانشاء المدارس وتأسيس الجمعيات والوعظ ومعالجة المرضى وتخفيف ويلات البائسين تشغل اوقات رجال كثيرين لو قسمت عليهم · وهو من الافراد القليلين الذين لا يحابون بوجه انسان والذين يقدرون الناس قدرهم فينظرون الى ما هم عليه من العقل والادب لا الثروة والجاه · فلطالما عهدناه يعرض عن مواجهة رجل كثرت مظالمه ولو علا مقامه ويرحب بفقير استقامت سيرته وحسنت سريرته. وهو من الافراد القليلين الذين يعتصمون بالحق ويراعون الذمة ويعتزلون عما يوجب المذمة · ومما يدل على واسع شهرته انه لما جاء امبراطور برازيل الى بلاد الشام سنة ١٨٧٧ ودخل مرصد المدرسة الكلية قال له من فوره لا حاجة ان يعرّفني بك احدٌ ايها الدكتور الفاضل فانك معروفٌ عندي ولطالما سمعتُ عن واسع علمك وفرط اجتهادك ووددت لو قيض لي مشاهدتك حتى اسعدني

الحظ برؤيتك كما رايتُ علماء الارض رفقاءك . ولما ودّعه قال هل لي ان احمل تصانيفك معي لتتمّ بها زينة مكتبتي . فقدّمها استاذنا لجلالته فانصرف يثني جميلاً

فهذه صورة اوضحنا بها للقاري مثال هذا الرجل العظيم من حيث ارتقائه بجده وعلو همته حتى صار اعظم نعمة أُنعم بها على الشرق بعد ان كان في صبوته لا يملك ما يبتاع به كتاباً . ولو اردنا ان نورد سيرته من اوجه اخرى لاستغرق الكلام معنا فصولاً اطول مما يحتملهُ هذا المقام . فالذين عرفوه عن بعدٍ انما راوا عظمته واقتداره على الاعمال وهذا سبب ما له في نفوسهم من المهابة والوقار ولكن الذين عرفوه عن قربٍ رأَوا فيه مع العظمة مناقب اشرف ما تتجمل به الفطرة البشرية وهذا سبب محبة معاشريه لهُ واشتياق تلامذته الى القرب منهُ وتسابق الناس الى ابداء ثنائهم عليه واعترافهم بفضلهِ عليهم وتسارعهم الى تأْبينه ورثائهِ بعد موته . فاذا تاملناهُ من حيث معاملتهُ للناس لم نجد معاملاً لهُ الاَّ كان من احب الناس اليهِ واولهم اعترافاً باستقامتهِ وحسن طويتهِ . والعارف باخلاق البشر يعلم ان ذلك لا يحصل عليه الانسان الاَّ بعد ان يتحقق الناس انه يؤْثر مصلحة غيرهِ على مصلحتهِ . واذا اعتبرناهُ من حيث انصافهِ وجدناهُ مثلاً في الاعتراف بما لهُ وما عليه بل

عندنا من الشواهد ما لا يحصى على ظلمهِ نفسهُ في انصاف غيره حذراً من ان يكون حب النفس قد حاد به عن جادة الانصاف . وحسبنا ان نذكر منها شاهداً واحداً وهو اعترافه بفضل زميله المرحوم عالي سمث في ترجمة التوراة . فالظاهر ان موت عالي سمث قبل ان يتمّ من الترجمة شيئاً كثيراً حوّل اذهان العموم عن ذكره حتى خيف ان ينسى فضله . وذلك ساء الدكتور فان ديك اكثر مما ساء غيره فصار احرص الناس على ذكر اسم عالي سمث قبل اسمه . ولا نتذكر اننا سمعناهُ مرةً يذكر ترجمة التوراة الاَّ قدَّم فيها اسم عالي سمث بقوله « لما ابتدأ فيها فلانٌ واتممتها انا » .

ولما اتى امبراطور البرازيل الى سورية كما تقدم وقال له على مسمع منا « اني سمعت بترجمتك الشهيرة للتوراة » فقاطعهُ الدكتور فان ديك قائلاً « لعله لم يبلغ جلالتكم اني انا لست مترجمها الوحيد فقد شرع في ذلك المرحوم عالي سمث واتممت انا ما بقي بعد موته »

نقضى[1] عليه خمسٌ وخمسون عاماً بين المدارس . يوزع من درر علومه النفائس . وبين المنابر . يلفظ بالخطب الجواهر . وبين بيوت الرحمة والمستشفيات . يعالج ويبذل اكرم الصلات . ويغرس بالحمية والجد والمثابره . اغراس علوم زاهرة ناضرة . اتت

(١) خطاب الاديب الفاضل سليم افندي كساب في حفلة اليوبيل

الوطن العزيز باينع الثمار · فباتت مآثرهُ جنات تجري من تحتها الانهار · فحينما التفت رايت جنة تخلب الالباب · تزهو منابتها الغناء تحت طي محمدةٍ له او كتاب · يستقطر منها الشيوخ والكهول والفتيان · اعذب الفوائد الراوية صدى العقول والاذهان · تلك حدائق وفرت بها الاشجار والاغصان من كل فاكهة بها زوجان تغرد بلابل فنونها اطرب الالحان · وتلك خمائل تبرئ قاطفها من داء الجهل والخمول · وفصائل اودعت كنوز الاصول والفصول يضمخ عبير نصها الشائق البهيج · عقل قارئها باطيب الاريج تتدفق ينابيعها اندفاق السيول · وتتشعب جداول تروي ظماء العقول · فلا نمثل تلك المآثر والفضائل . بزهور الحدائق والخمائل · لان الزهور تذوي وتزول . واما هذه فلا يعروها الذبول · ولا بالاثمار لان الفاكهة تقطف مرةً في العام · واما هذه فجناها غير منقطع مدى الايام · ولا بالكنوز لانه قد يعروها النفاد · واما هذه فبالانفاق تزداد · بل نمثلها بينابيع لا تزال تسيل · لاحياء ميت الجهل وارواء الغليل وابراء العليل · فايُّ علم لم يودعهُ بطون الاوراق · ولم ينمقه بوشي معانيه الدقاق وايُّ فن لم يصنف فيه خير تصنيف · يعود على دارسهِ بافضل المعرفة والتثقيف

فعلى اي مؤلفاتك تثني ايها الشهم الهمام · وبذكر اي كتبك

نبدأُ الكلام • أبكيمائك ام بطبك النفيس • الذي فقت به ابن
سينا الرئيس . أبعروضك يا خليل المنتظم انتظام اللآلىء في
السموط • ام بهندستك المقومة عوج الدوائر والزوايا والخطوط •
أبمرآتك الوضية منظر عجائب الاقطار وساكنيها • الجائبة بمطالعها
بحار البسيطة وغياضها و بواديها • ام بكتابك الهيئة الفائق فضله
شأوَ السماك • والمزيح النقاب عن اسرار النجوم والافلاك •
أبمنطقك المؤسس كل مقدمة ونتيجة وقياس • على امتن الأُسس
الخالية من كل التباس • ام بكتاب النقش في الحجر • الناقش
في الالباب اجمل الصور • الدائمة الاثر • المغنية بالخُبر عن
الخبر • خزانة العلوم الحاوية الجواهر الصحاح • واستاذ المدارس
والعيال المتكفل بالنجاح والفلاح • فلا نعلم ايها اجدر باسمى النعوت
والاوصاف • لانها كالحلقة المفرغة المتحمة الاطراف • بان
مجموعها اجل متحف انشأَهُ اليراع الواحد • واثمن عقد حلى جيد
الوطن بالدرر الفرائد • ذلك متحف كافٍ لان يشغل العمر
الطويل • ولكن ما كان مهديه الفاضل ليكتفي بهذا القدر الجزيل
بل تعلمون سادتي ان من اعمال الشيخ الجليل • ترجمة اكثر اسفار
التورية والانجيل • وانشأ المرقب الاول بسورية • الراصد
حركات الاجرام السموية • المتصل مع اشهر المراصد • والمراسلها

والمراسلة بما فيه المنافع والفوائد · ولم يكتفِ عالمنا بهذه الاعمال بل وقفَ حياتهُ على نفع الوطن من سائر الوجوه والاحوال · فانفق القسم الاوفر من زمانه . في تدريس احداث الحمى وشبانه . دروساً حقها الرقم بماء الذهب · من علوم الدين والطب والطبيعة والفلك والادب · وها كم تلامذته المنتشرين انتشار الدراري · في الافاق · يشهدون لنمائهِ البالغة السبع الطباق · يتاجرون بكنوز علومهِ فيكسبون و يُكسبون . و يتنافسون في مضمار السبق و ينافسون · بل اذا غضضنا النظر عن كل هذه المآثر والمحامد . تكفينا اعماله الطبية القائم لها في المستشفيات اقطع الشواهد . فلهُ في كل شارع وحيٍّ · جودٌ فاق جود حاتم طيٍّ . فلقد صدق عليه ما قاله عن نفسه ايوب الصديق في سالف الايام . بانه عيون للعمي وارجل للعرج وابٌ للفقراء والايتام · بل يصح عليه ما قاله احدُ الشعراء عن معن بن زائده . يصف مكارمه ومحامده

وزد على كل ما قيل · خلقه الفتان الجميل . واحاديثه المبتكرة الساحرة الخالبة لب كل من سامره وعاشره وكلامه السكريّ الجامع كل منثور ومنظوم در ياق كل من لسعته ارقام الهموم . ونصائحه السديدة وخطبه المفيدة العديدة . فبمثله تميد المنابر سكرا . وتصفق الايادي طرباً وشكرا . ويثمل النهى سرورا و بشرا · والى مماعهِ

يتهافت كل خطيب مفلق · وتتكاثف الاقدام تكاثف السحاب المطبق · وزد على هذه الفضائل والصفات . معرفته الكاملة بانفع اللغات . ولا سيما بلغتنا العربية الحسناء · حتى كأنهُ من علماء العرب العرباء · ومحبته المخلصة لهذا الوطن وآله . وحسبانه نفسه في سلك ابنائهِ ورجاله . فكذا تكون الحياة مثالاً ينسج عليه وغرضاً يتسابق كل عاقب في البلوغ اليه . فالشكر كل الشكر للعالم الجديد . لاتحافه اوطاننا بهذا الكنز الفريد . المثري حمانا من كل طارف وتليد . فكم الفِ رجل عُدوا بواحد عند من عقل . وواحد عد بالفِ وفدي بالمهج فضرب به المثل

تقدمة الشكر

لسانُ الشكر يفصح عن مآثرْ ... تفوق بفضلها اسمى الجواهرْ
مآثر فيلسوف الشرقِ فردٍ ... يحق لنا بهمتهِ نفاخرْ
هوَ الدكتور فان ديك المفدَّى ... بانفسنا العزيزة والبواصرْ
اذا رمنا نعدد ما اتاهُ ... من النعمى تضيق بنا الدفاترْ
عنى منذُ الصبا بالعلم حتى ... وعى ما للاوائل والأَواخرْ
ووزع من فوائدها كنوزًا ... غنائمها لنا خيرُ الذخائرْ
تخلد ذكرها في كل قلبٍ ... وفي الاذهان ترسخُ والخواطرْ
فكم تلميذِ علم اوطبيبٍ ... له بغنى معارفهِ يتاجرْ

وشادَ له صروحَ كرامةٍ في … قرانا والعواصم والحواضرْ
كتاب الله ترجمهُ فطارت … على انباء نعمته البشائرْ
لقد وقفَ الحياة بكل جدٍ … على نشر الفوائد والنوادرْ
له كتبٌ تضيءُ بكل فنٍ … ضياء دراريء الفلك السوافرْ
كتاب الجبر ينبيء عن قياسٍ … لكسر غوامض الاعداد جابرْ
وخط كتاب هندسةٍ نفيساً … تزين بالزوايا والدوائرْ
وألف في العروض كتاب وزنٍ … بهِ نظم اللآلىء كل شاعرْ
وبالجغرافيا المرآة أهدى … دليلاً للطالع والمسافرْ
بعلم الهيئة الطلابَ أسدى … كتاباً يخلبُ الالباب ساحرْ
كتاب الكيمياء حوى عجاباً … بتركيب وتحليل العناصرْ
بنى بالمنطق المعقول اساً … عليه معقل البرهان عامرْ
وباثولوجيا في الطب أهدى … حسام علاجها بالسقم ظافرْ
كتاب النقش في الحجر استفادتْ
بهِ الالباب علماً والبصائرْ
باي فنونهِ وباي علمٍ … تراهُ لم يكن كالبحر زاخرْ
ولم يكتب بهِ للعرب كتباً … سناها للملا كالشمس باهرْ
وانشأ مرصداً امسى يرينا … عجائب في علاها العقل حائرْ
وبات مع المراصد باتصالٍ … مصالحُ علمهِ الفضلى يباشرْ

اذا ضبط اليراع ظننت سيلاً تدفق بالنهى بين المحابر
متى قصدَ الخطابة قلت قساً وسحبانَ بن وائل في المنابر
اميٌّ سقامنا ندبٌ خبيرٌ طبيب لايناظره مناظر
دواءٌ علاجهِ شافٍ مصيبٌ باذن الله بالامراض ظافر
فكم وجد المريض به شفاءً وأرمدُ كاد يعمى عاد ناظر
يواسي كل بوس من نداهُ ويبذل نفسه بذل المغامر
اذا نادى به المضنوك لبي وان غاب المؤاسي فهو حاضر
فكامل علمهِ بحرٌ مديد سريع ذكائه وافٍ ووافر
نصائحهُ السديدة لا تبارى بها رشدٌ لطالبها المشاور
اطاعته اللغات العجم حتى بها امسى على التأليف قادر
زمام لساننا العربيُّ أضحى يطوع بنانه طوع الضوامر
لبيبٌ جهبذ فطنٌ خبيرٌ بكلٍّ من علوم العصر ماهر
وطيب حديثهِ صهباء أُنس به تُمل المعاشرُ والمسامر
فضائله تفوق الوصف قدراً حليف هدى كريم الخلق طاهر
بسوريا له مننٌ عظامٌ تقرّ بفضلها كل العشائر
ويحسب نفسه وطنيٌّ دارٍ كسوريٌّ اصيل لا كزائر
فأجمعت القلوب على هواه وباتت في محبتهِ تجاهر
عوارف لا جحود لها سوى من كنود ذي عناد او مكابر

لتغنينا مآثره بيانًا لان الفضل مثل الصبح ظاهر
ولكن الثناء عليه فرض فكلٌ في الصفا شادٍ وشاكر
كذا فلنتخذه مثال فضلٍ تطيب به الموارد والمصادر
فينسج كل سوريٍ عليها ويجهد مثله جهد المثابر

واذا نظرنا[1] اليه من حيث اخلاص الطوية وصفاء النية وحبّ حرية الضمير وجدناه مثالاً لها بين عارفيه · بل لم نسمع احدًا خالي الغرض يعيبه الاّ بالمدح في معرض الذم مثل قولهِ انهُ لسلامة طويته وصفاء نيته يغلبه اهل الدهاء

وكان ابعد الناس عن ذكر شيء تُشمّ منه رائحة المدح لنفسهِ فقد قضينا معه عشر سنوات في عشرة مستمرة فلم نسمع منه ذكر ادنى عمل من اعماله في معرض الاستحسان · وحاولنا المرار الكثيرة ان نستشفّ منه القليل عن سيرة حياته فكان يحوّل مسائلنا الى غير المقصود ثم يستطرد منها الى ما يتخلص به من الجواب ويسد علينا باب السؤال · ولذلك عانينا المشقات حتى وقفنا على طرف من سيرته نقلاً عن اولاده واقاربه . ولاتضاعه كان يجتنب كل معرض يمدحه الناس فيه ويرتبك امام من يقابلهُ بالمدح فاما ان يصرفه عن مدحه بجواب حسن او يتخلص منه بوجه آخر · اتاهُ

(١) (المقتطف)

جماعة من علماء دمشق يوماً وفي صدرهم شيخ كبيرٌ يعد بينهم من الفطاحل فمدحه واطنب ثم قال متعجباً وبايِّ المواهب يبلغ الناس هذا المبلغ فاجابه الدكتور فان ديك . « يبلغهُ احقرهم بالاجتهاد فمن جد وجد » واستطرد من ذلك الى وجوب الاجتهاد في تسهيل احراز العلم على الطلاَّب . ووصف بعضهم يوما علو همته وعجيب سرعته في انجاز اعماله وصبره على المشاق واستشهد على ذلك بانهُ كان يقوم في الصباح من بيروت الى صيدا في نحو اربع ساعات ثم يعود منها الى بيروت في مثل ذلك ويقضي بقية نهاره ومساءهُ في التطبيب والتاليف فاستغربنا الخبر وسألناهُ عن ذلك فأجاب « اني كنت اركب حينئذٍ حصاناً قوياً سريع العدو فلا ابطيء على الطريق » كأنه لا يريد ان يبقي لنفسه فضلاً

ومن مناقبه الشريفة حبه لاهل المشرق حتى اقتبس عوائدهم وتزيا بزيهم زماناً في الماكل والملبس والمشرب فلذلك تجد سكان بر الشام قد اجمعوا على حبه وولائه واعترفوا بكونه مصدر فضلٍ وعلمٍ وخيرٍ في بلادهم . واذا بحثتَ وجدت ان شبانهم وشاباتهم كانوا يحترمونه احتراماً يقرب من العبادة ولا عجب فانه مع تقدمه عنهم سناً وعلماً وعقلاً كان يجري في مقدمتهم ويسهل الصعاب امامهم ويقوّي عزائمهم ويبقي في صدرهِ محلاً رحبا لاعتبار ما

يجدُ مرف الامور المختصة بزمانهم وعدم احتقار آرائهم واميالهم وعاداتهم خلافاً لما يعهد في اكثر الذين يتقدمون سناً فانهم لا يرضون الاَّ عما كان في زمانهم ولا يعتبرون الاَّ عوائد عصرهم

واذا رمت ان تعرف اعتبار القوم له وحكمهم فيه فاسمع ما قالته جمعية الروم الارثوذكسيين في تقريرها لسنة ١٨٨٥ وهو «ان الدكتور كرنيليوس فان ديك موازرها ومناصرها وطبيب مرضاها ومرشد مستشفاها والمتصدق اليها وحسبه اجراً ونخراً وجوده على رغم الشيخوخة في مخدع التطبيب والمرضى شاخصون اليه شخوص الملسوعين الى موسى ورمزه · هذا يستنيلهُ قليلاً وذاك يسألهُ الدواء عجولاً وذلك يرجوهُ الشفاء عليلاً وهو يحبو هذا بالعطاء وذاك بالدواء وذلك بكلمة اشفى من دواء

والجمعية وان تكن لا تزيد الناس علماً به تجني اذا لم تعترف علناً في هذا المعرض انه لا تنفتح في الصبح عيناهُ الاَّ على لائذ بجنابه ولا يغلق في المساء بابهُ الا على منصرف مرتضٍ او واقف في بابه · ولا يأوي في ليلته غرفتهُ الاَّ ليكبَّ على مكتوباته وكتابه — حياةٌ امتلأت بطاعة الحداثة ونشاط الصبا ومروءة الفتوة واقدام الشباب ومقدرة الكهولة وحكمة الشيخوخة — وهي في كل ادوارها ذكاء وفطنة · ودرس ومعرفة · وعلم وعمل · واستفادة وافادة ·

وعبادةٌ لله ٠ وحبٌ للقريب ٠ وخدمةٌ للانسانية ٠ نعم ولولا اشتهار فضله ونبله والعجز عن ايراد ما يصلح لمثله لقامت الجمعية الى مديحه قيامهُ الى نصرة البشرية ٠ فهي تجتزئُ بالذكر والشكر وتسأَل الله ان يسره فيما يسوءُهُ وان لا يسوءَهُ فيما يسره» ٠ هذا وسيأتي الكلام على شكر السوريين عموماً لهُ واكرامهم لاسمه حياً وميتاً

فلك[1] النهى قطب العلوم بعينها ومحيط دائرة الهدى للرائي
دع ذكر هرمس وابن حيان وخذ عنه بيان صناعة الحكماء
وانسخ به الفلك القديم وخلِّ ما ابداهُ بطليموس في الاخفاء
وانظر مبادئه الصحيحة تلقها في غيرها كالدرّ في الحصباء
واعدل عن الشيخ الرئيس فشيخنا شيخ الرئيس وعمدة الرؤساء
لو كان بقراط الحكيم مريدهُ في الطب احيا ميت الاحياء
او شام جالينوس برق سحابه ما ماتَ ميتةَ سائمٍ للشاء
هذا الذي ما جسّ نبض اخي ضنىً الاَّ تبدل سقمه بشفاء
يشفي العليل بحكمةٍ كشفت لهُ سرّ الدواء ومضمرات الداء
هذا الذي جعلت رياضياتهُ امد الدراريء من خطى الغيداء
فلو استبان الدرْوَ من اشكالهِ اقليدس استولى ذرى العلياء

(١) من قصيدة لجناب العالم الفاضل والشاعر الشهير ابرهيم افندي الحوراني قدمها في احتفال اليوبيل

ودع الخليل يقطع الاسباب من اياته التقطيع للاجزاء
فبحوره ان قستها بمحيطٍ من نعني فدون جداول البطحاء
هذا الذي نشر المعارف بيننا نشر النضار على بني غبراء
هذا الذي اغناه نقشُ كتابه عن محكمات الوشي في صنعاء
هذا الذي نشرت مكارم كفه من بعد طيٍّ حاتم الكرماء
هذا الذي يسراه لا تدري بما تعطيه يمناهُ أخا البأساء
علاّمة العلماء يا علامة الـ علماء يا علامة العلماء

الفصل الثالث

﴿ شكر السوريين له حياً ﴾

(يوبيله)

نقول[1] ولا نخشى ملاماً ان اهل الشرق لم يجتمعوا على اكرام انسان دخل بلادهم من قديم الزمان الى الآن كما اجمعوا على اكرامه فانّا لم نشهد نادياً ذُكر الا قيل حدث ولا حرج . لا جرم ان حضرة العلاّمة عظيم الفضائل عميم الفواضل غزير المعارف فالقريبون يعلمون انه نفع الناس بعلمه وعمله وتدريسه ومدارسه وطبه ومستشفياته واتعابهِ واموالهِ ولطف اخلاقهِ وحسن مثالهِ . والبعيدون يعترفون

(١) المقتطف جزء ٥ من السنة ١٤

ان كتبه هذبت الاصاغر وانارت الاكابر وان مساعيه اعانت على الاصلاح ونبهت على النجاح والفلاح · ولا مبالغة في شيء من ذلك ولا مخالفة للواقع فان نوابغ الاوطان في هذا الزمان يعلمون انه من النوادر الذين قادوا الافكار ووضعوا اساس التعليم والتهذيب في بلاد الشام واوصلوا اشعة العلم والتمدن الى شاسع الاقطار

فلا غرو ان تكون هذه منزلته في نفوس اهل المشرق وان يعترفوا له بالفضل ويقابلوا معروفه بالبرّ · كيف لا والمشارقة موصوفون بالكرم نحو الغريب الذي لا يعرفونه فهل يضنّون بالشكر على المعروف او الثناء على الفضل او الامتنان لمن لا يعرف المن والاكرام لمن خدمهم لوجه الله لا يبغي العوض

من ذا [1] يضحي نفسهُ في خدمةٍ للغير مجانًا ولن يتعذرا
من حازَ في كل البرية مثلهُ علماً وفخرًا وهو لن يتكبرا
ان كان طول العمر منهُ كعلمهِ ايقنت ان يبقى الى ان نحشرا
ما مثلهُ بين الاوائل واحدٌ اذ فاتهم علماً والّف اكثرا
ان عدت الرؤساء كان اجلهم اذ صار بين الكل فرعاً مثمرا
قد بات مثل الدرِّ في بحر الهدى والغيرُ امسى كالحصى او اصغرا
الغيرُ ما نفع البلاد بقطرةٍ تروي الظما وهو افاض الابحرا

(١) من قصيدة لجناب الاديب الياس افندي بهنا قدمها في اليوبيل

للغير اعداءٌ ولكن لطفهُ قد قلل الاعداء من بين الورى
ما اثرت حسادهُ في نحرهِ ابداً ومن عاداهُ خاب وقصرا

والسوريون كانوا يسارعون الى شكره والاعتراف بفضله عليهم وعلى آبائهم وابنائهم . الا ان هذا الشكر الذي قام به السوريون فرادى لمن قضى الايام والاعوام في بلادهم ونشر العلوم والآداب فيها حرّك نفوس الامة كلها حينما صار له خمسون عاماً في بلاد الشام . فقام جمهور من فضلاء بيروت ودعوا ابناء المشرق للاحتفال بمرور هذهِ الاعوام على ما جرت به العادة في البلدان الاوربية نقلاً عن الامة الاسرائيلية . فلبى طلبهم كثيرون من تلامذته ومريديه واجتمع لديهم نحو خمسين الف غرش في برهة وجيزة وكان غرضهم ان ينشئوا له تذكاراً ثابتاً يذكر السوريين بافضاله عليهم ويحبب الى ابنائهم الاقتداء به ويحتفلوا بذلك احتفالاً عمومياً باهراً في مشهد مشهود لكنهم خافوا من المعارضة في مشروع لم يسبقوا اليه في هذه الايام وفي هذه البلاد . ولا ندري احقيقي خوفهم ام وهمي فعدلوا الى ابسط السبيل وهو تقديم المال له عيناً . ويقيننا انهُ وزعه على المساكين جرياً على عادته . فقد طالما غمر الفقراء بماله ونائله . الا ان الغاية المقصودة من ذلك التذكار حصلت على وجهٍ وهو

الاحتفال الباهر الذي احتفل به السوريون حينئذٍ مما لم يحصل لعظيم في بلادهم ولا لكبير

لقد علم الناس [1] خاصتهم وعامتهم ولا نزيدهم علماً ان العلاَّمة العامل والفيلسوف الفاضل الدكتور كرنيليوس فان ديك الشهير ما فتىء منذ مجيئه الى القطر السوري على الرحب والسعة مثابراً على التمسك بصدق الولاء لدولتنا العلية العثمانية ايد الله اركانها الى يوم الدين نصوحاً مخلصاً لها الخدمة ولم يبرح ينفع هاتهِ البلاد والقطر المصري بتدريسهِ وتأليفهِ وفعلهِ للخير والبر . فكم من تلميذ حاز رتبة من العلم وفتحت له ابواب الاستقبال وتوفرت لديه موارد المعيشة ومصادر الاعتبار بالتلقي عن ذلك الدكتور الشهير والمواظبة على الاستفادة منه وكم من طالب علم او ادب او طب او فن استفاد وافاد بقراءة ودراسة كتبه العلمية التي تنوف عن العشرين عداً وتوسعت بها دائرة عقلهِ فكانت سبباً لنفعه مادة وادباً . فمريد الجغرافية يستنير بمرآتهِ الوضية . وراغب الرياضيات روض ذهنه بكتبه الحاوية للعلوم الرياضية . وملتمس الطب شفى غليله من كتبه الطبية على تعدادها وتعداد وجهتها . وقاصد الكيمياء ظفر من تأليفهِ باكسيرها . وغائص بحر العروض التقط ما تضمنه

(١) صورة اللائحة التي توزعت من لجنة الاحتفال باليوبيل

محيط دائرته من الفرائد · والراصد لعلم الافلاك سما الى اوج معرفتها فانار افق عقله بكتبه الواضحة انوارها · وناهيكم بكتبه الاخيرة التي هي تحت اسم النقش في الحجر التي نقشت وتنقش في عقول الانام عموماً واحداث هذا الجيل الحاضر خاصة اهم العلوم التي يتوقف عليها العمران والثروة. وكم وكم من مريض عالجه لا يبغي منه بدلاً بل حباً لوجه الله وخدمة للانسانية · وكم من مستشفى في بلادنا يشهد بما له من الايادي البيضاء عليه. وهو اول من انشأ لنا مرصداً فلكياً لتثقيف الاذهان وللمراسلة مع مرصد الاستانة العلية وسائر مراصد الكرة الارضية توسيعاً لعلم الفلك ولنفع اهل الملاحة والزراعة لا يخص بجميع ما ذكرناه ملة من الملل وطائفة من الطوائف فالكل عنده في الانسانية شرع وفي خدمتها سواء · كل ذلك مع تواضع ودعة و بشاشة وحسن طوية لا يرد قاصد مال ولا يخيب وافد علم فجزاه الله خير الجزاء

ماذا[1] الافادة من مدح يقصرُ عن ... حقيقة الحال في الممدوح بالظفرِ
ما ذاك الاَّ كمن يبدي شعيلته ... نصفَ النهار وغيم الجوّ في السفرِ
حطَّت لديك مطايا الطب حاملةً ... اقصى العقاقير تحصيها على الأثرِ
وكل فنٍّ قدِ استقصيتهُ فغدا ... نسيب فهمك من قُدُمٍ ومن حضرِ

(١) من قصيدة لجناب القس الفاضل مراد افندي الحداد قدمها في احتفال اليوبيل

الاَّ الذي لم تَرِدْ او ما قدرت على   ادراكهِ نحن فيه اصدق الخبرِ
وذاك وقعك في ضمن القلوب وفي   رحب الصدور وفي الاحشاء والفكرِ
ما انتَ للجسم في امر العلاج فقط
بل انتَ ايضاً طبيب النفس والفطرِ
ما فاه باسمك في نادٍ فمٌ ابداً   الاَّ وفاحت نسيمات الذكاء العطرِ
او قال فنديك (طابت نفسه) نفَهٌ   فكان من ذاك طيب الخاطر العسرِ

وقد جال[1] في خلد بعض الادباء في بيروت ان مدة اقامة الفيلسوف بين ظهرانينا اوشكت ان تبلغ الخمسين عاماً . وهم لعلمهم تفصيل ما اجملناه تحركت غيرتهم فارتأَوا احتفال تذكار الخمسين فاجتمعوا في نادي احدهم يوم الجمعة الواقع في السادس من الشهر الحالي كانون الاول سنة ١٨٨٩ وتفارضوا على عرض عزمهم لحضرة ملجاء الولاية البيروتية فاظهر ارتياحه الى هذا العمل والمصادقة عليه ذلك لما فطر عليه ايده الله من حب العلم وذويه . وان حضرة دولتلو متصرف جبل لبنان الافخم المشهور بمحبة العلم والعلماء ايضاً استحسن الامر لما عرض على مسامع دولته حفظه الله . ثم رأَوا وجوب دعوة الوجهاء والادباء لاخراج هذا الفكر من القوة الى العمل علماً منهم بان السواد الاعظم يرغب في مشاركتهم بهذا

(١) تقرير لجنة اليوبيل (المجموعة وجه ٦)

العمل فتمت الدعوة من الاتية اسماؤهم · وهم الافندية · محمد بيهم · محمد بدران · الدكتور يوحنا ورتبات · اسبر شقير · سليم شحاده · خليل سركيس · الدكتور سليم الجلخ · جرجي ديمتري سرسق · فتح الله جاويش . ديمتري طاسو . الدكتور اديب قدوره . الدكتور سمعان الخوري . امين سركيس . سليم كساب · جرجي صيقلي · اسكندر عازار . اسكندر شكري . اسعد خير الله · مراد بارودي الامير امين مجيد ارسلان . داود نحول · سليمان شمعون . الدكتور الياس شكر الله . نخله تويني · الامير سليم منصور شهاب . جرجس نقاش . جرجس سلوم الدباس . يوسف يجو · حسن بيهم · عبد الله يضون · بديع اليافي · الدكتور حبيب طبجي · الدكتور بشاره زلزل . عبد الله الصايغ

والتأمت الجلسة الاولى من الجانب الاعظم منهم ولدى اجتماعهم صار انتخاب احدنا اسبر افندي شقير رئيساً واحدنا مراد افندي بارودي كاتباً واليكم ما جرى في هذه الجلسة العمومية

(١) اعلن الرئيس الغرض المقصود من الاجتماع وهو ما ذكر في اعلى هذه الشقة

(٢) اجمعت الكلمة على وجوب اهداء الدكتور المومأ اليه هدية تليق بالمقام

(٣) تقرر ان يترك لحكم الحال كيف الهدية ومقدارها

(٤) صار انتخاب لجنة عاملة تنوب عن الجلسة العمومية مؤلفة من الاعضاء الآتية اسماؤهم وهم الافندية اسبر شقير رئيس · حسن بيهم نائب رئيس · الامير سليم منصور شهاب امين صندوق · الدكتور ورتبات · محمد بدران · الدكتور سليم الجلخ فتح الله جاويش · جرجي ديمتري سرسق · خليل سركيس · داود نحول · اسكندر عازار · الامين امير مجيد ارسلان · ومراد بارودي كاتب

(٥) عهد الى اللجنة العاملة انجاز ما قررتهُ الجلسة العمومية واتخاذ ما يلزم من التدبير للاكتتاب بتقديم الهدية من سورية ولبنان ومصر

(٦) فوضت اللجنة باجراء ما ترتإيه من تأليف الجلسات وارسال المخابرات الى البلدة وسائر البلاد ومتى اكملت ما عهد اليها يُعرَض على الجلسة العمومية

ثم اخذت جريدة لسان الحال تنشر في اعدادها تباعاً قوائم اكتتاب المتبرعين لمساعدة هذا الاثر المشكور ولما وردت البشرى بلسان البرق بانعام مولانا الخليفة المعظم على حضرة الدكتور بالوسام المجيدي الثالث نشرت ما يأتي بتاريخ ٢٧ كانون الثاني سنة ١٨٩٠

ان حضرة صاحب الدولة الوزير الخطير والينا عزيز باشا نصير العلم والعلماء لما مثلت امام دولته لجنة احتفال الخمسين للعلامة الدكتور فانديك تستأذنه بمباشرة العمل استحسن عملها ووعدها ان عظمة ولي النعم سيدنا ومولانا الخليفة الاعظم يحسن على الرجل الذي خدم العلم والانسانية في ممالكه المحروسة خمسين سنة وامس بشرنا البرق انه قد فاضت انعامات عظمته فاحسن على الدكتور الموما اليه بالوسام المجيدي من الرتبة الثالثة لازالت احسانات عظمته شاملة جميع عبيده الامناء المخلصين الخدمة لدولتنا العلية المشيدة الاركان المحروسة بالعناية الالهية في كل آن

وقالت الاهرام الغراء ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى . تلك آية لم نرَ اصح منها في اعمال الرجال ومقدمة لم نجد اصدق من نتيجتها في كل حال فلقد وجد الانسان في الدنيا لحب الخير وصنع المبرات وللاحسان بل وجد الانسان حتى لا يكون انساناً الا بخدمة الانسان . نذكر ذلك مقدمة لنشر اعلان وردنا من مدينة بيروت الزاهرة اجمع على تدوين ما فيه جماعة من نخبة اعيان بيروت ووجهائهم وادبائهم الفضلاء الاماثل وعوانهم سيحتفلون في اول افريل القادم سنة ١٨٩٠ بتذكار الخمسين سنة لقدوم العالم العلامة والفيلسوف الفاضل الفهامة الدكتور كرنيلوس فان ديك

الى البلاد السورية ولعمري ان في اجماع هولاء الافاضل من ابناء بيروت الزاهرة على مثل هذا الاشتراك الحسن لدليلاً على امرين اولهما لحضرة الفيلسوف من حسن الذكرى وطيب السمعة ورفيع المنزلة وجليل الخدمة للدولة العلية والوطن السوري الذي لا نلام اذا قلنا انه اصبح من ابنائه بل من اقربهم اليه واشدهم غيرة عليه وهذه تآليفه في لغتنا الشريفة بل هذه اعماله مع ابناء سورية بل هذه آثار علمه وفضله في تلامذتها وشبانها شاهدة بانه آثرها على بلاده بل اتخذها بلاداً له يجاري اهلها في كل شؤونهم ويفتخر ان يكون منهم حتى لقد كان يلبس العباءة معهم ايام كانوا يلبسونها بحيث كان احتفالهم به لا يعد الا في محله ولا يحسب الا في موضعه ومكانه وكل امرء يجزي بعمله

واما الامر الثاني فهو ان رجال البلاد السورية وذوي الفضل والآداب فيها قد برهنوا في اجماعهم على ذلك عرفانهم قدر الرجال ومقابلتهم الاحسان بالاحسان ووضعهم الشيء في محله وغيرتهم على آثار العلم ورفع شأن اصحابه ومقام عماله واوليائه نظير هذا الرجل الفيلسوف والطبيب الفاضل

وقد وقفت مجلة الشفاء نفسها خدمة لقبول الاكتتاب بهدية اليوبيل في القطر المصري قائلةً . ولا تستطيع بلاد ان

تذكر تاريخ نهضتها العلمية من دون ان تذكر معه تاريخ هذا الرجل العظيم

فما اسفرت الغزالة في اليوم الثاني من شهر ابريل (نيسان) ١٨٩٠ (وهو اليوم الذي دخل فيه بلاد الشام قبل ذلك بخمسين عاماً) حتى غصت داره في رأس بيروت بوفود المهنئين على اختلاف النحل والملل وتقدم روءساؤهم وهناؤه بالخطب البليغة والقصائد الحسان من ذلك خطبة تلاها حضرة الوجيه اسبر افندي شقير رئيس لجنة التذكار وكانت مكتوبة على رق الغزال وهي

«لما علم السوريون بلوغكم نهاية السنة الخمسين منذ حضوركم الى سورية وعرفوا انكم شغلتموها بخدمة الوطن رأوا مما توجبه خدمة الانسانية اشعاركم بما في افئدتهم من عواطف الشكر على ما لكم من اليد البيضاء عندهم في كل هاتيك السنين ولم يفتهم انكم منذ وطئتم ارضهم نهجتم المنهج السوري حتى صرتم كاحد ابناء سوريّة وشربتم حبها ورغبتم في نفعها وجعلتم غاية حياتكم افادة سكانها . فألفتم كثيراً من مفيدات الكتب على اختلاف صنوفها من ادبيّة وعلميّة وطبيّة وسعيتم في تشييد صروح العلم ونوادي الخير وعلتم الفقراء والمرضى . فنشأ من مساعيكم واتعابكم عظيم الفوائد

لشبان هذا القطر وقد صار كثيرون من تلامذتكم فيه كهولاً وشاركتكم بعضهم في الشيخوخة · وهم جميعاً موقنون انه ما حملكم على ذلك سوى حب الانسانية بخلوص اثبته شواهد السنين وعلى ما ذُكر اختاروا لجنة تنوب عنهم في التهنئة لكم بادراككم هذا اليوم الموافق ليوم دخولكم سورية في سنة ١٨٤٠ · وفي التصريح بأطيب الثناء عليكم لما سبق بيانه من مناقبكم ومآثركم وفي سؤال المثيب الكريم ان يطيل بقاءكم ويجعل سائر ايامكم زمن راحة وسلام · وفي تقديم هدية منهم على اختلاف الملل والمذاهب وهي وان تكن امراً يسيراً ولكنها تشفّ عما في قلوبهم من خالص الشكر لجنابكم · وفي الختام نسأله تعالى ان لا يضيع لكم اجراً وان يجزيكم خير الجزاء »

ومنها رسالة تلاها الوفد المرسل من قبل غبطة بطريرك الروم الارثوذكس في انطاكية وسائر المشرق قال فيها

« الى جناب[1] الفاضل الجليل العلامة الفهامة الشهير الدكتور كرنيليوس فان ديك المحترم اطال الله بقاءه »

وافتنا جرائدنا في هذه الثلاثة الاشهر تنبئنا ان الكثيرين من اهل الفضل والآداب وذوي الشهامة والشعائر العالية يهتمون

(١) مجموعة اليوبيل وجه ٣٤

ويستعدون لان يحتفلوا بعيد رفيع القدر جليل الذكر يذكرون به يُمن يوم قديم سالف الايام مرَّت عليه الخمسون من الاعوام يوم حللتم بكل انس هذا القطر السوري تعززون مكانة الفضل والعلم وترفعون منزلة صنع الجميل باهل البؤس والشقاء ويكون لهم موسماً سعيداً يلبون به داعي الحقوق والوفاء ونداء الفضيلة · والواجب بان يقوموا لديكم ايها الفاضل الوقور بشعائر معرفة جميلكم الواضح ويقابلوا مزيتكم الحسناء عليهم بالشكر العميق فكانت هذه الاهتمامات والاستعدادات الممدوحة المحمودة تروق لفؤادنا كثيراً كلما تجدد لدينا حديثها ورأينا في الصحف انباءها اذ ان ما يسعى اليه اصحاب الشهامة هؤلاء النجباء هو جدير بمزيد الاعتبار وخليق بفائق الثناء احتراماً لمن هو موضوع سعيهم وتكرمةً لشأن اهل الفضل والمعروف · وقد لبثنا ننتظر الى اليوم وفود ذلك العيد الادبي لنظهر ايها الحبيب الفاضل ما يخالج فؤادنا من شعائر الاعتبار والولاء وما نحرزهُ لغيرتكم من الشكر والثناء

فنهديكم اولاً التهانيء الخالصة على ما اولاكم المولى من سامي الهبات وجليل العطايا ونحمده على طول بقائكم السعيد الذي اراده الله وسيزيدهُ اعواماً طوالاً لزيادة النفع والفائدة ونخاطب ثَمَّت سائر المحتفلين بعيدكم المعتصمين بودكم الذاكرين لكم حسن الصنيع

باهداء الثناء والتقريظ مكللين مسعاهم هذا بعطر الاعجاب والمديح

واذا نظرنا يا حضرة العلاَّمة الشائع الشهرة في عالم المحامد والعرفان برأى هؤلاء المحتفلين بتذكار الخمسين سنة من وجودكم في ارجائها المأنوسة نرى انكم منذ وفدتم اليها لم ينعس لكم طرف عن السعي والجد في سبيل المعارف . بل قد احييتم الليالي وانرتموها بسراج السهر في تحصيل لغتهم العربية البليغة حتى صرتم فيها محلاً للاستشهاد وثقة بصحة القول والمباني وهذه كتبكم الشهيرة المتعددة فيها تنطق لكم بعلو المزيَّة وفرط الاقتدار وقد جاءها كتابكم الاخير (النقش في الحجر) يؤكد ان ذكركم في هذا القطر ثابت مديحهُ كالنقش في الحجر . واذا نظرنا من جهة ثانية الى مواساتكم الفقراء ومعالجتكم اسقام البائسين الضعفاء نراكم من وحيدي رجال العصر ذوي النفوس الصالحة التقية وهذه دار مرضى طائفتنا التعساء . أليس ان يدكم البيضاء ما زالت توالي عليها المعروف وتلازمها بالاعتناء والاحسان حتى يصح بنا كابن روحي ان نقول ان جميلكم هذا قد اوسعنا له مجالَ منتنا وثنائنا ونحن نذكره لكم بطلب الاجر والثواب من واهب الخير والبركات

فالحق ان عيدكم هذا هو عيد عمومي شامل البهجة متوفر اسباب الجذل لسائر معارفكم وخلانكم وتلامذتكم العديدين

نسأل الله ان يحفظكم بعنايته الساهرة وان يهبكم القوة للثبات في افعال الخير والجميل امين »

وفي اثناء الاحتفال بهذا العيد دعت عمدة مستشفى الروم الارثوذكس جمهوراً من وجهاء بيروت وادبائها وقام فيهم صديقنا « البكلور »الاستاذ نعمة افندي شديد يافث وخطب خطبة بليغة قال فيها

« لما كانت عقبات الحياة صعاباً كان لا يرقاها الاَّ ذوو الهمة القعساء ولا يسنمها الاَّ ذوو الحكمة النجداء ولما كان هؤلاء العظام رجال الانسانية حركتهم الشفقة ودفعهم الحنو وحثتهم عوامل الالفة لدفع اعباء الحياة عن كواهل اخوانهم في الانسانية واشقائهم في المدنية ليصلوا بهم الى اوج السعادة · ولذلك نرى عند نظرنا في اخبار الامم رجال العلم وابطال الصناعة يُعطَون الالقاب الشريفة ويوصفون بفضلاء الامة والمحسنين الى الهيئة الاجتماعية وتقام لهم الانصاب ويحتفل بهم في مراكز فضلهم اكراماً واجلالاً وايفاء لجزء من حقوقهم وتكثيراً لذوي الفضل وارباب النبل

ونحن قد اناخ علينا الدهر بكلكله واخنانا بثقله فاقعدنا في مكان قصيٍّ نستشرف دواعي الفلاح واسباب السعادة · والهمم

(١) المقتطف

قاصرة والطبائع فاترة والاذهان خامدة والشوق الى السعادة عظيم والتوق اليها جسيم لان الامة قديمة والعيش كان فيها رغيداً والسعادة فيها سائدةً . ولكن الانسانية لا تعدم من نصير والفضيلة لا تحرم من ظهير فما عتمت ان اعدّت لغوثها رجل العلم ومثال الفضل الفيلسوف الفاضل شيخ اطبائنا وعلمائنا وتاج ادبائنا ورحمائنا وملك انتظامنا الدكتور كرنيليوس فان ديك الشهير من اضاء نور علمه امام الناس فرأوا اعماله الصالحة ومجدوا الاب السماوي . ان الانسانية شاكرة فضلك لانك مجلى بادئها العظيم . ان الاحسان يفتخر بك لانك ملجأهُ المتين وركنه الجسيم فأي عمل يؤول لخير الانسانية لم تعضدهُ . واي فضل لم يكن لك فيه الشأن الارفع . واي حكمة عرفت في شخصك الكلال . واي عمل لم يرفع له نشاطك وثقوب ذهنك وحدة بصيرتك الاعلام الخافقة . واي عين لا ترى الان نشاط الشباب في شخصك الجليل كأن القوة رحمةً بهذه الامة جلبتك بنشاطها وارسلتك بشبابها لتنمي بك العلم وتعزز البرّ وتثمر الفضل . أليست مؤلفاتك مثالاً لصدق المقال أ لم تضرب الامثال بشهرتها وكثرتها وغزارة مادتها وتباين مباحثها . ألا نراك تارةً تجوب الفلوات وتقطع الفيافي وتخرق الجبال وتمخر البحار وتستبطن الارض وتتكبد السماء

فترى السدام والشموس والسيارات والاقمار وتجد اباك السماوي مظهر الحكمة في هذا النظام البديع

وطوراً نلج بنا الى دقائق المادة فتكشف لنا عن جواهرها المتباينة المرتبطة بالالفة العجيبة التي تشترك بينها على تباين الطباع واختلاف الاقدار وتفرق المبادىء . ذلك كله مقرون بسمو مبادئك وشرف غاياتك . ان ارتباط الجواهر العمياء على تباين طباعها دليل على وجوب الارتباط المتين بين افراد الهيئة الانسانية ولو اختلفت الجنسية وضعفت العصبية

وآونة تكشف لنا الجسم الانساني وتظهر فيه بدائع الصنعة وغرائب البنية وعجائب الارتباط بين كرياته المستقلة بالحياة بنفسها الخاضعة لقانون الجسم العام لكي يحيا بهذا الارتباط العظيم المقرون بالخضوع . كل ذلك مقرون بتعاليمك السامية بوجوب الائتلاف ليحيا جسم الامة بالخضوع الى قانون الالفة العام

واحياناً تميل بنا الى مواساة الفقراء وتعزية المحزونين وغوث المظلومين وازالة آلام المصابين بالعلل الويلة والنسج الضئيلة عملاً بتعاليمك السامية وتتميماً للقول الكريم كل من علم وعلّم يدعى عظيماً في ملكوت السموات . واي شاهد ادل على الفضل وابين للنبل واظهر للغاية من اقامتك بين ظهرانينا خمسين عاماً تبتدع الغرائب

وتكتشف العجائب وترسل المعارف بيننا ارسال الرياح الغيث على الاراضي الصادية · فالعلم فينا يعترف لك بالابوة · والخير والاحسان واللطف والشفقة والرحمة وحب الفقراء وازاحة اعباء الحياة بكلامك الجذل كلها تقرّ لك بالامومة فانت اب وام لكل عاطفة شريفة وانت مصدر لكل مثالٍ سام وغاية حميدة · فاذا رمنا ان نجد نموذجاً للعلم رجلاً قضى الاعوام الطوال بين المحابر والدفاتر ألا نراك خير مثال لعلماء سورية · واذا طلبنا مثالاً للعمل رجلاً قرن كل علم بعمل يليق به وغاية تشرفهُ ألا نرى ذلك المثال الوحيد في اقنومكم الشريف · فلساني جدير بان يلقبك بفيلسوف العصر وعلامة الدهر وفريد النبل ووحيد الفضل · هذا البناء وهاتهِ المرضى شاهدة على متابعتك الفضل ومثابرتك على الخير لا تبغي اجر الناس ولا اطراءهم بل تعد كل ذلك من واجباتك نحو الانسانية · فالانسانية عموماً والطائفة الارثوذكسية خصوصاً التي غمرتها بعوارفك واغرقتها في بحار فضائلك وفواضلك تعترف بفضلك وتعتبر عظيم قدرك وتجل مقامك وتحفظ اجلالك

وانتم يارجال الانسانية اوجه اليكم هذه الكلمات الاخيرة فاعيروها آذاناً صاغية وقلوباً واعية · نظرتم في خلال الخمسين

الماضية في شيخنا الفيلسوف الجليل رجل العلم والعمل وشخص الانسانية والفضيلة وكلكم تعلمون ان التعليم بالمثل الحسيَّة من ابين طرق التفهيم · والسيد المسيح كان يؤدي مقاصده وتعاليمهُ الى تلاميذهِ بالامثال لتنجلي لهم وترسخ في ضمائرهم فتشب في قلوبهم حميَّة العمل بموجبها · فاي تعليم ادبي لم يقرنهُ هذا الفيلسوف بعمل يشرفهُ · اراد ان يعلمنا عمل الخير فاقام من مالهِ الخاص اول قاعة في هذا البناء الخيري فتلاهُ في هذا العمل المبرور اصحاب الحمية مقتدين به · اراد ان يعلمنا مؤاساة المرضى وتعزية المصابين فعين من اوقاته قسماً مهماً يشغلهُ في تسليتهم وازالة ثقل امراضهم بكلام اشهى من السلسبيل والطف من النسيم · وكلكم افصح منا في تبيان فضلهِ وغزارة نبلهِ وشرف غايتهِ ونزاهة قصدهِ · اراد ان يعلمنا نشر المعارف بين الكبار فاشغل القسم الاوفر من العمر في تأليف الكتب الضخام ولا حاجة لي في تعدادها لانها اشهر من ان تذكر · ثم انبرى لبثّ محبة العلم في الصغار فألف لهم النقش في الحجر فنقش في افئدتهم اسمى المبادىء العلميَّة التي لا تقوى على محوها كرور السنين ومرور الايام

فاتخذوا سادتي هذا الشيخ الجليل والفيلسوف النبيل خير مثال واقيموا لهُ الانصاب في قلوبكم لكي تهيج فينا العواطف السامية عند

خمودها وتحرك عوامل العمل عند سكونها ووطنوا النفس على الجد وثابروا على العمل وعلموا ان السعادة الانسانيَّة بنت الحق والفضيلة بنت العمل · فاطلبوا الحق في مباحثكم واعملوا بموجبهِ تنالوا السعادة والفضيلة اسمى غايات الانسانيَّة واشرفها

وقد كتب اليه الخواجه ادوار دجلمان كاتب جمعية التوراة من نيويورك ماخلاصتهُ

«ان انتباه مدبري الجمعية الى عمل العناية الفائقة التي حفظت ذاتكم مدة نصف قرنٍ في سوريا حملهم على تخويلي التهنئة لجنابكم على بلوغكم هذا اليوبيل ومهما كان لكم من المآثر العظمى في نشر العلوم والمعارف فان اهم شيء لدينا جدير بالاعتبار شغلكم في ترجمة التوراة الى اللغة العربية وانكم بعد اتمام الترجمة قد خدمتم تلك اللغة وادابها وراغبيها خدمةً شريفة»

وقد هنأتهُ عمدة المستشفى البروسياني معترفةً بفضله واعماله المبرورة وكذلك مراسل جريدة امركانية ذاكرًا ماكان في بيروت من قلة العدد وانحصار المعارف ضمن دائرة ضيقة يوم مجيء الحكيم اليها واما آن يوبيله فقد اصبحت بسعيه وامثالهِ مدينة كبرة ·

وبها مئات من المدارس والوف من الطلبة وعشرات من المطابع والمكاتب

واقبلت عمدة الجمعية الخيرية الانجيلية في بيروت وقدمت مراسم التهانيء والتبريك وتلا رئيسها خليل افندي سركيس ما ياتي

اليك ايها الاجنبي مولداً الوطني مبدأً نقدم تهانينا القلبية بعيد الخمسين سنة التي صرفتها جميعاً بيننا معترفين بفضلك ذاكرين بالخير جميل فعلك · ولما كانت واجبات الانسانية تقضي بمكافأتك على خدمتك وطننا وكنا نعلم انا مهما اجتهدنا في ذلك السبيل نقصر عن حق المكافاة رأينا ان نقدم لك ما يدل على اقرارنا بفضلك وجميلك · فقلنا أَنهدي لك التآليف ? فانت المؤلف ام الاموال ومن ميزاتك البذل والقناعة · ثم لم نرَ افضل من ان نقدم لك ذواتنا اسرى عنايتك فاقبلنا يا حضرة الاستاذ العالم الجليل بين اخصائك وان قبولك لعلامة الرضى منك وهذه العريضة برهان منا على فضلك يقرأها نسلك من بعدك ان شاء الله وتعرف الاجيال المقبلة في القرون القادمة شدة تعلقنا بك وعظيم اقرارنا بفضلك على وطننا العزيز · فضعها غير مأمور في الجعبة بين رسائل خلانك واحبائك والمقرين بفضلك وتلامذتك الذين تفرقوا في

انحاء البلاد فكانوا اشعة من نورك بسطت على الانحاء المختلفة تنير العقول وهم حيث ساروا رأوا آثار فضلك بادية في تآليفك الشهيرة . ثم نسأل الله ان يحفظك عمرًا طويلاً ركنًا للعلم ونصيرًا للانسانية وان يجزيك في الآخرة ثوابًا انهُ الكريم الجواد . آمين

ثم مثلت امامه عمدة كنيسة بيروت الانجيلية وتلت ما ياتي ملخصًا

لما كنتم قد وقفتم ذاتكم الكريمة على خدمة انجيل السلام في سورية وقد تقضى عليكم خمسون عامًا في بشرى الخلاص والانذار والتعليم والتأليف وتوزيع الفوائد الروحية والادبية والعلمية وكنتم من اول العاملين في تأسيس كنيستنا الانجيلية في بيروت ولبنان وتوابعهما وقد بذلتم العناية في انمائها بسيرتكم الصالحة و بعظاتكم المؤثرة و بترجمة كتاب الله الى لغتنا العربية و بتدريس العلوم الدينية وتثقيف الاحداث في اشهر مدارس سورية الانجيلية ونشر النبذ والمقالات الروحية التي افدتم بها الوطن في نشرتكم الاسبوعية وغيرها . ولما كنتم قد غرستم في حديقة كنيستنا العزيزة غراسًا اتت ولن تزال تأتي باينع الثمار الآئلة لمجدهِ تعالى وانارة النفوس وارشادها والعزاء والبنيان وكان هذا اليوبيل البهيج مما يضرم فينا

عواطف الثناء عند ذكر تلك المآثر والافضال المرسومة على الواح قلوبنا واذهاننا رسماً لا تمحوه السنون ولما كان سائر ابناء الوطن قدروا هذه العوارف قدرها الجليل وعززوها بادلة الشكر والولاء وجب علينا بطريق اخص نحن الذين تمتعنا باجل تلك الفوائد واسماها قدراً و بركة الاشتراك معهم في بث عواطف الشكر القلبي لسيادتكم والاقرار بسمو فضلكم وجميلكم

ثم قدم الوفد المرسل من سيادة مطران الروم الارثوذكس في بيروت تهنئة تناسب المقام قيل فيها

هنيئاً لكم ايها السيد الجليل والعلامة الفضيل بما حزتم من الطاف الاله المنان ونعم الحكيم الرحمان بل نهنئ انفسنا وطائفتنا خصوصاً و بلادنا السورية وعموم الاقطار الشرقية بان الله الجواد الكريم ترقية لبيروتنا خصوصاً قد امدّكم بالحكمة واسنى الفهم وزوّدكم بالقوى الفضلى واطال سني حياتكم النافعة فانشأتم التآليف العلمية المفيدة واتممتم المساعي الخيرية السنية وصرتم بذلك إماماً في كل غيرة تقوية وخدمة وطنية واتمام الواجبات بكل اخلاص وامنيـة

ونقدمنا[1] اليه مع وفد ينوب عن تلامذته الخارجين من المدرسة الكلية فهنأناه وقدمنا له خطبة قابلنا فيها ما بين سنة مجيئه الى سوريا وسنة يوبيله وما حصل في هذا الغضون من التغيير العظيم في الدنيا عامةً وفي سوريا خاصةً ومنها ما ياتي

ان الذين عمهم السرور بعيدك هذا السعيد وامتلأت افئدتهم من عواطف الاحترام والشكر للعزة الالهية لحفظها ذاتك الكريمة سالماً غانماً وهم بلسان هذا الحقير يقدمون لجنابكم التهاني بهذا العيد المجيد ويهنئونك معي ببلوغك هذا العام بالخير والعافية ويهنئونك معي بسلامة عائلتك الكريمة التي حولك طالبين منه تعالى حفظك لها وحفظها لك وهم معي ايضاً يقدمون واجبات التهنئة لحضرة السيدة الفاضلة قرينتكم بما نالته من توفيق العناية لتكون رفيقة لفاضل نافع نظير شخصكم المحبوب ويكون لها منهُ انجال سادة وسيدات منتظمين في سلك عائلتكم الشريفة كانتظام عقد الثريا

فلتعش انت زمناً مديداً وليدم سرورك بعائلتك ولتمتعك العناية الربانية بقرة العين ورفاه العيش

وسلمت انا لا تزال سوالما   آمالنا بكَ ما سلمت من الردى

(١) جامع هذا الكتاب

كم جئت في الدنيا بيوم ابيضٍ والدهرُ قد جاء بيومٍ اسودا

ثم قدمت عمدت جمعية باكورة سوريا للسيدات فتلت ما ياتي ملخصاً

ايها السيد الجليل

لما كان من الامور المقررة التي لا تحتاج الى برهان ان ترقي الوطن الحقيقي لا يقوم الاَّ بترقية حال النساء الادبية وتهذيب اخلاقهنَّ ولما كانت بلادنا السورية في غاية الاحتياج الى تعليم النساء واصلاح شؤونهنَّ لكي يقدرنَ على اتمام الواجبات الملقاة على عاتقهنَّ وقد قمتم ايها الفاضل الكريم منذ دخولكم قطرنا السوري يبذل الوسائط الفعالة الموصلة الى هذه الغاية ان كان بتآليفكم العديدة على اختلاف مواضيعها التي زينتم بها مكتبة جمعيتنا او او بتعاليمكم المفيدة ام بارشاداتكم ونصائحكم السديدة ام بقدوتكم الحسنة وبالاجمال سائر اعمالكم المبرورة التي ادت الى رفع شأننا واصلاح احوالنا واظهار ما لنا وعلينا من الواجبات لجنسنا البشري

وكذلك عمدة جمعية شمس البر كتبت اليه ما ملخصهُ

ايها السيد والوالد . ان رئيس جمعيتنا شمس البر وعمدتها

وموظفيها وسائر اعضائها يرفعون اليك عن لسان الرئيس جبر افندي ضومط وكاتب الرسائل نجيب افندي صلبي مراسيم التهاني والتبريك بهذا اليوبيل المبارك ويسألون الحق سبحانه وهو اكرم مسؤول ان يمد لنا بايامك سنينا عديدات مقرونة باحسن الصحة واتم الغبطة والسرور

هذا ولا بد ان يذكروا في عرض التهنئة ما كنت لهذه الجمعية من السند الثابت والعضد المساعد وما لك عليها من اليد البيضاء في تنشيطها قولاً وعملاً فكم من مرة خطبت فيها وكم من مرة ترأستها مع ما كان عليك من المهام الاخر الشاغلة وكم من مرة احيت فيها كلماتك روح الحمية والنشاط فعادت الى اعمالها بعد ان دب فيها دبيب اليأس واحساسات الضعف فانت مربيها ان لم نقل انك ابوها وموجدها وبك وباعمالك واقوالك راساً ومآلاً كثيراً ما عاودها الرمق ودب فيها روح النشاط والحمية فضلاً عن كلماتك الحلوة المنشطة لكثير من اولادك اعضائها وماذكرنا هذا الا لتعلم اننا شاكرون حسن صنيعك مقرون بفضلك سراً وجهراً

وفي اثناء الاحتفال قدم جمهور من تلامذة المدرسة الكلية

وتلا احدهم سليم افندي سليم من قصيدة طويلة

ان المغارب ما نالت مآربها
ولا نجت من كؤوس البؤس والنقم

ولا المشارق ضاءت في معالمها زهر الفضائل والامجاد والعظم

لولم يكن فيهما قوم ذوو همم قوم كرام فروع المجد والكرم

قوم كدائرة في الشرق قد عقدوا
فيها الخناصر حول الطيب الهمم

شهم ارى مدحه في فيّ اعذب من ذكر المراتع والآرام والخيم

شهمٌ مطيتهُ للفخر اشهر من قف بالمطايا على انجاد ذي سلم

ذاك الذي قد سمى بالطيب الشيم
والفيلسوف الحكيم الفاضل العلم

فنديك من قد غدا في الغرب مشتهرٌ
في الشرق اشهر من نار على علم

اقليدس الشرق والشيخ الرئيس كذا
اسحاق اهل النهى مع كل ذي قلم

لم يبقَ فنٌّ مفيد للورى ابدًا الاَّ وفيه اتى منهُ بمغتنم

وارسل اليه القس الفاضل مراد افندي الحداد قصيدة غراء منها ما ياتي

يا طاويَ البيد عرج قيد مرحلةٍ
واذكر مقالي لدى شيخٍ سني السمرِ
ان اليوابيل منها فضةٌ حسبت
والبعض من ذهب والبعض من مدرِ
اما الذي عندنا يوبيل أروعنا
فان هذا لياقوت على حجرِ
يوبيل من شهرةُ الاحسان صنعته
تغني عن الذكر بل اعلى من الذكرِ
كلفت نفسك فعل الخير من صغرٍ
فلم يكن لك بد منه في الكبرِ
نقشتَ في قلب كل من بني وطني
مكارم الفضل مثل النقش في الحجرِ
أتفحص الشمس عيني وهي عاجزةٌ
عن فهم نورٍ جرى منها الى القمرِ
اني الطفيليُّ ما هذا المقام لمن
مثلي تقبلْ وقاك الله معتذري

مــا لي لسان ولا فهم ولا قلم
يفي بوصفك غض الطرف وأستترِ
الناس عرفًا نجيمات تدور على
مدار علمك يا بدرًا بلا كدرِ
بلغت خمسين عامًا كنت تصرفها
يومًا فيومًا بمرغوب ومبتكرِ
من رام إدراك ما الفت من كتبٍ
وما جمعت من الأشتات والعبرِ
كمن يحرّك عِدًا صافيــًا ليرى
ما قرَّ في القاع يُبلى ثم بالعكرِ
كرنيليوس لك الخيرات قد ذكرت
لدى المهيمن عن ايمان مختبرِ
فانت بطرس ايضًا مرسل فلهُ
مرصعات بالفاظٍ من الدررِ
ما اكبر الفضل قد اعطاكه الازلي
ترجمت حبًا كتاب المالك القدرِ
ياخادم الدين والآداب عن ثقةٍ
زرعت برًا ستجني سامي الثمرِ

قد كنت طفلاً بثوب الشيخ في فطنٍ
والآن شيخ بثوب الطفل في النكرِ
مجدُ المشيب التقى في ذاتك اتفقا
زدت اكتمالاً لحاق العمر بالعمرِ
حماك باري الورى من كل شائبةٍ
واختط فيك بديع اللطف والنذرِ
هذا الامامُ الخطيب المرشد الحكمُ
الذكي النطاسي الخبيرُ الثبت ذو الفقرِ
والعالمُ الفيلسوف العامل الندوي
بمثلهِ كل سوريٍ ليفتخرِ

وكتب اليه جناب الدكتور شبلي ابلا من صيدا ما خلاصته

ان قلمي قاصر عن ايضاح ما حصلت عليه من فائق السرور عند اقتبالي افادة احتفال يوبيل تشريفكم هذه الديار التي اغتنت من فيض كنوز الفوائد العديدة والمتنوعة التي بذرتموها بين الرفيع والوضيع والتي كانت الوسيلة للنجاح والتقدم وانني لعاجز ايضاً عن ايجاد عبارات كافية تفي عني تقديم مواجب التهاني اللائقة وعلى ذلك فاني اترك لقلبكم السليم ترجمة احساساتي الخالصة

وقدم اليه قصيدة من احد انجاله من اياتها

بعمري هل يومٌ الذّ من اللقا　　بطلعة من تحكي الغزالة في الفجرِ
نعم يافتى يوبيل كرنيليُس غدت　　لياليه بيضاً اذ حكت ليلة القدر
هو العالم النحرير من بصفاته
عبير الشذا قد فاح في اطيب النشر
هو الفيلسوف الفاضل العامل الذكي
حميد المزايا حاذق واسع الصدرِ
ففي كفهِ بحرٌ من الجود قد جرى　　ولكنه بحرٌ بمدٍ بلا جزرِ
طبيب يزيل الداء عنا بلطفه　　حليمٌ كريم عارفٌ جابر الكسرِ
محب لصنع الخير في كل ملةٍ　　عفيف لبيب صادق طيب الذكرِ
فصيح بليغ اس كل فضيلة　　غدا شامة يزهو بجبهة ذا الدهرِ
تآليفهُ تاهت و باهت بعيدهِ　　وقد اصبحت تشدو المدائح بالبشرِ
لقد شاد ركن الدين والعلم والعلا　　واصبح زين الناس بل واحد العصرِ
فأقواله نصح بها للفتى هدى　　والفاظه در الذ من القطرِ

وقدم اليه جناب الشاعر البليغ الشيخ قاسم افندي ابي حسن الكستي بيتي تاريخ من بحر الرمل المستزاد وهاك نصها بالحرف

ان قنديك بارض الشام قد تمت له

مدة الخمسين عاماً وهو بالعيش الرغيد

عيدها بين الورى يا سعد ارخ قد جرى

بالهنا في عصر سلطان العلا عبد الحميد

١٣٠٧

ووردت اليه تهانىء عديدة ورسائل برقية من جهات مختلفة منها رسالة لطيفة من صاحب الدولة شاكر باشا والي ولاية ادنه وقتئذٍ

وكانت الهدية التي قدمت للمرحوم ٥٠٠ ليرة تبرع بها الاصحاب والمريدون والتلامذة وارتأت لجنة اليوبيل تقديمها نقداً لشخصه لنفع شيخوخته وطلبت منه بذلها في خصوصياته راجية اياه الاَّ يفرقها كعادته على المحتاجين

ومن الهدايا التي قدمت في ذلك اليوم السعيد صورة فوتغرافية كبيرة على صفيحة بلور من عمل المصور الشهير عزتلو جرجي بك الصابونجي موضوعة في برواز شرقي جميل

ومنها مكتبة ثمينة مصنوعة من خشب الجوز وضمنها التآليف التي كتبها مجلدة تجليداً متقناً اهداها اليه المرسلون الاميركان

في سوريا

وطاقم قهوة فضي قدمته عمدة مستشفى مار جاورجيوس للروم الارثوذكس

وكتاب فوتغرافي من عمدة المستشفى البروسياني وغير ذلك مما اكتفينا بالاشارة اليه

الاحتفال باليوبيل في المستشفى الارثوذكسي

وفي اثناء الاحتفال باليوبيل دعت عمدة مستشفى ماري جاورجيوس للروم الارثوذكس في بيروت جمهوراً من وجهاء الثغر وادبائه الى قاعة المستشفى و بعد تقديم التهاني القلبية وابداء المسرات والشكر للمولى على انعامه باطالة حياة العلامة لنفع البلاد وخير العباد وقف جناب البارع نعمه افندي شديد يافث ولفظ خطاباً شائقاً جاء ذكره في الفصل الثالث

ثم وقف جناب الاديب جبران افندي فوتيه وتلا القصيدة الآتية

حي الربوع وهنىء الاطلالا   فلقد تباهت غبطة وكمالا
واقرأ بها اي الفلاح وشم بها   برق العلى بذرى الفخار تلالا
واشهد معالمها التي قد اصبحت   ولمجدها تومي الاكف جلالا

ودع الخليط وذكر بانات اللوى … وذر التصابي غرة وضلالا
واهجر هوى سلمى وعزة بعدها … وسعاد والزلفاء والامثالا
ودع المطي يسوقها حادي الدجى … خبباً ووخداً اشاء ام ارقالا
واصرف زمانك للفضائل والعلا … فيراعك المشحوذ احسن فالا
متوشح بمداده في الطرس ان
صال ازدرى الهندي وضاً وصقالا
قلم له تعنو الاسنة مثلما … تعنو لقنديك الطلى اجلالا
علم خطير فيلسوف جهبذ … بحر وقد فات البحور نوالا
وعنى لهُ وهو الاخير زمانهُ … ما كان ظن الاولون محالا
أين ابن سينا من سناه مقامهِ … بل اين سقراط لديه مقالا
اين ابن رشدٍ وابن زهر ينظرا … نِ ابا الرشاد وعمه والخالا
اين الفلاسفة القديم حديثهم … هذا الحديث من القديم فزالا
ماضٍ لحد المرهفاتِ مروع … تحيي بوارق وجهه الآمالا
ما ضره ان هزّ اسمر ناحلاً … أن يستخف اسنة ونصالا
فالنقش في آياته سحر النهى … سحراً ولكن جاء منه حلالا
والنصل مهما دق افرند له … ما قيل الآن فيه نمالا
ياذا الذي قام الكمال بشخصه … والى حماه الفضل شد رحالا
لك في البلاد مآثر في ذكرها … باتَ المحدث يضرب الامثالا

فيك الرياضيات قام نظامها　　وجبرت من كسرٍ بها الاوصالا
والطب في مسعاك طال جناحه　　اذ شاء ربك ينسيء الآجالا
بالكيمياء سبكت اكسير الندى　　فلذا النضار بحر كفك سالا
صرّفت عنا الجهل بدل بالضيا　　ما احسن التصريف والابدالا
لا زلت في بيروت ترفع شأنها　　لازلت فينا عاملاً مفضالا
لازلت ترفل بالتنعم والهنا　　متردياً برد الصفا سربالا
ما هزّج الركب المتيم في الضحى
وسرت بها ريحٌ صباً وشمالا

«وكلّف جماعة المرسلين الاميركان جناب الفاضل الدكتور ادي ان يكتب عنهم بالانكليزية كتاباً وقعوه بايديهم وهاك ما له»

انه قلما تسمح العناية بمثل هذه الفرصة الثمينة فيهنىء المرسلون احدهم ببلوغه خمسين عاماً في الخدمة الشريفة

فاسمح لنا ايها الاخ العزيز المحترم ان نقدم التهانيء لتلك السيدة الفاضلة قرينتك التي هي رفيقة عمرك وسندك

ونهنئك بما احرزته من القوة والعافية فتمكنت اثناء تلك السنين الطوال من القيام بالواجبات المهمة حق القيام ولا يخفى ان جميع المرسلين الذين استقبلوك يوم اتيت سوريا لم يبقَ

منهم احد فيها والخمسة والسبعين شخصاً الذين رافقتهم هُنا بعضهم توقف عن الخوض في ميدان العمل والجهاد الذي انت لم تزل فيه وبعضهم ارتاح الراحة الابدية مكللاً باكليل الظفر الروحي · وبعضهم لم يزالوا احياء في عبر الاوقيانوس يهدونك اشواقهم ويندهشون من ثباتك في الشوط الذي قصّروا هم فيه

ونهنئك لما نلته من التعرُّف بتلك العصابة الشريفة ذوي النفوس الابية الذين كنت واياهم زمناً ورافقتهم في سبيل الفضيلة فسبقوك الى دار البقاء · كالدكتور دوفرست الطبيب الحاذق والدكتور عالي سمث العالم الهمام والمبشر المقدام والدكتور بيدل وسمعان كلهون وادورد فورد · وقد أحكمت لك عرى الصداقة والمودة مع السوريين ايضاً وتعرفت بطنوس الحداد والدكتور ميخائيل مشاقه وميخائيل عرمان وبطرس البستاني وبني عبود فعود ودعيبس وجرجس وغيرهم من الادباء الامناء المخلصين من ابناء المشرق وصاحبتهم وشاركتهم فتركوك وذهبوا الى الابدية

ونهنئك ايضاً بما حصل في ايامك من التقدم في هذه البلدة والترقي في الشؤون العلمية والدينية والمدنية والتمهيد في سبيل اذاعة الحق وبشرى الخلاص في البلاد

ونهنئك ايضاً على ما عاينته من التغير في معاملة الانجيليين

فانهم بعد ان كانوا نفراً يعدون بالاصابع وتحت رحمة روساء مللهم الاصلية اصبحوا يعاملون بنظام خاص صدرت به الارادة السنية السلطانية بعد حلولكم في سوريا بست سنوات وصاروا يتعاملون بالعدالة والنظام العثماني . واصبح عددهم الان (سنة الاحتفال باليوبيل) يربو على اربعة الاف من دافعي الخراج

وبعد مجيئك بثمان سنوات تشيدت اول كنيسة انجيلية في سوريا كان فيها اولاً ١٨ نفراً التأموا من جميع جهات بيروت ولبنان والان صار عدد اعضاء الكنيسة ١٦٢٧ شخصاً ولم يكن للتبشير حينئذٍ سوى اربعة مراكز فالان اصبحت نحو ماية يتردد اليها ما ينيف على خمسة الاف نفس ولم يكن وقتئذٍ معبد للطائفة واما الان فصار لها نحو ٣٠ معبداً ولم يكن آنئذٍ سوى مدرسة عالية واثناعشرة مدرسة ابتدائية للصبيان ومدرسة بسيطة للبنات واما الآن فصارت تحت عناية المجمع الامركي مدرسة لاهوتية وثلث مدارس عالية للاناث وتسع عشرة مدرسة عالية و ١١٧ مدرسة ابتدائية ونحو ستة الآف طالب ثلثهم من الاناث

وقد حدث في ايامك تغير عظيم في المطبعة فلم يكن حينئذٍ للطبع سوى آلة صغيرة تدار باليد يوم كانت المدارس في اشد الحاجة للكتب والمطبوعات الدينية والدنيوية والان بلغ عدد

الكتب المتنوعة في قائمة المطبعة الاميركانية نحو اربعة آلاف كتاب وغدت الالة كبيرة تدار بالبخار وماعداها ست يدوية وآلات عديدة لسكب الحروف وحفر الصور وطبع الحجر والتلبيس والتجليد تجهز من خمسين الى ماية الف مجلد . فما اعظم التقدم الذي حصل بهمتك خاصة وعناية ارفاقك عامة

ونهنئك ايضاً بما توفقت اليه في مهنتك الطبية الاصلية ومع كونك صرت نذيراً بعد ست سنوات ثم اشغلت مراكز اخرى مهمة تستغرق الاوقات مع ذلك فقد لازمت الطبابة ووفيتها حقها وتتبعت درجات تقدمها في هذا القرن العجيب وشاركت الكثيرين من ارفاقك في الكرازة بحاسياتهم وخففت من اثقال بعضهم وهونت من مصائب الاخرين وكنت الواسطة لاطالة عمر الكثيرين ومواساة المصابين منهم وقد بلغ عدد المرضى الذين شفوا عن يدك الوفا في عبيه وصيدا وبيروت وسائر البلاد وعن يدك نال كثيرون البرء الروحي والجسدي معاً

ولك الهناء ايضاً بانك كنت مهذباً واستاذاً وقد ذاعت لك شهرة فائقة في غرس الآداب الصحيحة والقواعد السنية في عقول ابناء البلاد كما يشهد لك في ذلك السواد الاعظم والكتب الجمة . وكنت مبشراً ومؤلفاً نافعاً بكتبك العربية ومقالاتك الدينية والادبية

التي افادت ولم تزل ينبوع حياة لاهالي سوريا وقراء العربية ومنذ ٢٥ سنة اجتمع اخوانك بالكرازة في المطبعة التي تحوَّلت الى مدرسة للبنات في بيروت يهنئونك بنجاز ترجمة التوراة بعد اشتغالك ثماني سنوات بها · ولا بأس من اعادة ما قدموه لك من الشكر على اتمامك ذلك العمل العظيم الذي ظهرت مآثره في هذا الربع من القرن الاخير فقد استلم توزيع التوراة جمعية التوراة الاجنبية والامركية واخذوا يفرقونها في الارض قاصيها ودانيها وصارت تطبع على ٣٤ شكلاً و يصدر منها كل سنة عشرون الف مجلد تتوزع في جميع الانحاء تذاع بها بشرى الخلاص والبركة الى جميع العالمين · وغير خافٍ ان الناس يودون ان تحفظ اسماؤهم في ما هو نافع ودائم ولا شيء انفع وادوم ذكرًا من اسمك المرتبط بكلمة الله الحية الدائمة

ونهنئك في الختام لنجاتك في غضون الخمسين عاماً التي مرت من المخاطر والمصاعب وحفظك بعين العناية من الطوارئ والمصائب فبقيت شمس حياتك تتلألأ بنورها وبهائها وحرارتها فلتعش سعيداً لترى امجاد الصليب في البلاد التي رُفع فيها اوَّلاً وانتي انت باذلٌ جهدك في اعادة اعتباره الحقيقي الى قلوب اهاليها وليكن لك نصيب في حصاد غلة ما زرعت · ولتعش طويلاً تمدُّنا ايانا

والاخرين بالشفاء ولكن لنا الحظ بوجودك بيننا والرجاء بمعاضدتك ايانا بالاراء السديدة وادعيتك الحارة واعمالك العظيمة تمهيداً لسبيل الاحتفال يوبيل الفداء بسيدنا يسوع المسيح وهو اعظم يوبيل ينتظره المؤمنون

واقبل منا ايها العزيز هدية الكتب هذه التي هي تآليفك انت علامة على اعتبارنا لشخص مؤلفها وعربون المحبة من اخوتك واخواتك في الارسالية ومن الذين لهم الحظ ان يدعوا انفسهم اولادك · والسلام

والحاصل ان يوبيله الجليل قد مثّل كما قبل عرفان الجميل وشهد ذلك المحفل الكريم بسمو حياة العلم والتعليم · وما انتظم عقد هذا اليوبيل البديع الا شهادة لنعم تمتع بها الرفيع والوضيع فاجتمع القوم على اختلاف الملل والنحل بصلات تعرب عن فضل العلم والعمل معززة بالجامعة العثمانية والعروة الوطنية تحت لواء « سيدنا ومولانا وسلطاننا الجليل عبد الحميد خان » · الفاتح لتبعته الامينة جنان المعارف في العصر الجديد · الموجه قلبه الابوي لخير رعيته الخاصة الولاء وترقية امورهم ورفاه احوالهم بلا استثناء · والآخذ بناصر العلوم والعلماء · من تمهدت بظله العلوم واذن للعثمانيين وللاجانب بفتح المدارس

وتوسيع نطاق الفنون · وتسابق بنو الوطن لاقتباس المعارف العصرية ودرس العلوم التعليمية والفروع اللغوية · والاطلاع على الحقائق الفلسفية والاخبار التاريخية · وممارسة الاعمال الهندسية · وتحصيل الصناعات الصيدلية والطبية والجراحية · وتعلم الفنون العسكرية ونوال الشهادات الملكية والحقوقية والطبية في المدارس العثمانية والاجنبية وتقاطر اهل الفضل كفانديك الاميركي لتثقيف عقول الشبان وزرع بذار العلم والفضل والدين في هذه البلدان فنمت في العقول اصولها واينعت في النفوس اغصانها وحانت للاذواق اثمارها فرقصت وغردت اطيارها بالامن والصفاء ونادى بوق بويل فانديك هيا ايها الشرقيون على الوفاء وارفعوا اجمعين بتأييد المليك أكف الدعاء فانه ملك سنَّ بارادته النظام فتوطد الامن والسلام فنشَّط النهضة العلمية الجديدة وشيد دور العلم والخير العديدة

جلا ظلمات الجهل عن وجه أمةٍ ... اضاء لها في كوكب العلم آفلهْ
ولاذت بحقويه الخلافة فالتقت ... على خِدرها أرماحه ومناصلهْ

ايد الله معقل ملكه الحصين · وامده بالنصر والظفر المبين · وادام دراريء عدله السوافر شموساً تستضيء بها الاصاغر والاكابر. ووفق وزراءه ورجالَ دولته الفخام لكل ما به العدل والخير

نبذةٌ

في بعض احواله وارائه[1]

ما برح المرحوم الدكتور كرنيليوس فانديك طلب العلم دابه ودرس الطب مشتهاه ُ حتى اتمه كما ذكرنا في مدرسة فيلادلفيا ونال حينئذٍ الدپلوما الرسمية والرتبة الدكتورية من المدرسة الطبية في الثانية والعشرين من عمره وتعين طبيباً مرسلاً لسوريا من قبل المجمع الاميركي جاء اليها ايام تفاقم الاضطرابات فيها ربيع سنة ١٨٤٠ فعاش معظم حياته فيما بيننا وكان آلف الاجانب الى ذوقنا واحبهم الينا واقربهم الى عواطفنا وقلوبنا · ومنذ حلوله في الديار العربية اخذ يدرس اللغة على آلها و ينظر في قواعدها ويحفظ امثالها · ويضبط قراءتها و يدقق في الفاظها · وكان كثير الحفظ لشواهد العرب والاطلاع على اخبارهم واذا اورد مسألة نحوية اورد لها شواهد عديدة قلما توجد في الكتب المتداولة · وقد برع فيها وتمكن حتى لم يعد يمتاز عمن لفظ الضاد بشيء من المنطوق والمفهوم · ولما ارتوى من عذب مناهلها خطر لهُ

(١) ملخصاً عما علقناه على دفاترنا وحواشي كتبنا يوم كنا نتلقى الدروس العلمية والطبية منه في المدرسة الكلية

التأليف فيها واستخراج العلوم من اللغات اليها · فسلمت اللغة العربية اليه مقاليدها فالف فيها التآليف الجزيلة ونقل اليها كثيرًا من فروع العلم الجليلة واصبح

اذا قال لم يترك مقالاً لقائلٍ بملتقطاتٍ لا ترى بينها فصلا
كفى وشفى ما في النفوس ولم يدع لذي اربةٍ في القول جدًّا ولا هزلا

وكان في تعليمهِ متين التحقيق متأنيًا في التقرير · حسن الفكرة · حافظًا للمسائل · صحيح النقل · جامعًا بين العلوم القديمة والحديثة · ذاكرًا التجارب الماضية · مطلعًا وراويًا الاكتشافات الحاضرة · كثير الاحسان للطلبة معلمًا ناصحًا وابًا صالحًا · يشجع الاقوياء ويرق للضعفاء ويشفق على البلداء · وقد تخرَّج على يدهِ في الكلية السوريةِ سبعون طبيبًا وسبعون بكلوريوسًا وسبعة صيادلة كلهم اخذوا الشهادات وتشرفوا بمصادقتهِ عليها بخط يدهِ · واكثرهم عنه حب العلم اخذوا · وعلى اثره بالفضيلة وحسن المقاصد سلكوا · ومن آدابه وكرم اخلاقه رضعوا فغدوا في البلدان بشرف العلم يشرون · وبجميل خصال استاذهم يفتخرون · وهم على الدوام يعددون مآثره ويبكون على فقدهِ ويتأسفون على مصيبة البلاد السورية به

فقد كان وهو في المدرسة الكلية منهمكاً على بث العلم بينهم سالكاً سبيل الحق مراقباً الله والعمل الصالح عالماً حقيقة هذه الدنيا ونسبتها الى الآخرة مجتهداً في اسباب الفضيلة والتقوى معتصماً بارقى مطالب الدين القويم · ولوعاً بحب الخير للجنس البشري مع اختلاف نزعاته · داعياً الى خير الطرائق · حاثاً على الاعتقاد باسمى الحقائق · فما من نية صالحة الا ورأينا فيه اصلها ومستقرها · ولا مأثرة حميدة الا وفي يده زمامها وفي صدره مقرها

مستجمع لا يحل الريث عقدته فيه ولا يمتطي ايغاله العملُ

وكان مع تبحره في العلوم وشهرته بين القوم واطىء الجانب حريصاً على طلب الفوائد حتى انه منذ بعض سنوات اخذ نجله الدكتور وليم فان ديك وذهب به الى فينا لاجل الوقوف على ما هنالك من المعلومات الطبية الجديدة · ومن جميل سيرته انه كان لا يستحقر احداً ولا يستصغر طالباً حتى يسمع كلامه ساذجاً كان او متناهياً · فاذا وجد عند احد فائدة صغيراً كان ام كبيراً لا يستنكف ان تعزى الفائدة الى قائلها ولما رأى ان بنساخة الكتب المدرسية مشقة عظمى على ابناء البلاد عني بطبعها على نفقته خدمة لهم وصرف في سبيل ذلك مالاً جزيلاً · ووقتاً ثميناً طويلاً · وهو موقن ان ما يباع من النسخ قليل لا يفي بالمصاريف

ومع ذلك كانت النشرة الاسبوعية بعهدته والمطبعة الاميركية بادارته يتولى تصحيح كتبها وينتقد مطبوعاتها . واما الكنائس الانجيلية فكانت ترحب به مسرورة يوم يقوم يعظ فيها عظاته . وجمعيات الاداب لا تزال تذكر خطبه الرنانة ومشروعاته الحميدة . فاي عمل خيري لم تكن يده فيه او اي اثر حميد عمومي لم يعتمد فيه عليه ويشار بالبنان اليه ولم يكن جمع المال مذهبه ولا حب الدنيا مشربه على حد قولهم

انفق العمر ناسكاً يطلب العلم بكشفٍ عن اصله وانتقادِ

يستقي الكف من قليب زجاج بغروب اليراع ماء مدادِ

ذا بنان لا يلمس الذهب الاحمر زهداً في العسجد المستفاد

وكان وهو اعجمي اللغة عربي المنطق . وله في محاسن اللغة وبدائع منثورها ومنظومها القول الصحيح والراي الرجيح حتى كان يحسب آية ظاهرة في آدابها واقوالها . واعجوبة باهرة في نكاتها وامثالها . لانه كان قوي البادرة كثير المحفوظات . لذيذ العشرة لطيف المنظر جيد المخبر . وهو يجري معها الى طبع سليم وخلق دمث ومحاورة سارة . وحجة باهرة . ومحاضرة تاخذ بمجامع قلوب العامة . وحكم تدهش عقول الخاصة . وكان قوي الفكرة واسع العقل

مملوءًا من الصنيعة والحشمة كاملاً بالمروءة · واذا حضر مجلساً فيه علماء جعل نفسه سامعاً بينهم · وصاغياً لما كان من قولهم · ولو كان مفوقاً عليهم وكان زمانهُ في سوريا انضر الازمان بالمعارف وعصره ازهر العصور بالعلوم والآداب وهو فيه من النوابغ في كمال ادواته وعلومه مع الكرم المفرط لاهل العلم والمترددين اليه والاحسان الجزيل الى ذوي العوز المستغيثين به وهو كما قيل (لا يدع شماله تعلم ما تصنع يمناه) · وكان في تطبيبه الناس حسن الاخلاق لين العريكة مملوءًا من التواضع والشفقة والانعطاف · ولسكان القطرين الشامي والمصري في طبه شديد الاعتقاد كان يعالجهم تارةً في مستشفى البروسيان · وتارةً في مستشفى الروم الارثوذكس واخرى في بيته وهو لا يبالغ في تكثير المواد العلاجية · ويحرض على حفظ القواعد الصحية · ويأتي في حديثه مع المريض بما يسليه ويسره ويرضيه · وكان بذلك يزيح اشد الاوجاع ويشدّ اضعف العقول · ويعلم افضل الحكم · وكثيراً ما كان يسكب الحقائق في قوالب الامثال السيارة ويفكه النفس بالنكات والابيات المختارة · وكان يقول علموا الحكمة غير اهلها فلا تظلموها ولا تمنعوها اهلها فتظلموها

نعيناهُ حتى للغزالة والسهى فكل تمنى لو فداهُ من الحتمِ

فيا جوهر الارواح ان تمس نائياً   فانك دانٍ في التخيل والوهمِ

وما نحن في ذكر شمائل ڤان ديك والتعطر بنشر ماثره قائمين بالاستحقاق لما لهُ على بلادنا وبالاخص علينا من الفضل الذائع ذكره في الافاق · فانهُ ارضعنا العلوم ودرسنا الفنون وقلدنا مع عمدة المدرسة الكلية سنة ١٨٧٥ شهادة البكلوريوس ومع جمعية الاطباء سنة ١٨٨٢ الدپلوما الطبية وروج بضاعتنا المزجاة · وقرب الينا فروع الحكمة المقصاة · فقد زودنا بحقائق العلم · وداوم معاملتنا باللطف والحلم فلم نرتوِ من زلال المعرفة الا برشحات اقلامه ولم نملئ السمع بدرر المعلومات الا بتقريبطه اذاننا ببدائع كلامه · ومابرح يتنازل لمراسلتنا مع ضيق وقته الى البلاد البعيدة ويخصنا بنصائحه النافعة العديدة ويرشدنا الى سبل العلم الجديدة ويقرب الينا آمال النجاح التي كنا نخالها بعيدة · ويفضل علينا بما لديه من الكتب والجرائد · ويعاملنا بلطفه واحسانه معاملة الوالد وهكذا كان شانه مع جميع تلامذته واصحابه وكل من قصدهُ ولاذ بجنابه

ولن يوتى الثناء بغير فضل   وهل تجنى من اليبس الثمارُ
جمال الشمس ان يثنى عليه   ولولا الشمس ما حسن النهارُ

(عودٌ) وكان فنديكُ يجتزئ باليسير من الغذاء والملبس

غيرعاكف على شيء من الملاذ الدنيوية بل همه الامور الجوهرية يؤثر العزلة على الاجتماع والاجتماع مع من احتاجه على العزلة ويصرف في مكتبته ما فضل من اوقاته عن الواجبات بين مطالعة جرائد وتأليف كتب وتصحيح مسودات . وكنت تراه وهو مرتدٍ بالعباءة الشرقية كأن لسان حاله يقول

ولبس عباءة وتقر عيني احب اليّ من لبس الشفوفِ
وبث معارفٍ في دور علمٍ احب اليّ من كسب الالوفِ

وكان كما قيل فيه (لا تنفتح في الصبح عيناه الا على لائذٍ بجنابه ولا تسير في النهار قدماه الا الى معونة اعدائه واصحابه ولا يغلق في المساء بابه الا على منصرف مرتض واقفاً في بابه ولا يأوي في ليلةٍ غرفته الا لينكب على مكتوباته وكتابه (حياة امتلأت بطاعة الحداثة ونشاط الصبا ومروءة الفتوة واقدام الشباب ومقدرة الكهولة وحكمة الشيخوخة) . وقلما كان يشكو طول الوقت ويعرف اوان الفراغ بل كثيراً ما كان يردد علي مسمعنا قول الراجز

ان الشباب والفراغ والجده مفسدة للمرء اي مفسده

ومما حفظناه ودوناه من اقواله وحكمه قوله في الشرف

شرف الانسان بما يفعله من الاعمال الجميلة لا بما يذكره عن ابائه واجداده من الاعمال الجليلة لان الافتخار الحقيقي يجب ان

يكون للمرء بصفاته المجيدة العصامية لابخصائص آله الطبيعية واعمالهم العظامية على حد قول الشاعر

كن ابن من شئت واكتسب ادباً
يغنيك مضمونه عن النسبِ
ان الفتى من يقول ها انا ذا
ليس الفتى من يقول كان ابي

وفي الفضل كان يقول

افضل العلم وقوف المرء عند علمه وتحقق علم غيرهِ
وافضل المعرفة معرفة الشخص نفسه واعتبار سلوك غيرهِ
وافضل المروءة استبقاء ماء وجهه وصون ماء وجه اخيهِ

وكان يستحب حكم الحكماء ويكرر قولهم (من تحلى بالعفاف ورضي بالكفاف وتجاوز ما يخاف الى ما لا يخاف هو انعم الناس عيشاً بلا خلاف) وهكذا كان سلوكه في حياته النادرة

وفي العلم والجهل كان يردد قولهم

العلم هدي وحياة والجهل ضلال وموت
والفكر نور وهمة والغفلة ظلمة مدلهمة

وفي الممكن والمستحيل يستحسن قولهم

من العبث ان تلتمس المستحيل . وان كان ظاهره يسيرا

ومن الحزم طلب الممكن ۰ وان كان امامك عسيرا

ومن نوادر نكاته القصة الآتية

يقولون ان كل انسان يانس الى شكله كما ان الطير يقع على جنسه فرأى حكيم غرابًا مع حمامة فعجب من شانهما مع مباينتهما في الجنس فاتاهما فاذا كل منهما مكسور الجانح فقال انما جمع بينهما العلة

ومن شواهده في حفظ المودة والاخاء

لا تجفون اخا وان ابصرته لك جافيًا ولما تحب منافيا

فالغصن يذبل ثم يصبح ناضرا والماء يكدر ثم يرجع صافيا

وفي الصبر على تقلبات الزمان قول الشاعر

هم الناس في الدنيا فلا بد من قذى

يلم بعين او يكدر مشربا

وكان فصيح اللسان قوي الحجة واعظًا بليغًا وخطيبًا مصقعًا له مئات من العظات كلها حكم وفوائد ونكات . وهاك واحدة منها وجدناها مقيدة باختصار قدمها على منبر المدرسة الكلية سنة ١٨٨١ قبل تركه اياها بمدة موضوعها « اذكر خالقك ايام شبابك » قال ما خلاصته

ان الشبان والشابات يوصفون اجمالاً بما ياتي

(١) بانهم يمتازون بالقوة والنمو عقلاً وبدنًا وعاطفة

(٢) بان فيهم الميل الى الضعف لقلة الاختبار فيقعون سريعاً

(٣) بان اللجاجة متسلطة عليهم والتقلب قريب منهم

(٤) بانهم اقل صبرًا على عيوب الغير واقل مسامحة للصديق

(٥) بانه يصعب عليهم كظم الغيظ وغلبة العواطف وضبط اللسان وكبح جماح الشهوات · فيجتمع فيهم القوة الجسدية وما يتعلق بها من الادبيات والضعف الاختباري وما يتعلق به من الادبيات والدينيات ·

وقال ان اكثر المشاهير كانوا شباناً كاسكندر الكبير ونيوتون والتاريخ يشهد بان ابطاله رقصوا دورهم في سن ٢٦ الى ٣٩ من اعمارهم

وقال اذاً بماذا يزكي الشاب طريقه

(١) بمعرفته قدر ذاته فقد كان اول تعليم علمه احد فلاسفة اليونان وآخره (اعرف ذاتك) فيجب ان يكون المرء قاضياً على نفسه محولاً فوهة النظارة المكبرة (المجهر) الى ذاته متحققاً انــه بمعرفة الذات معرفة الفضائل · فكم وكم من العلماء والفلاسفة عرفوا الاشياء ما عدا ذواتهم · فليعلم الشاب انه قوي الساعد فيعمل الخير وضعيف الثبات في الواجب فيذكر خالقه ويستمد المعونة منه

(٢) يزكي الشاب طريقه بالتحفظ من التجارب · فعلى الفتى

درس فن الاختبار من الشيخ لان الناموس الطبيعي يقضي بتاسيس المعرفة على الخبرة فالشيخ قد درس ذلك وانفق على تعلمه كثيراً من وقته وقوته وصحته وماله فليتعلم الشاب ذلك منه مجاناً اذا اراد وليعلم ان خلاصة ما انتجته الخبرة عدم العجلة في الحكم على الاشياء وعدم الاستهزاء بمشورة الشيخ العاقل والتعلم ممن حنكته الايام وعركته الاعوام امثولة ذكر الخالق ايام الشباب حفظاً له من التجارب

(٣) يزكي الشاب طريقه بتدريب قواه الادبية على الاستقامة واستواء السبيل وعندي ان الادبيات في الشبان كاسلاك التعرش في دوالي العنب تطلب التمسك في الاشياء والمطالب البعيدة فاذا وجهها الشاب نحو الخير والاستقامة مما تعلمه اياه امثولة ذكر الخالق ثبتت قدمه في الخير والفضيلة والا انحازت عنها الى الشر والرذيلة فليذكر الشاب خالقه ايام شبابه ويربي عواطفه واميااله على رضاه « لان رأس الحكمة مخافة الله »

وآخر عظةٍ قدمها في المدرسة الكلية كان موضوعها التطبيق بين العلم الصحيح والدين الحقيقي بناء على كون كليهما من الله فلا يمكن ان يتناقضا ما زالا صادقين

وكان يعلمنا ان الاسرار التي تتعلق بالخالق والمخلوق والنفس واصل الموجودات ونهايتها التي يعجز الانسان عن ادراكها لا يعلمها

الا الله والمؤمن عليه الايقان بنصوص كتابه القائل ان المعلنات لنا ولبنينا واما الاسرار فللرب الهنا

وكان شديد الثقة بالحقائق العلمية والتجارب الفنية المبنية على المشاهدة والاختبار ولا يرى فيها الكفاءة على تفسير ما وراء المادة لانه يتعذر على العقل فهم حقيقة ما وراء المتناهي فكانت المذاهب المختلفة عنده آراء يتخذها اصحابها سبلاً للبحث وهي تقبل النقض والتغيير

وكان يعتقد بان درس صفات الله والتأمل باعماله الطبيعية وهندسته الدقيقة للكون وخلقه الافلاك والنجوم والكواكب من اعظم الواجبات على الانسان ومما يبعث على زيادة تمجيده تعالى. وان العلم الحقيقي والدين الصحيح رفيقان بل صنوان يعضد احدهما الآخر واما ما يخال بينهما من التناقض فليس بواقع بل هو من قصر الافهام عن ادراك ما بينهما من العلائق لانه ما دام الكتاب الموحى به من الله والعلم الحقيقي منه تعالى ايضاً فلا يمكن ان يتناقضا والعلم لا ينفي وجوب النظر في الاشياء ولو كانت صوراً ذهنية بل من المحقق ان التأمل في صفات الله واعماله ورؤية الجمال الطبيعي في المخلوقات والاطلاع على العلوم والفنون والاختراعات والتدرب على حب الوطن وممارسة الفضائل ونبذ الرذائل التي يتعلمها دارس الكتاب المقدس لما يزيده سعادة في دنياه ويخفف عنه هول

التعاسة في اخراه

وكان يقول ما قاله المرحوم باستور يوم وقف في منصة رئاسة المجمع العلمي الفرنسي ان الطريقة التي سلكها ابطال العلم كغليلو وباسكال ونيوتن وغيرهم في سبيل الوقوف على اسرار الاحياء الطبيعية والوصول الى الحقائق انما هي طريقة الاستقراء والامتحان فهي وان تكن قد ادت بالكثيرين منهم الى المقصود فظنها البعض خطاءً كافيةً لحل كل القضايا والجواب على كل المسائل فمع ذلك قد وجدناها تصل في البحث عما وراء الطبيعة الى مسلك وعرٍ يحار به العقل وتسأم منه النفس فلا يبقى من فرج الا بساطة الكتاب العزيز ولا تتم تعزية ولا راحة الا بنصوصه الادبية وتعاليمه الجوهرية . فاين تحل مشاكل خلق العوالم واصل المواد ووجود الانفس وثوابها وعقابها وخلودها بل كيف تحتمل نكبات الزمان ومصائب الحياة لولا تلك الآيات الشريفة والتعاليم المنيفة التي تطمئن النفس بمواعيدها ويسر القلب بامجادها ويروى غليل العواطف بعذب مناهل جنتها وتضمد جراح النوائب ببلسم سلامها ورحمتها فهل تتخلص الانفس من عقال شرورها الا بالتئام الرحمة مع الحق على ما في الكتاب العزيز

وعندما كانت المناقشة دائرة بيننا وبين جناب العالم الفاضل

الدكتور شبلي شميل في الحياة والتولد الذاتي سألناه عن رأيه في ذلك فقال موافقاً لرأينا

لو كان التولد الذاتي ثابتاً لكان اولى في الكلورفيل النباتي مما في البروتوبلاسما الحيواني وذلك

(١) لان الاول يحول بحسب طبيعته المواد غير الآلية الى آلية واما الثاني فيحول الآلية الى نفسه فاذا امكن تولد البروتوبلاسما الحيواني لذاته كان النباتي اولى بذلك منه واكثر ظهوراً

(٢) لان التولد يقضي غالباً بان تكون المواد المتولدة اثبت كينونة والحال ان البروتوبلاسما الحيواني اقل ثباتاً وبقاء من الكلورفل النباتي

وقال في ذلك ايضاً ان العلماء مع اختلافهم في تحديد الحياة واستناد بعضهم على التولد الذاتي فرضاً بلا دليل فلا احد منهم يجسر على القول بان الحي يتولد من غير حي

وقال في المقابلة بين المنع والعلاج

قلما يكترث الناس للعلم مجرداً بل هم يجدون في طلبه املاً بالعمل . فقد قال احد مشاهير الاطباء «اني وان كنت نجحت بالطبابة فاكثر نجاحي بالعمل ومنع الامراض. واقله بالعلم والعلاج لامكان وقوع الشك في الاول واما الثاني فلا ريب فيه

الفصل الرابع

﴿ وفاة فقيد سوريا ومراثيه ﴾

ولو عاش فينا بعض عيش فعاله لاخلقَ أعمار النسور القشاعمِ
فان توهَ في الدنيا دعائم عمرهِ فما فضلهُ فيها بواهي الدعائمِ
اذا المرءُ لم تهدم علاهُ حياتهُ فليس له الموت الجميل بهادمِ

فجع الوطن وبنوه والادب وذووه · والطب وطلابه · والعلم واربابه · بعلامة البلاد السورية · وعالم الاقطار العربية · استاذنا المرحوم كرنيليوس فان ديك · اخترمته المنية في صباح الاربعاء الواقع في ١٣ تشرين الثاني سنة ١٨٩٥ فكان لمنعاه رنة حزن تفطرت لها الاكباد ولمأتمه يوم ارتجت لهوله البلاد لان المرحوم قضى معظم عمره كما تقدم في خدمة الوطن وتهذيب بنيه وصرف قصارى جهده في توسيع نطاق العلم وتنشيط ذويه فكان للطب استاذاً كبيراً وللانسانية عماداً ونصيراً · وله في تثقيف عقول الطلبة اليد البيضاء وتهذيب اخلاق ابناء البلاد الهمة العليا

فويح المنايا ما درت كيف حادث رمت سيداً في كفه كل مغنمِ
ثوى بين احجار الثرى ولقد غدا يضوعُ به النادي زكيَّ التنسمِ

وبناء على ما شاع بان الفقيد اوصى الا يؤبن توقف الادباء والشعراء عن تأبينه وفي قلوبهم جمرات من التحسر والتحزن عليه

وفي نفوسهم شوق الى رثائه وعلى السنتهم الوف من الاقوال والاحاديث عن اوصافه الشريفه واعماله العظيمة وما ثره الجليلة

وما كان منع الادباء والشعراء عن تأبين فقيد سور يا وذكر بعض ما ثره بهين علينا لو لم يكن ذلك موصىً به منه تواضعاً رحمه الله . ولما كان تعداد مناقبه الشريفة وذكر اعمالهِ الحميدة من الامور المشتهاة عند القوم وكانت المراثي لا تخلو من الفائدة والعظة لا سيما ما وضع منها في محله لذلك اثرنا جمع ترجمة حياته ومراثي الادباء والعلماء لهُ حفظاً لآثار فضله وحثاً على الاقتداء به . وقد جعلنا ادارة الطبيب مرجع ذلك واعلنا فيه ان من يريد ان يتحفنا بشيء نغدو له من الشاكرين فجاءتنا المراثي من جميع الجهات شاهدة بواسع شهرته وعظيم قدره

فبقي عليَّ انا اخص تلامذته واخرهم معاشرة له واكثرهم افتخاراً بزيارته واشدهم حرصاً على تقييد نكاته وحفظ اثاره واخصهم لدى عائلته الكريمة ان استميح الاذن من حضرة الفاضلة لرملته المصونة ونجليه المحترمين واجمع ما أُرسل اليَّ من القصائد لاضمها الى ما جمعت من اوصافه ودونت من نفثات اقلامه فنلت الاذن وباشرت العمل فكان ما امكنا جمعه منها ما ترى مرتباً بحسب تاريخ وروده

قال جناب العالم العامل والشاعر الفاضل ابرهيم افندي حوراني

مات الطبيب بداء من داواهُ وشفاهُ فالقدرُ الذي اعياهُ
سفه الذي قال المجرَّب ناجعٌ ابداً وانكار القضاء سفاهُ
فلكم قضى مثل ابن سينا للقضا بدوى رويعي الضان ما اضناه
ولكم شفى المحموم من حمى الردى كرنيلوس ومات في حماهُ
برح الخفاء فلا طبيب خالدٌ في ارضنا والحي رهن رداهُ
اسفي على فنديك ما بكت العلى اربابها وبكى اليتيم اباهُ
اسفي على شمس المحيا ما بدت شمس الصباح وجددت ذكراهُ
اسفي على بحر المعارف ما جرت سفن بما أملى لنا ورواهُ
اسفي على من كان يمنع نفسهُ رغداً ويمنح طالباً جدواهُ
اسفي وما اسفي عليه بنافع والمرء يربي خطبه باساهُ
من لي بمن يجري على سنن الحجى
والطبع يعدل عن سواء هداهُ
ولكم وصفت لمبتلىً صبراً ولم اصبر على المعشار من بلواهُ
ما في صفات كتاب طبي لامرء الا دواء ذوقه يأباهُ
فابكوا فقد جئتم اليها بالبكا وبه يودع راحل دنياهُ
امجاور الارواح في الفردوس هل ادركت كنه الكون من مجلاهُ

وعلمت ما سر الحياة وهل ترى في داركم من عالم اياهُ
سرٌّ جهلناهُ ونعلم ان من فوق الثرى من امره اشباهُ
أبني الطبيعة خففوا اقوالكم فوجودكم لم تدركوا معناهُ
مالي وللاسرار تلك لمن لهُ سري وحسب النفس ما ابداهُ
فتنبهوا يا قوم ان امامكم يوماً جبابرة الوغى تخشاهُ
وقفوا على عمل الصلاح زمانكم فهناك ما ناتي هنا نلقاهُ
خاطبتكم بخلاصة العلم الذي ولع الفقيد بجمعهِ ووعاهُ
وسمعته منه واذكر قولهُ سبحان من خلق الورى بمناهُ
رفع السماء وزانها بكواكب دهش الحكيم بها وحار نهاهُ
لم يعرف الانسان غير هباءَةٍ منها وذا ما شاهدت عيناهُ
ويلٌ لمن ينفي الاله فانهُ سارٍ بنير سبيلهُ بدجاهُ
اخليل سورية الوفي لكم بها ذكرٌ على الادهار لا تنساهُ
تاتي بيوم الغرض ناطقةً بهِ وهناك ينشر ما البيان طواهُ
هنئت جاورت الكريم بمنزلٍ في وصفه قلم البليغ عصاهُ
فلك السلامة والكرامة عندهُ وعليك خير سلامه ورضاهُ
ما وحدته الكائنات وقدست اسماءه الاقلام والافواهُ

« قال جناب الشاعر الاديب محمد افندي جواد »

صُمّت لصوت نعيك الاسماعُ ياطود كيف عدا عليك زماعُ
ما كنتُ احسب ان تروعك نكبةٌ فلقد علمتُ الليث كيف يُراعُ
في وهدةٍ دفنوا علاك وطالما شرفت بك الوهدات والايفاعُ
قسماً لعمر ابي على رغم العلى تلك الشمائلُ في الرغام تُضاعُ
حُمّت ليوم نواك كلُّ حشاشةٍ بجوى الاسى اذ حمَّ منك وداعُ
مُنِعت بك المقل الكرى واستبطنت
سهدًا فليس يلذُّها تهجاعُ
هذه يدُ العلياء جبَّ ذراعها اذ مدَّ نحوك للمنية باعُ
قد أُسخنت فيك المدامع اذ جرت
بلهيب كلّ حشاشـةٍ تلتاعُ
لم نعص فيك سوى التجلد والاسى
والحزن بعدك والزفيرُ مطاعُ
ولطالما صُنتُ الجوى عن حادثٍ
فالآن سرُّ الوجد فيك مذاعُ
ندبتك فوق الايك كلُّ شجيةٍ في سجعها ومن البكا تسجاعُ
ولشدَّ ما هرقت عليك دموعها بيضُ المهارق واستهل يراعُ

في فضلك السامي قد اتفق الورى ... وعلى جلالك يُعقد الاجماعُ
فُتَّ الانام علاً فان باهيتهم ... كنت المليك وكلهم اتباعُ
قد يُستطاع ذُرى النجوم للامس ... ان كان مجدك للورى يُسطاعُ
كرمُ الشمائل والسماحةُ والندى ... في الخلق مكتسبٌ وفيك طباعُ
قد جفَّ ضرعُ المزن بعدك والحيا ... اكدى فلا خصبٌ ولا امراعُ
لم ندَّخر عنك النفيس لفدية ... لو ان نفسك بالنفوس تباعُ
ولما اعتللنا عنك في دفع الردى ... لو كف من غرب المنون دفاعُ
نحن الرزايا لو نسام فهل لنا ... منجىً على ان الحتوف سباعُ
ان البقاء وان أُطيل الى مدى ... فاربأ بنفسك فالحيوة متاعُ
رُزئت بفنديك البلاد سحابها ... الغادي وفُلَّ حسامها القطاعُ
خمسين عاماً قد اقام بنفعها ... يقظاً يباين طرفهُ تهجاعُ
ما ضاع من ضاعت نوافح ذكره ... فاستافها الآناف والاسماعُ
هل تثبتُ الافلاك في ذروَاتها ... واُحتثَّ قطب علومها اذماعُ
لِم لم تكوَّر بعده شمس الضحى ... ولقد كساها من سناهُ شعاعُ
وعجبت كيف يضيق متسع الفلا ... عن مجده حتى حواه ذراعُ
امروَّع الآساد في آجامها ... اصبحت قسراً بالمنون تراعُ
ومقارعِ الايام عن حدثاتها ... الوى بعزمك للحتوف قراعُ
لا تبعدنَّ وتلك دعوة واجد ... ظفرت به الكربات والاوجاعُ

واذهب كماء المزن يحمدُ غبهُ هضُبٌ تغوِّر بعده وبقاعُ
رأمت ثراك فارضعته ثُديَّها وطفاء يحفز خطوها ايراعُ
وانحل فوق رباه معقود الحيا فجرعنهُ العقدات والاجراعُ

« وقال جناب الشاعر الفاضل رزق افندي حداد . ب . ع »

كان في النية ان يتلى على الضريح ولكن وصية الفقيد حالت دون ذلك

بكتك المعالي فهي فيك ثواكلُ
وشقّت جيوبُ المجدِ فالخطب هائلُ
وصُدِّع طودُ العلم من رنّة الاسى
فروضُ الاماني منهُ اصفرُ ذابلُ
هوى الكوكبُ الدريُّ من أُفق العلى
فوقعُ الصدى للغرب والشرق شاملُ
ونور الهدى قد غاب في حالك الدجي
فكيف ترى تجلى لدينا المشاكلُ
ألا قفْ قليلاً جانب الرمس واعتبر
بما فعلت فينا الخطوب الغوائلُ
فذا فيلسوف الشرق قطبُ زمانه
قضى صاغراً لم تجدِ عنه الوسائلُ

وما ردَّ منه العلم سهم حمامه
ولم يغنِ عنهُ فضلهُ المتكاملُ
فمن كان بين الفرقدين طلوعهُ
ترى أنه في أسفل الترب آفلُ
ومن فاق رُهط المحدثين بعلمه
«وجاء بما لم تستطعه الاوائلُ»
تراهُ غدا في ظلمة اللحد صامتاً
تقول فلا يدري بما انت قائلُ
وما كانت الحمى سوى جهد نفسه
فأودت بجسمٍ أنهكته المشاغلُ
واني أرى جيش المنايا عرمرماً
ولكنَّ أسباب الحياة قلائلُ
أقمت لنا في موتك اليوم عبرةً
ليبصر ذو عقل ويرتدَّ جاهلُ
فموتك فيه للانام فوائدٌ
وذكرك فيه للعطاش مناهلُ
وانت الذي ما عابه قطُّ عائبٌ
وأيقن كل الناس انك كاملُ

الا نم سعيداً ضمن ما انت نازلٌ
فقد طال فينا جهدك المتواصلُ
وانت احقُّ الناس بالراحة التي
تدوم ولا تسطو عليها النوازلُ
ومن قد قضى ايامهُ وهو ساهرٌ
يطيب الكرى في جفنه وهو غافلُ
وقد كان اولى ان تعيش مخلداً
ولو كنت تفدى لافتدتك القبائلُ
فسوريةٌ تبكي لفقدك دائماً
بكاء يتيمٍ فاتهُ منك نائلُ
تقول وقد أنت من الوجد والاسى
رحلت وصبري بعدك اليوم راحلُ
وتدعو ومن لي بعد فنديك في الورى
وقد أُخذت مني الرجال الفطاحلُ
فلو كنت تدري ما تقاسي من النوى
لما كنت هذه الدار يوماً تزايلُ
ولا بدع أن تسقي ثراك دموعها
فكم قد سقتها من نداك جداولُ

وانت الذي قد شدت فيها مآثراً
لنا ليس يمحوها المدى المتطاولُ
وقفت لها هذي الحياة تكرماً
وعن نفعها لم يلهكَ الدهر شاغلُ
حياةٌ أتت مثل الربيع فكلها
فضائل تزهو في الورى وفواضلُ
فذكرك فيها لا يزال مطيباً
تجدِّدهُ فينا الضحى والأَصائلُ
الا ايها القبر الذي ضمَّ نعشهُ
ترفق به واُهنأ بما انت حاملُ
ففيك الذي عمَّ البلاد بنوره
وكانت به قبلاً تزانُ المحافلُ
وفيك ثوت كل المكارم والعلى
وقد جمعت فيك النهى والفضائلُ
عليك سلام الله ما بلل النَّدى
ثراك وما سحَّت عليك المواطلُ

« وقال عالم العراق ومخترع الخط الجديد جناب الاديب الاريب »
« زهاوي زاده فضيلتلو جميل صدقي افندي في بغداد »

اسفاً على العلَم الذي في التربِ قد اضحى دفينا
فانديك ذاك العالم آل نحريرُ قد ذاق المنونا
ذاك الذي وقف الحيا تَ لاجل ان يهدي ذوينا
لولا مساعيه لنشـ ـر العلم كنا جاهلينا
لولا التآليفُ التي ابدى بها الحق المبينا
واباد في تأليفها من عمره الشطر الثمينا
لرأيتنا دون الانا م جميعهم متأخرينا
يالوعةً تذكي القلو ب وعبرةً تدمي الجفونا
ان الرزايا قد اصا بت ذلك الطود الرزينا
واحسرتا كان الذي قد كنت اخشى ان يكونا
خطبٌ المّ صروفها فاصابت الدرّ الثمينا
ورزيةٍ عمت اولى شرفِ الفضيلة اجمعينا
ياموت انك قد هدمت من العلى ركناً ركينا
لهفي عليه فانه رقّى بهمتهِ بنينا
تركَ البلاد بلادهُ واتى يذيع العلم فينا

خدم العلوم وكان في   خدماته برًّا امينا
فكانه للعلم مد   يونٌ وقد ادّى الديونا
اعظم به من حادثٍ   اجرى بما نجم العيونا
الدهر خان به فمن   ذا يأمن الدهر الخؤنا
ذاك الذي اتخذ الفضيلة مذهباً والعلم دينا
بكت النصارى والهيو   دلموتهِ والمسلمونا
أحيا الفنون وانه   ما مات من احيا الفنونا

« وقال جناب الشاعر الناثر نجيب افندي شاهين المحرر في »
« جريدتي المقطم والمقتطف »

نام الحبيب وطال عهدُ كراهُ   وقضى المحبُّ وما انقضت ذكراهُ
وثوى الامامُ وكلَّ حدُّ لسانهِ   لكنْ في الآذانِ ظلَّ صداهُ
وهوى الشهابُ وكان قبل هبوطه   يرعى النجوم بطرفهِ وعصاهُ
لكننا صرنا على طول المدى   نرعى النجوم لهجرهِ ونواهُ
واندكَّ طودُ العلم بعد رسوخهِ   مثل المقطم في قلوب عداهُ
ومضى عن الدنيا وخلَّف بعدهُ   اثرًا يعظمه بنو دنياهُ
عقدوا القلوب على ولاه كانما   فرضٌ على كل القلوب ولاهُ
مات الحكيمُ فرددوا في اثرهِ   آي العزا مما تلا ورواهُ

مات الطبيب فعاش بعد مماته الـداء الذي في العيش خاف لقاه

وهمى الغمام مودعاً ندًّا له وجرى ليلثم تربه وثراه

ان الكريم بجوده السامي غدا «كالنقش في الحجر» الاصم نداه

والفاضل العلم المؤمم ذو الهدى «جبر» لمكسور الفؤاد هداه

ما هذه الدنيا سوى «مرآة» ما يجلي لنا بعد النوى مرآه

يبكي الحكيم بها ويبتسم الجهو ل ولو درى لبكت دماً عيناه

والعيش مثل «رسوم هندسة» بها وهم وظل حقيقة اشباه

لولا «كتاب الحق» ينشر بيننا عمي الهداة عن الصراط وتاهوا

يا سيداً حاز المكارم في الورى مما اقام وما جنته يداه

اني لنا فيك العزاء وكلنا يبكي ويندب في العلوم اباه

لا صبر بعد نواك يرضاه الملا فاعزم صبراً اضاع نهاه

«والطب» ناح على ضريحك قائلاً ذهب (الرئيس) ولا رئيس سواه

والبر قد فارقت يارجل التقى عبث الفساد بزرعه وجناه

كل على بلواك اقلقه الاسى الا الردى اذ كنت انت رداه

نوى لك الشر الجسيم بقلبه واعد ما يبغي لنيل مناه

حتى اذا القاك يوماً عاجزاً وعلى لقاك السعد قد وافاه

والدهر اسعفه وقد غفل الرقيب سطا عليك بغدره وخناه

ما كنت ترضخ للردى لو لم يكن قدر الاله على الورى وقضاه

لله من عزم بقلبك قد ثوى افيرتضي قلب الثرى مثواهُ
أو يرتضي علم بصدرك ضجعةً في اللحد بعد الرحب في سكناهُ
ام هل عرا تلك المدارك نكبةٌ اودت بها كالجسم من حماهُ
فالروحُ لا يسطو على اركانها خللٌ يعيث بها ولا اشباهُ
بل بعد عهدٍ لا يطول زمانه يحظى الورى كلٌّ بمن يهواهُ
يا آلهُ لا تجزعوا من بعدهِ فعزاؤُكم من بعده نجلاهُ
ان الاله قد اصطفاهُ منةً فاجاب لما ربُّه ناداهُ
ودعاه «بطرس» للجنان مناديًا كرنيليوس اسجد لربك ياهو
وتجملوا بالصبر يا اصحابه يهديكم الصبر الجميل اللهُ

« وقال جناب الاستاذ الشاعر اسكندر افندي صافي »

أرى كبر الافراح في خلقنا همًّا وصحة حال المرء في كونه سقما
وقد قضت الاقدار أنَّ حياتنا تكون لنا داءً واسلمها خصما
فقد اوقفتها الحال في منصب القضا
فكان ردى الاحياء في شرعها حكما
هي العلةُ الكبرى لا يجاد حزننا وانهاؤُها بالموت آيتها العظمى
اذا جاء سهم الموت عن قوس حكمه فأبصر حيٍّ عن ملاقاته أعمى
والاَّ لما أردى حكيماً بموته أحل الرَّدى في كل قلبٍ لهُ سهما

فرناتها صاغت كلاماً مفادهُ نرى الموت ذا جهل فقد قتل العلما
وزلزل عرش الطب فانحطَّ مجدهُ
ومادت صروح الحق اذ اتلف الفهما
واظلم جوُّ الرشد اذ ان شمسه توارت ولولا الله قلنا اختفت ظلما
وقامت بدور العلم ولولة الاسى ويوم قضى فنديك ألبسها اليتما
فويلاهُ من يومٍ بمغربه اختفت مع الشمس شمس أهدت العالم الغما
أيا بحر علمٍ درُّهُ صار ادمعاً واياته موتاً ومرجانهُ دما
أفضت عيون العين اذ غضت تاركا لركاب سفن العلم داهيـة دهما
حياك الذي كان الحياة لعلمهم تحول لما حلت عن امرهم سما
أيا بدر سوريا أنرت بجوها زماناً به نور المعارف قد عمَّا
وغبت فاضحت لا ترى ارض طرقها كسارٍ بتيه وهو في ليلة ظلما
وقد مدحت دهراً احلاك دارها وقد اشبعت يوماً دهاك به ذما
وقد شدت فيها مرصداً ادمع عينه يسيل اسىً ما راقبت عينه نجما
نصوغ لنا في مرصد الشكر مرقباً
نراعي به اضواك في المستوى الاسمى
ايا رب طبٍّ اعجز الطبَّ دواؤهُ لسر حباه الله في صدره كتما
حياتك كانت موت ادواءٍ كانما وموتك احياها واجفاننا ادمى
وانت الذي قد كنت روحاً لعصرنا اذا كانت الايام من كله الجسما

نقطعت الاكباد يوم قضى به　　عليك الردى بالموت تحت يد الحمى
فطبق بيروت الاسى وجنابها　　تميد لخطبٍ وقعهُ طحن العظما
واحدق بالدار التي مات ربها　　الوفٌ فذا يبكي وهذا لذا يغمى
وآخر في الافكار والحزن واجمٌ　　واخر يدمي الخد من حزنه لطما
ومنهم من لا يدرك الخطب فكره　　ومنهم من يملا سماع الردى شتما
اختلافٌ بحالاتٍ يرى ناظرٌ لها　　فيحسب بعد الفكر ما شامه حلما
اتعرف ايدي الموت ما اغتال ظلمها　　فان عرفت قل تلك لا تعرف الحلما
ايدرك داءٌ احرم الناس خيرهم　　بمن سار عن ارض تضج اسى حمًّا
لقد حل في الايتام موت ملاذهم　　كصاعقةٍ في الصرح تورثه الهدما
فكان لمن يبكي ابا خير من ابٍ　　وكان لباكي الأم في حرقةٍ أُمّا
هدى كل ذي فضل نراه بحكمةٍ　　حقائق لقمانٍ لديها غدت رجما
فما ردَّ يوماً طالباً عن سؤاله　　كأن صار ردُّ الناس عن بابه حرما
ويرويه فعل الخير حتى لو انه　　مضت ساعةٌ من دون فضلٍ بها يظما
وما جدَّ في الاوطان مأثرةٌ وما　　رأينا له ما بين اسهمها سهما
وغايتهُ خير البلاد فلا ترى　　لهُ عملاً الاّهُ حتى اذا اوما
توارى بوقتٍ ذمه كل ناطقٍ　　وعاد لترب جاءَ من بعضه قدما
بتربٍ يرى الابريز لا قيمةً له　　اذا كان يدري سرَّ جوهر ما ضما
ليدرك سرًّا حجبه لا يجوزها　　مقيم بجسم كان في بابه ختما

وخلف زُهراً نورها طبق الفضا | اذا اعتبرت كانت لغايته رسما
وآثار فضلٍ اجمع الفضل كله | يكن كله من نزرِ افضاله قسما
لقد باين الدنيا الى فضل ربه | ليلبس اكليلاً أُعدَّ له تما

ولـه تاريخ وفاته

لا يقتل الداء من في عمره أجلُ | ولا يفيد علاجٌ ان اتى القدرُ
قال الردى لأبن دنيانا ومن معه | أرخ بحمى قضى فانديك فاعتبروا

١٨٩٥

« وقال جناب الشاعر الاديب حسن افندي راسم حجازي »
« كاتب المحكمة الاهلية بشبين الكوم بمصر »

هو الدهر الخؤون وكم يوافي | من الامجاد اصحاب التوافي
فكم دهم السراة بكل أمرٍ | يعود الحال منـه غير صافي
فلا تغتر ان ابدى ابتساماً | فان تغتر منه فانت جافي
وايقن ان من في الارض جمعاً | سيفنيه الاله بلا خلافِ
فكم من قبل من ظنوا خلودا | فعادوا بالمصائب في تلاف
فذا حبرٌ جليل قد تسامى | وليس لرفع رتبته منافي
به العرفان قد لاقى مناه | وبالاحشاء منـه ذو غلاف

هو الدكتور فان ديك المعالي　　شهير الفضل رب الاكتشاف
توسم بالعلوم فنال قدراً　　رفيعاً بين ارباب العفاف
فوافاه المنون وكان حبراً　　جليلاً في معاليه الطراف
وامسى في الثرى والذكر باقٍ　　بآثارٍ له ملأ الفيافي
فيا اسف المعارف بعد شهمٍ　　له في العلم اقدام الزحاف
لتنعيه الاماجد والافاضل　　فعنهم ذلك امسى في اعتكاف

« وقال جناب الشاعر الاديب اسعد افندي داغر »

راش في شرقنا الحمام سهامه　　ورمى فأصاب اعظم هامه
رمية أصمت النهى والمت　　بعماد الهدى وركن الشهامه
رمية سكَّت المسامع منها　　رنة هزّت العراق وشامه
انشبت سهمها فافقد جيد الـ　　دهر عقداً ووجنة العصر شامه
رمية اجرت الدموع بوادي الـ　　نيل نيلاً وصدعت اهرامه
رمية اقصدت فاودت بشيخ الـ　　فضل شيخ الوقار شيخ الكرامه
اقصدته يد المنون ونقا　　دُ الغوالي الجياد نال مرامه
اقصدته وحينما اخترمته　　اكبر الخلق فقده واخترامه
كوكب العلم تاه في افق بيرو　　تَ فارخى ليل الحداد ظلامه
علم الشرق قد قضى وعليه الـ　　شرق امسى منكساً اعلامه

يا لها من مصيبة لم تغادر — من صواب العقول قدر قلامه
لم يجد عندها الجلود اصطبارًا — واضاع المنطيق فيها كلامه
برح الحزن بالجميع فكلٌّ — منه في وجهه عليه علامه
ذاك يبكي الحبر الابر وهذا ال — فيلسوف الاغر والعلامه
سار راثٍ طبيبه ودواه — خلف باكٍ استاذهُ وامامه
ذاك ينعي قدام باك وهذا — اثر راثٍ يتلو اسيفًا امامه
اعوز الصبر حزننا وبهذا ال — نقص لاقى كماله وتمامه
ايها الموت لا أبا لك اغمض — عن اذى الشرق عين زرقا اليمامه
كم همام يا موت بعد همامٍ — غلته سائقًا اليه حمامه
كم صفيٍّ كدَّرته ووفيٍّ — خنتَ يا ايها الغدور ذمامه
كم طويت الافراح فينا فخالت — لغمومٍ نشرتها كالغمامه
كان قنديك صارفًا نحو دفع ال — ضرّ عنا يا موت منك اهتمامه
فابتغيت انفصاله عن اناسٍ — ودَّ كلٌّ منهم اليه انضمامه
غلت منا قنديك ابن جلا المع — روف فينا بدون وضع العمامه
غلت منا يا موت اكبر نفًّا — عٍ مفيد فينا الاله اقامه
غلت منا انموذج البر منها — جَ التقى والصلاح والاستقامه
غلت فردًا في العد لكن له في ال — مجد شأن سام اجل مقامه
قيمة انكرت فدلّ عليها — عددٌ صدّق الورى ارقامه

من يرى بعده السقيم طبيباً   شافياً داءه مزيلا سقامه
من يفيد الجهول علماً وفهماً   بعد فقد العلامة الفهامه
أيهاذا الذي مضى بعد ما كا   ن قضى في انتفاعنا ايامه
والفقيد المغادر الحزن فينا   ضاربًا كيما أراد خيامه
خطبنا فيك يا ابا الفضل خطبٌ   جللٌ آلمٌ الفؤاد وضامه
غبت عنا لكنَّ شخصك باقٍ   كلنا ناظرٌ له قدامه
ولئن متَّ فاذدكارك حيٌّ   كل يوم حتى تقوم القيامه
لك ذكرٌ في الشرق في كل بيتٍ   فاح يزري قيصومه وخزامه
لك طيَّ التوراة في الشرق ذكرٌ   كلما نشرت ارتنا التزامه
وبمرآتك الوضية نلقى   لك شخصاً تهوى العيون ارتسامه
وتصانيفك التي العد فاقت   وتناهت ضخامةً وجسامه
كل هذي ممثلات اباها   بثغور مفترة بسامه
وسواها مذكراتٌ كثيرا   تٌ وعنها سكت خوف السآمه
فهنيئاً لمن يعيش كما عشـت وطوبى من مثلك الموت سامه
والذي في الحياة يبدأ خيراً   يحسنُ اللهُ في الممات ختامه

«وقال جناب الشاعر الاديب مخائيل افندي رستم من نيويورك»

أَلا ما لوجه الكون أَصبح مغبرًا وما للأَسى قد عمَّمَ البحر والبرَّا
وما لجلاميد الصخور تشققت وسالت فاجرت دمعها سائلاً بحرا
وما لصروح الفضل قد دُكَّ طودها وما لجيوش الفخر قد هزمت دُحرا
وما لبيوت الدين صرنَ طوامساً وما لسهول البر قد اصبحت وعرا
وما لربوع الفضل والمجد قد عفت
وما لرياض العلم قد اصبحت قفرا
ومالي ارى دوح الفضائل والتقى به يبسٌ من بعد ان كان مخضرًّا
ومالي ارى غصن المكارم عاريًا وعهدي به قد كان مكتسياً زهرا
ومالي ارى دار الفنون تسربلت بثوبِ سوادٍ بعد حلتها الغرَّا
وما لثغور الشرق بعد تبسمٍ غدونَ تُرى يبكين من كبدٍ حرى
مضى رجلُ الدنيا وجوهر فردها مضى من غدت اعماله تشرح الصدرا
مضى العالم المشهور من ذاع صيته وذكرا اسمه في الكون بات لنا عطرا
دنى اجلٌ اذ ذاك سلم روحه الى خالق الاكوان من اصدر الامرا
فتباً لذا الموت الذي يهلك الورى وتباً لذا الداء الذي يقصف العمرا
فمالك يا ذا الموت تخطف بغتةً كبارًا صغارًا اذ تدار كهم غدرا
فتكتَ بشيخ خادم الله صالحٍ بطشت به ظلماً وأتلفته قهرا
الا وهو فنديك الطبيب الحكيم من لعمري لقد لاقى السماء له خدرا

هو الجهبذ الندب التقيُّ الذي وان ... مضى فهو حيٌّ ناطقٌ بيننا ذكرا

فكيف يحل القبر من حلَّ حبه ... الفؤاد اليس القلبُ منزله الاحرى

فاين الذي من كان يدهش نثرهُ ... العقول لعمري وهو يسحرها شعرا

ووطَّد متناً في الديانة ثابتاً ... وقد عطل البهتان والجحد والكفرا

والف في اللاهوت كتباً مفيدةً ... وعلمنا الانساب والطبَّ والجبرا

وكم وهب المحتاج في الضيق نهضةً ... وكم حسنات للمساكين قد اجرى

لئن سار عن هذه الديار بجسمه ... فلا بد ان تبقى كتاباته الدهرا

فيا ايها الناس اذرفوا الدمع واندبوا ... ويا اهل سور يا مصيبتكم كبرى

وما كنت من آل القريض وانما ... مصابٌ عظيم فعله ينطق الصخرا

عليه من المولى هواطل رحمةٍ ... وألهمنا في ذا المصاب به الصبرا

وقال ايضاً

أنَّ قلبي من تباريح الكربْ ... وفؤادي ذاب من حرّ النُّوبْ

وضميري ارتاع والفكر اضطرب ... وقوى جسمي اعياها التعب

من خطوبٍ دهمت كل الانام

بدَّدت شمل مسراتي الهموم ... فتبدَّت مقلتي ترعى النجوم

ليست الايام في حالٍ تدوم ... انما الدهر خؤونٌ وظلوم

ضاق في احواله شرح الكلام

ملأت أنواؤه الجو الوسيع　　وذرت ارياحه الحصن المنيع
ولقد أفنى بدنيانا الجميع　　حيث لم يستبق شيخاً ورضيع
دون ان يرشفه كاس الحمام

اين من افناهم الدهر المديد　　مثل نمرود وجليات العنيد
اين الاسكندر ذو العزم الشديد　　اين كسرى اين هرون الرشيد
كلهم ولّوا كطيف في المنام

خابت الآمال في جمع الصحاب　　مرةً الأ الى يوم الحساب
فلدوا للموت وابنوا للخراب　　انما مرجعكم هذا التراب
يا لقوم ضمكم هذا المقام

صرعتنا اليوم ويلات المنون　　فأسالت عبرةً تدمي العيون
ولكم قد قرّحت منا الجفون　　وازادت في الحشى حرّ الشجون
مذ خسرنا فاضلاً برّا همام

ذلك الدكتور فنديك الشهير　　ذو الخلال الغرّ والشان الخطير
فبكاه الطبُّ والعلم الكثير　　ولغاتٌ في مبانيها خبير
أينت من فضلهُ حاكى الغمام

علمه الواسع قطبٌ للعلوم　　بالرياضيات او رصد النجوم
وبتأليفاته خير العموم　　يالها فائدة عظمى تدوم
ما تجلى البدرُ في جنح الظلام

« وقال جناب الشاعر الاديب امين افندي ناصر الدين »

ما للعلى أبدت أسىً وعويلا والمكرمات تفجعاً وغليلا
ولمَ المعارف والمدارس اصبحت ثكلى تجرُّ من الحداد ذيولا
قالوا قضى فنديك مرشدنا وفي قفر الرَّدى اضحى يجدُّ رحيلا
طودهوى فهوى الكمال واوشكت هذي المرابع أن تصيرَ طلولا
لاغروَ إن بكتِ الفنونُ لفقده بمدامع حاكت بهنَّ سيولا
وأتت تؤبنه العلومُ بحسرةٍ ظهرتْ وتندبهُ ضحىً واصيلا
فلطالما قد دبجت اقلامهُ كتباً وخطتْ اسطراً وفصولا
ولطالما غمرَ العفاةَ بجودهِ ورأى الكثيرَ من الهباتِ قليلا
ولكم شفى سقماً تلبث في الحشى وازالَ داءً في الفؤادِ دخيلا
فليجرِ فنُّ الطبِ ادمع لوعةٍ تنهل ما عاد الطبيب عليلا
ما غيبوهُ في الثرى حتى غدت تشكو جسوم بني العباد نحولا
ما بال من قهر السقام مراغماً في التربِ غادره السقام جديلا
عبثت به ايدي المنون وليتها عبثت بمن تخذَ الضلال خليلا
ضنت به الايام من بخل لذا بعثت اليه من الحمام رسولا
رزءٌ جسيمٌ ما أحقُّ بحابسٍ فيه المدامع ان يعد جهولا
خطبٌ تصدعت القلوب لوقعهِ جزعاً وشهرت النحوس نصولا
لو أنصفتهُ الشمس لم تشرق على الدُّنيا وخولها المصاب أفولا

أو لو وفت شهب الثريا حقه يوماً لاصبح عقدها محلولا
يا نائياً ترك المحاجر بعده عبرى وجسم المكرمات ضئيلا
والناس بين تلهف وتأسف لا يرتضون عن البكاء عدولا
حل البلاد مغادراً اوطانه فسقى العباد من الرشاد شمولا
ذرفت لفرقتك العيون دماً وما من ادمع بقيت بها فتسيلا
وبكى عليك النقش في الحجر الذي
امسى على ما قد حويت دليلا
ومحيط دائرة العروض حوى من ال حزن المخلد وافراً وطويلا
والعلم انكد والفنون جميعها من ان تظل لراسها اكليلا
ارضعت اهل الشام ثدي معارف وانلتهم بذكائك المامولا
وكسوتهم حلل النهى ولذاك قد امسى مصابك في البلاد جليلا
ما زلت تدأب في اقتباس فوائد حتى كشفت الغامض المجهولا
وسبرت غور حقائق جلت الى ان صرت في جوف التراب نزيلا
فلتسق قبرك مزنة هتانة ترويه ما هب النسيم بليلا

« وقال جناب الشاعر الاديب الياس افندي حنيكاتي البيروتي »

ليس يا قوم للفؤاد عزاء في ديار سكانها غرباء

وغراب الفراق ينعبُ فيها وجميع المسافرين سواء
ليس تحنو لبائس او غنيٍّ ليس منها للعالمين رجاء
ما لها هدنة لنرجو هناءً مستحيلاً غدا لديها الهناء
فاذا اقبلتْ بلتْ بمصابٍ كان من دونه اسًى و بلاء
واذا ما جنتْ جنتْ لعذابٍ وتولى على القلوب عناء
واذا واصلتْ صلتْ نار غدر فبكل الاحوال منها شقاء
لم نجد راحة بها مذ فطرنا بل خطوباً عنت لها الانبياء
ليت شعري اين الملوك الاوالي والموالي العظام والحكماء
اين حلت ركابهم واقاموا لهف قلبي طوتهم الغبراء
وارتنا ذا اليوم خطباً جليلاً قد دوت من وقوعه الارجاء
خطب شيخ عفّ الازار نبيل خطب شيخ له القلوب فداء
الطبيب اللبيب فانديك من كا نت تباهي بشخصه الادباء
فيلسوف الشرق الذي حاز ذكراً عاطراً شرفت به الانحاء
قد فقدنا بفقده طود علمٍ كان منه لشرقنا الارتقاء
قد فقدنا بفقده خير شهم ليس يُلفى لذاته نظراء
قد فقدنا والله اثمن ذخرٍ حسدت ارضنا عليه السماء
ليس بدعاً اذا بكينا دماءً فعلى مثله يحق البكاء
كم اتانا بطبه من دواء شفيتْ من عيانه السقماء

ابن منه الشيخ الرئيس اذا ما … جس نبضاً بدا لديه الداء

هو شيخ الرئيس لا بل امامٌ … ان جرت في مضماره العلماء

(فبمرآته الوضية) ابدى … ما حوته الغبراء والزرقاء

(وبتشخيصه الطبيعي) ترآت … للبرايا نفائسٌ غرّاء

(وعلى نقشه) دلائل قامت … شاهداتٍ لفضله وضاء

كم لهُ في اقطارنا من اياد … طفحت من راحاتها آلاء

وبصنع الجميل كم شد ازراً … لفقير فزال عنهُ العناء

اسفاه على فقيدٍ فريدٍ … وعزيز به يعزُّ العزاء

فبماذا ارثيك يا خير مولى … قصرتْ عن اوصافه الشعراء

وباي الكلام بعد كلامٍ … في حشانا تؤبن الخطباء

ذهل الفكر يا عماد رجانا … اثر رزء من دونه الارزاء

وتوفي الوفاء والحلم ولى … وربوع الندى محاها البلاء

واذا الرأس ضعضعتهُ صروف … الدهر دكت لوقعه الاعضاء

رحم الله منك بدراً وعزّى … آلك الغرّ ما شدتْ ورقاء

ولــه ايضــاً

تاريخ لضريح المرحوم الدكتور فنديك

يا زائراً رمس فنديك الذي اشتهرتْ

آثارهُ الغرُّ بين البدو والحضرِ

قف خاشعاً واقره اذكى السلام فذا فرضٌ على كل سوريٍّ بلا عذرِ
هذا الطبيب الذي احيى مدارسنا ببثه العلم في الآصال والبكرِ
هذا الطبيب الذي ما كان يشغله في مدة العمر الا خدمة البشرِ
قضى الحيوة قويماً في مبادئه كريم نفس نقي الخبر والخُبرِ
فيا دعامة سوريا وزهرتها ابشر بفوزك في العلياء بالوطرِ
وان ذكرك يا قطب المعارف في التاريخ اهنأ غدا كالنقش في الحجرِ
٥٧ ١٠٠٥ ٥٠١ ٢٤٢٩٠

١٨٩٥

« وقال جناب الشاعر الاديب عباس افندي المصفي »

في الناس لا ينبو ردًى وحِمام وعن القضا لاتهجع الاحكامُ
والارض ثكلى بالمصائب والعنا وجميع لذات الملا اوهامُ
وفواجع الدهر الخؤون كنانةٌ فيها لاجسادِ الانام سهامُ
لم يقضَ يومٌ اذ يقال لقد مضى للّحدِ ذا كهل وذاك غلامُ
والموت يختار الجياد من الورى مع ان ارزاء العظام عظامُ
كالشرق في الخطب الجسيم لفقده
فنديك اذ عبثت به الاسقامُ
بدر هوى من قبة المجد التي امسى بها لفراقه اظلامُ

من غاله حتف فبعد مصابه لم يبق فادحة لها آلام
خطب تفاقم بالاسى فكانما لم تات بعد بمثله الايام
خطب له في العصر اعظم حسرة وله بافئدة الملا ايلام
غادرت ياقطب المعارف والحجى كل العلوم فانها ايتام
وتركت مرصدك الذي اضحى له بعد الفراق تفجع وهيام
فكما يقام لدى الورى لك مأتم فكذا باجرام السماء يقام
وبكاك فن الطب يا قطب فما لسواك كانت تشتكي الاجسام
وكذا الرياضيات اظهرت الاسى
وابت بان يك ما عداك امام
وكذابكاك النقش في الحجر الذي رقمت به الاراء والاحكام
لله كم خطت يداك صحائفاً اضحت تتيه بنصها الاقلام
تبكي العلوم فقيدها بمدامع ذرفت فلم يكفف لها اسجام
فغدا له بين البرية حسرة منها بافئدة الانام ضرام
تجري الدموع لذا المصاب كما جرى
من راحتيه الجود والانعام
فلئن قضى ففعاله لاتنقضي مهما توالت بعدها الاعوام
كل يموت مغادر الدنيا وما لفتى بها منذ القديم دوام
فلتسق يا فنديك قبرك مزنة ويسح للرضوان فيه غمام

وليبق ذكرك في البرية ما همى غيث وما عقب النهار ظلامُ

«وقال جناب الشاعر الاديب امين افندي فهد الخوري»

ويلاهُ يفني الموت في كراتهِ آحاد هذا الكون مع كراتـهِ
ويدس ما بين الانـام بنفثه سم المكاره من شقا آفاتهِ
فلكم سقى اهل الصفا فتجرَّعوا مر الاسى والغم من كاساتهِ
ولكم دنا من أمةٍ فتفرقت وتمزقت ايدي سبا بشتاتهِ
ولكم غزا حصناً وامنع معقلٍ فاندكّ هذا وذاك من غزواته
واستأسر الابطال من ابراجها وسبى الكماة بسيفه وكماتـهِ
لا تثبت الفرسان في صولاتها ان قام يلقاهم بجيش مشـاتهِ
فل الجهابذة العظـام اذا اتى لنزالهم بسهامـهِ وقناته
اترى يصادمه جبابرة الوغى واهتزت الارضون من صدماتهِ
وعلا الوجوه الاصفرار لوفده وارتجت الاسماع من زأراتـه
وجفت لهُ الا كباد من حركاتهِ ووهت قوى الاجسام من هجماته
وعرا القلوب تفجع وتولع من لمع ماضيه ومن ضرباته
فمتى قضى ودعا فكل سامعٌ حتى الاصماء ندا اصواتـه
يا من نجوت اليوم منهُ فانهُ آتٍ وانت تسير في نكباته
قد جال ما بين الانـام كانهُ ليث الفرائس جال في غاباتهِ

يغتال هذا ثم ذاك فمن له ... عزم الثبات متى رأى وثباته

فيغور نحو الآمر الناهي وما ... من قوة تحميه من غاراته

اردى العصي مجندلاً وقساً فلا ... يعنو عن المسكين في حالاته

من هوله هلك الالى بعلومهم ... شادوا المعاقل لاتقا غدراته

سعي الطبيب وطبه وعلومه ... وهدى الحكيم تضيع في حملاته

لم يأت في عدد من الاعوام ما ... قد جاءه ذا اليوم في ساعاته

فتكت يداه بمفرد بين الورى ... كنا نفضله على ربواته

فرد كريم ذكره يغنيك عن ... احسانه وصفاً وعن حسناته

هو سيد العلماء قنديك الذي ... سارت شعوب في ضيا مشكاته

لما نعاه البرق هال نعيه ... ركن العلى واندك في صعقاته

واسود وجه المكرمات من الاسى ... فلبسن اثواباً حكت ظلماته

والعلم ذرعاً ضاق وسع نطاقه ... والطب يسكب نائحاً عبراته

والشرق عند غروب شمس علومه ... امست غيوم الحزن من راياته

فبكى وابكى عيون اهليه دماً ... من طفله وصبيه وفتاته

وكذاك من علمائه وشيوخه ... ورجاله ونسائه وبناته

وفقيره ومريضه وتعيسه ... حتى ومن اعيانه وسراته

عثر الزمان بما اتاه عثرة ... باتت تساوي الالف من عثراته

عظم المصاب على الجميع بفقده ... فامات صبر كرامهم بمماته

والخطب جلّ به فحلّ بهم ضني ال
اجساد والاكباد من لوعاته
خطب تأجج في القلوب وفي الحشى
نار الاسى والضيم من جمراته
خطب رايت الشرق فيه مبرحاً وسمعت ما يبكيك من اناته
خطب جسيم لو درى اهواله صم الصخور لشق من حسراته
اوحل في نفس الحمام وباله لبكى وناح وزاد في صرخاته
خطب عميم للبلاد بفقد من كان اماماً للهدى وهداته
ومن الذي كان الشهير الفيلسو ف اللوذعي الالمعي بذاته
ومن المحبة والتواضع والطها رة واللطافة بعض بعض صفاته
يسمو على الطائي في عظم الندى وهبات معن الجود بعض هباته
هذا الذي جادت يداهُ بمالهِ وعلومه وذكاهُ مع اوقاته
هذا الذي مثل السموأل قد اتى حسن الوفا ونقيضه لم ياته
ومن الذي نال المديح لفضلهِ حتى ومن حساده وعداته
من حار فيهِ الوقت والاعمال من اقدامهِ ونشاطه وثباته
واتى العلوم فكان بحراً زاخراً وهي البواخرُ سرن في لجاته
ولهُ بها كتب بدت انوارها في الشرق تسطع في جميع جهاته
وهدى الغواة معلماً ومنادياً براحم الازلي مع بركاته

ودعا الجموع زمانه بامانةٍ لتقى الالــه فكان خير دعاتهِ
ولكم تلا عظةً تريك بلاغةً ورداهُ يلفظ عنه اسمى عظاته
اسفي على فنديك يحجبه الثرى ويحل داعي البين في ساحاته
او ان يبيت بحفرةٍ ومقره كان العلى وسناه مع فسحاته
اسفي عليهِ ما رأى طرفي السما يرعى الكواكب مع جميع بكاته
اسفي على فنديك ما ذكر الورى افضاله وعديد مجموعاتهِ
اسفي على من قد اتى سوريةً اسمى الفوائد من سنا خدماتهِ
لا غرو ان اسفت عليهِ وقلبها مطبوعة ذكراه في صفحاتهِ
هيهات ان نحظى بحبرٍ مثله من بعده مَن نقتفي خطواتهِ
لله من رجلٍ عجيبٍ لو بدا زمن المسيح لعدَّ ، من آياتهِ
عدوا المهابة والشهامة والذكا وسنا المروءة من بهاء سماتهِ
تخذ الاله نجاءه متعبدًا متخشعًا: في ليله وغداتهِ
فاناله اسنى الهبات لانه قد جاء بالايمان في صلواتهِ
وتسلم الوزنات منه فزاد في ارباحهِ خمسًا على وزناتهِ
منها القيام باشرف الاعمال في تعريبهِ الانجيل مع توراتهِ
وبخدمة الدين الذي فيه اتى ما جاء خير قسوسهِ ورعاتهِ
يامن جزيل الخير من اعمالهِ والحكمة الغراء من كلماتهِ
بدواك بالامس العليل نجا فهل من داء خطبك من دوا لنجاته

كلاً فان الداء صار دواءه كاس الضنى يسقيه من رشفاته
فلئن بكيناك فانت ممجد جذل برب مع كرام ثقاته
طوباك في الدارين قد نلت الجزا طوبى لمن تبع الهدى بحياته
سقياً لقبر جثته وجواره سقياً لما يحواه من امواته
اضريح فنديك الشهير لقد غدا فيك الابرليوم نثر رفاته
فاحرص على الدرر التي اودعتها فالترب حرس الدر من عاداته
واحفظ نفائس من اطايب صيته بين الورى كالند في جناته
من تحفظ الاجيال ذكر جميله طول المدى ما ضاع من نفحاته

« وقال جناب البارع البكالور الدكتور امين بك ابي خاطر »
« طبيب بلدية زحلة مؤرخاً »

قضى العالم النحرير قطب زمانه ففطر اكباداً عليه تقطع
له الشرف الاسمى ببذل حيوته لنشر علوم لا تضر وتنفع
فولى ولم يترك مقالاً لقائلٍ ولم يبق للكتاب ثمة مطمع
حيوة جهادٍ قد قضاها نزيهة فلم يبق في قوس التنازع منزع
لسان الملا نادى بتاريخ حينه حشاشة نفسٍ ودعت يوم ودعوا

سنة ١٨٩٥

« وقال جناب الكاتب الاديب عيسى افندي اسكندر معلوف »

اثارُ فنديك في بيروت منطبعه
بها جميع بلاد الشرق منتفعه
فكوكب الغرب في أرض المشارق قد
بث العلوم ومحض الحب قد دفعه
هل ظل قطرٌ بممات الشهم ما صدعه
او ظل شخص أليم الرزء ما صرعه
أنى التفتنا نرى الآثار تحملنا
أن نرثينَّ غيوراً ذا تقى ودعه
نبكي طبيباً رياضياً أخا ادبٍ
وفيلسوفاً حكيماً نعم ما جمعه
قد قام يخدم حتى الموت موطننا
شيخاً جليلاً وطول العمر ما منعه
له التآليف « بالمرآة » ننظرها
« محيط دائرة » التشخيص ذات سعه
وروضة الزهر جبراً ذات «هندسةٍ»
تروي الظماء « بأنسابٍ » لها منعة

نرى « البثولوجيا والكيميا طُرَفاً »
اصول هيئتها تبني بما وسعه
هي النفائس مثل «النقش في حجرٍ»
تبقى على نوب الايـام ممتنعه
وكم له كتباً غراء نافعةً
ديناً ودنيا بها ابدى لنا ورعه
سعى مساعي خيرٍ غير مدخرٍ
وسعاً لذلك رب العرش قد رفعه
ونـال خير جزاء عن أمانته
منه لقاء الذي في قلبه وضعه
سبعاً وسبعين عاش القطب ينشرفي
خمسٍ وخمسين منها بيننا بِدعه
يدوم في أرض سوريـا له خبرٌ
يحيي البلاد وان مات الفخار معه
آثارنا ان محا تاريخها قدم
آثار فانديك في بيروت منطبعه
١٨٩٥

« وقال جناب القس الفاضل والشاعر المجيد مراد افندي الحداد »

فقد الكريم غرامة صماء غرماءها العقلاء والجهلاء
وجماعة العقلا تُقدر قدرها ولئن نفاها الجهلُ والجبناء
وعبارة التعديل في أربابها الف لشخصٍ ههنا بتراء
والموتُ سلطانٌ يصول يبطشه وجنوده الأدواء والارزاء
يجري بلا قدمٍ ويُتهمُ انهُ النقادُ احياناً له أهواء
ولئن تقادم عهدهُ فشبابهُ متجددٌ وبسيرهِ عداء
وضجيجُ أهل الارض من كرّاته متتابعٌ ودعاته الرقباء
يسطو بعضبٍ لامردّ لفتكه كل الحراب امام ذاك هباء
لكن أتى فنديك ما أتى ناقلٍ إياهُ كي تحظى به العلياء
فمضى بشيبةِ صالحٍ اكليلهُ نسج التقى وحصاته بيضاء
وبعرش فاديه ثوى واسم جديد ناله وثيابهُ غراء
عجباً لفنديك المعالي قدوعى علما وعاهُ الأرض والزرقاء
عجباً لهذاك الجسيم فقدحوى روحاً مجوّل جولها الخضراء
قبل الرحيل قصدته فوجدته بحراً كعادته علاه صفاء
والبحر يعلم انهُ بحرٌ ولا يدري القرارُ وما به اشياء
فحمدتُ محمود البرايا كلها اذ صحّ لي قبل الفراق لقاء

يا وجنة الحكما وقائد امرهم تزهو بروضة علمه العلماء
فسطوره تملا بطون طروسه والكتب مع ماقد حوت خرساء
وحديثها في ما يرصعه لهم دون اعتراض كلها ندماء
شيخ جليل القدر وافر حكمةٍ في عصره دانت له الأدواء
هذا فقيد الشرق اية بلدةٍ لم تاتها من فضله انداء
كم فاه بالنطق المفوه فارتضت منه الالوف ومنهم الفقهاء
خضعت له الأقوال والاعمال والـ أمثال والأحكام والآراء
بحرٌ أفاض على البلاد جواهراً غرراً ولم تُسمع له أنواء
راعٍ له في ذي البلاد مواعظاً نخست قلوباً غُلفها صماء
ياليت اصدافي تحيط بدرّه حسبي المقول لذاك تلك وعاء
من لا يرى من فضله ما عمنا فالعين منه وان رأت عمياء
البعض محصى عمره الأعوام والبعض الشهور وعظمهم إغواء
والشيخ هذا بالثواني عمره عن كلِّ ثانيةٍ يقوم ثناء
كم من الوفٍ تستقرّ بجهلها وعلى الاصابع تحسب الفضلاء
فلكم ذكرت بلفظة اسمك شاهداً يقضي فترضى حكمهُ الخصماء
ولكم وضعت يداً على وعكٍ فقا مَ بعون باريه شي النعماء
الطب يافنديك ولول لاطماً والعلم ناح وحارت الأدباء
وتقول اين معالج المرضى بفر طِ اللطف بعدك لا يرى لطفاء

فاسودَّ لبنان و بيروتُ كذا الفيحاء والشهباء والزوراء

قامت تعزّي القوم عنك مولفاتك وهي رشدٌ للبلادِ غناء

فقنعت في الدنيا بفعل الخير اذ بغياك في العليا هناك هناء

دُست الذي ما أتى عناه شقاء رمت الذي معنى رجاه بقاء

ومع اتساعك وامتدادك صُنْتَ عن ان تعتريك الكبريا وريا

ومع اهتمامك وانشغالك لم يعكر كاسك السراء والضراء

فتبارك المولى الذي اعطاك في الدنيا وفي العليا العطاء سماء

ما اللحدُ منزلُ مثلهِ لكنهُ أهلت به الأملاكُ والأبراء

والشمسُ لا في الرمس بل في مجدها آثارها ضمن الشعاع بهاء

والبدرُ لا في القبر بل بكمالهِ لا يعتري جسمانهُ اعباء

فنديك ان تحكم فقد قطعت جهيزةُ كلَّ قولٍ قالهُ الخطباء

فنديك قد ندر النظير لفوح مسكِ الذكر منك فعطر الارجاء

فنديك حلوٌ ان نطقت فقل به من مثلهِ تتبارك الأسماء

عن وصفهِ قصر اللسانُ وفضلت لولا الحمية ضمها الشعراء

من بحر علمك واجتناء ثمار ما يجنى المورخ تبتغي النبلاء

ولبسط الاف الحقائق ضمن تا ريخ يفيه تختفي السحراء

« وقال جناب الاستاذ البارع ابراهيم افندي »

« ناصيف عطيه »

لا الفقدُ فقدٌ ولا الخسرانُ خسرانُ
لا الرزء رزءٌ ولا الأحزانُ أحزانُ
كلٌّ لهُ في الورى قدرٌ ومنزلةٌ
عليهِ من نفسه للوصفِ برهانُ

فما المغالاةُ في أمرٍ سوى شططٍ — لهُ برجعهِ وكسٌ ونقصانُ
كم سارَ في مهمهِ التأبين عن عمهٍ — أوْ عن مقاصد رجلانٌ وفرسانُ
يامن تظنُّ غلوَّ القولِ مأثرةً — مهلاً فللمدحِ والمرثاةِ ميزانُ
كم باقلٍ إذ ثوى بالرمسِ أبنهُ — جمعٌ غفيرٌ ونادوا يا سليمانُ
كم جاهلٍ اذ طواهُ اللحدُ قيل لهُ — يا عالمٌ ما لهُ في الناسِ أقرانُ
كم من جبانٍ خيالُ الليل خوّفه — تأبينهُ كان ما ضاهاهُ شجعانُ

كم حاسب الديك مرّة ثم حين قضى
قالوا بكى فقدهُ جودٌ واحسانُ
كم ضاع قولٌ كما في جيد خالصةٍ
لآلىءٌ بخست قدراً وعقيانُ

ان قال قومٌ وجنحُ الليل في حالكٍ
هذا نهارٌ فهم لاشكَّ عميانُ
انَّ الرثاء الذي في غيرِ موضعه
ذمٌّ وللقائل المغترّ بهتانُ
لكلِّ شخصٍ نرى وصفاً يليقُ بـهِ
وكلُّ قومٍ لهمْ في العصر غُرّانُ
حقَّ الرثاء لمن تفخرُ الأنام بـه
يبكيه عصرٌ وافرادٌ وأوطانُ
فنديكُ من كان في الافاق مشتهرًا
وذكرُهُ في رياض العلم ريحانُ
فنديكُ قام مقـام الالف منفردًا
وهل يقومُ مقام الألف انسانُ
شيخُ التقى الفاضلُ المفضالُ من ظهرت
منـه الفضائلُ بالأعمال تزدانُ
تكفيهِ ترجمةُ التوراةِ مفخرةً كنزُ النفوس بها رشدٌ وبنيانُ
تبكيه مستشفياتُ الخير اسفةً من فقدهِ نابها للخير حرمـانُ
فلطفـهُ لسقامٍ والدوا امتزجا فكان منه لهم برءٌ وسلوانُ
الطبُّ ناح على بقراطه اسفاً عراهُ من بعده يتمٌ وخسرانُ

اقليدسُ العصر كم من سرّ هندسة منه لغامضه كشفٌ وتبيانُ
الجبر بعدك يا ڤنديك منكسرٌ
واهي القوى وعليك الدهرَ حسرانُ
أريتنا الأرض في المرآة قد ظهرت
أقسامها كرةٌ فيها وبلدانُ
ان قلتُ قسٌ فما قسٌ يقاسُ به
ولا يقاسُ به قيس ولقمانُ
ربُّ الفصاحة والاراء في حكمٍ
يُطوى الأنامُ ولا يطويه نسيانُ
تبكي المنابر خسرانًا ألمَّ بها وذاك من لفظه درٌّ ومرجانُ
يا من أحاط بفنِّ الشعر قد عجزت
عن حق تأبينه للشعر أوزانُ
ان ظلت الشعرا تحصي مناقبهُ فكلما مرَّ شهر تمَّ ديوانُ
يا بحر علمٍ بلحد بات مكتنفاً ماضمَّ قلبك قطُّ البحرَ أكفانُ
تبقى تآليفك الغراء ساطعةً ما بان شمسٌ وللانسان أزمانُ
قد كنت للخير في سورية علماً عليه من فعله للخير نيرانُ
فدكٌ لكن بها آثارُ ما فعلت يداهُ لا يعتريها الدهر كتمانُ
نرى الردى بكرام القوم يفجعنا كأنما حسدٌ منه وعدوانُ

نبكيك يا علم الأعلام ما سجعت حمام أيك وسح الدمع أجفان
يا قبر أبشر ففيك اليوم لؤلؤة وما لأمثالها في الدر وجدان
لك انفخار بأن صرت الغلاف لها
فاحرص عليها ليوم البعث تصطان
بشيبة قد قضى فنديك صالحة
وعاش لله عمراً وهو يقظان
ناداه أبشر بسعد لا نفاد له
عليك مني مدى الأدهار رضوان

«وقال جناب النطاسي الدكتور سالم افندي ابي خليل ب٠ع»

أيا غافلاً ان المنون لها غدر تذكر بها دوماً فقد ينفع الذكر
تراه ينام العمر في غفلاته ولا يرعوي عن غيه ما له زجر
ستوقظه الايام من وسناته ويخني عليه الامس واليوم والدهر
وريب منون كيفما شاء لاعب بحبل حياة غلها العسر والاسر
فجعنا بطود في المعارف شامخ فهاج له بحر وماد له بر
لعمري قد ضاقت علي مذاهبي وضاقت علي الارض والجو والبحر

فصبري ابى عن ان يلمّ بساحتي وحيلة من ضاقت مذاهبه الصبرُ
وجرحي لن يبرا ودمعي من دمي وعيشي لن يصفى ويسري هو العسرُ
غداة نعي شخص المكارم والندى ومولى علومٍ قد يضيق لها الحصرُ
وربّ المعالي والمعارف والتقى وصاحب فضلٍ لا يزول له ذكرُ
اخو العلم جد الحلم عمّ مكارمٍ ابو المجد دانٍ من قرابته الفخرُ
بكاهُ اسًا طبٌّ وعلمٌ كلاهما وناح عليه النحو والشعر والنثرُ
امولاي قد اوردتني العلم فائضاً فعددت حتى فاضت النفس والعمرُ
فابكي وما الخنساء اجدر بالبكا فان فقدت صخرًا فقد فقد البرُّ
وان كان ما اغنى عن الموت طبه فقد حل اوثاقًا لهُ ولها قدرُ
وان هو قد امسى طريح ضريحهِ فقد شاد ما يبقى ويبقى له الدهرُ
وان اظلم اليومْ الصبيح بوجههِ فقد كان صبحاً في الظلام له فجرُ
فاورى وادى للمعالي حقوقها وقضى حياةً لم يشنها له وزرُ
وارّج ارجاء البلاد مـآثرًا وعطرٌ آفاق البلاد لهُ ذكرُ
وشيد اركان العلوم معزّزًا وصحح اجساماً أُعدّ لها قبرُ
فيـا يومه اني افلت بشمسهِ ويا شمسهُ هل يا ترى يطلع الفجرُ
ويا ايها القبر الذي قد ضممتهُ سقتك الغوادي هاطلاتٍ لها قطرُ

« وقال جناب الكاتب الاديب رفعتلو حكمت بك شريف من »
« اعيان طرابلس الشام »

لحال المرء في الدنيا عجيب ... وهذا الدهر يا صحبي مريب
يقرّب للبعيد تراه دوماً ... ويبعد للقريب ولا رقيبُ
ويفجعنا على غير اصطبارٍ ... ويذهب عن محيانا حبيبُ
ويحجب نوره عنا فنغدو ... بليلٍ دامس فيه نجوبُ
ايا (فنديك) فلتبكيك عني ... العلومُ فما لها ابداً غروبُ
وكيف اليوم لا تبكيك مصرُ ... و(سوريا) بها زاد النحيبُ
ولا عجب اذا شقوا جيوباً ... عليك مواطنوك كذا الغريبُ
اجل ناحوا عليك نواح ثكلى ... لان الخطب يا مولى غريبُ
(بمحى) كم شفى منها عليلاً ... بها راح الطبيب ولا مجيبُ
وداء الموت ليس له دواءٌ ... ولا شخص يدوم ولا طبيبُ
وكل الناس يعروهم فناءٌ ... بادهارٍ نوائبها تنوبُ
لأن غاب (الحكيم) اليوم عنا ... ماثره وحقك لا تغيبُ
(فروضة) علمه في كل آنٍ ... ترى (ازهارها) ابداً تطيبُ
(ومرآة) ترى الدنيا عليها ... مصورة وقصدك لا يخيبُ
(نفائسه) لقد اوعت معانٍ ... غزيرات كما قال الاديبُ

(محاسن قبة الزرقاء) فيها مباحث (يرتوي) منها اللبيب
ترى (الافلاك) مع اصل وفصل يحار لامرها الفطن الاريب
(اصول الكيميا) فيها امورٌ وابحاث لها شانٌ عجيب
(وهندسٌ بالاصول) هناك تلقَ فصولاً خطها قلم يطيب
وان تبغي القريض هناك بحرٌ (محيط) ماله ابداً ضريب
(وتشخيص الطبيعي) جل وصفاً به الامراض يدركها الطبيب
ويا (نقشاً) له في كل علم لما هذا النشيج وذا النعيب
اما والله قد فقد التأسي وانَّ القلب مكلومٌ كئيب
فصبراً ايها القلب المعنَّى لعلك بعد صبرك ما تخيب

لِئنْ مات الفيلسوف الخطير . الدكتور كرنيليوس فان ديك الشهير . فلم يمت ذكره . ولم ينقض شكره

اجل غاب عن عياننا . لكن رسمه في افئدتنا . ومؤلفاته في خزائننا . ومآثره نصب اعيننا . فأنى للايام ان تدرس آثاره . وان اذهبت عنا شخصه واخباره .

اما الموت ولا ازيد الناس به علماً فانه امر محتوم . وقضاء مبروم . لابد منه على كل من دب على وجه البسيطة او هب

بقاء المرء في الدنيا محال وما هي بالحق طيف او خيال

لكن يتفاوت بتفاوت الاشخاص . وليس للمرء منهُ مناص

فبقدر قدر المتوفي يكون الخطب عظيماً · والامر جسيماً ·

وهذا فان ديك قد كان لموته رنة حزن في سوريا خاصةً · وفي غيرها عامة · ولا بدع ان شقت عليه الجيوب · وتفاقمت الكروب · لانه خطب يعد بخطوب · ذو بلاء وحروب · وكيف لا يبكيه الباكون · ويرثيه الراثون · ويؤبنه المؤبنون · وينوح عليه النائحون · فهو الذي افاد في حياته · وصار عظة في مماته · قضى نحبه بمرض كم شفى مثله · ولم يدروا انه لموته علة · وهكذا قدر الباري تعالى وشاء · (وعلة الموت ليس لها دواء)

مات المداوي والمداوى والذي جلب الدواء وباعه ومن اشترى

الاان لنا بيقاء آثاره المشهوره · خير تعزيه مشكوره فأن كنت في الرياض تذكر (روضته الزهريه) وان نظرت في المرآة تخامرك (مرآته الوضيه) وان سلكت البحار تحتاج لمسالكه البحريه) وان رأيت الاتقان لا تنسى (اصوله الهندسيه) وان رفعت رأسك الى السماء ترى (محاسن القبة الزرقاء) في (اصوله الفلكيه) وان عدت مريضاً لايغرب عن ذهنك (تشخيصاته الطبيعيه) وان نظمت القريض يلزمك (محيط دائرته العروضيه) وان طبخت الكيمياء فلا تعول الا على (اصوله الكيماويه) وان رمت (النفائس) فسل تلامذة المدارس · كيف وانك كيفما ادرت لحظك · ترى

آثاره العلمية تلقاء عينك . وكفاك شاهداً مسكنك . ومحل جلوسك . المبنى من الحجر اذ لا تنفك من ذكر (نقشه) عليه بايدي البراعة . والحاصل كل ما له من وشي اليراعة . ففي (النشره) ترى عطر كلامه فاق على المسك نشره . وكفاه ان جعل القلوب (رصداً) لحبه بما نقش عليها وهي وابيك (كالنقش في الحجر) ولا حيلة لنا على فقده الا الصبر

وقال جناب البارع الدكتور سليم ناصيف افندي عطيه (سوق الغرب)

لا والذي كلُّ عمرٍ عندهُ كتبا

ما أَجزع الشامَ ماضٍ مثل من ذهبا

أصابهم سهم قوسٍ لا يردُّ لها ... سهمٌ فاوردها من سمه العطبا

بيروت ضجت ولبنان العظيم بذا ... اهتزت جوانبه للهول واضطربا

بمصر رنَّة حزنٍ مطبق صعقت ... من وقعه الشام حتى زلزلت حلبا

خطبٌ صواعقهُ انقضت فدكَّ بها ... سينا وابدى لنا وجه السما الغضبا

قضى مهذب سوريا وخلف في الا ... كباد حزناً وفي احشاءها لهبا

قضى أَبُ الطب ربُّ العلم سيدهُ ... ركن التقى المالىءُ الدنيا بما وهبا

وقع القضا هال اهل الشرق فانذهلوا ... واشتد في اللب حتى اسكت الخطبا

مضى الغنيُّ ولا مال بحوزتـه ... ومات من لم يمت بالحق واحربا

ايدرك الموت من احيا البلاد بما احيا من العلم واُستقبل من الأُدبا
ومن له بكتاب الله مأثرةٌ غرّاء فاضحةٌ انوارُها الشهبا
ومن اعاد لنا الشيخ الرئيس ومن احيا الليالي حتى أَلَّفَ الكتبا
ومن اعاد لأُمّ المجد زهوتها اا قدمى وأرجع عزًّا كان قد سلبا
لما بدت بربوع الشام طلعته اا زهرا وشاهدها جيش الدجى هربا
كانت خمائلها من قبل معطشةً فامطرتها سما عرفانه سحبا
آياته الكبر الغرّاء قد نظمت عقدًا يباهي سناهُ زينَ العربا
فكان شامة خدّ الشام اكسبه حسنًا باياته لب العباد سبى
لا ذنب كان لهُ الا بان قتل اا جهل الذي كان في ما نابنا السببا
كانت فرائدهُ من مال سامعه والبحر من فيه ان مافاهَ او خطبا
تبدو السرائر ان ما قام يبرزها ممزقًا سحره عن وجهها الحجبا
فكم افاد وكم ما جاد وأسفا وكم أعاد وكم أولى وكم وَهبا
ومن ترى سامه امرًا وخيبه او ود تكليفه في مشكل وأبى
استاذنا من به ايدي السما بعثت من كل صعب بماضي عزمه غلبا
ما مال عن حبه اقوامنا ولذا اقام كلٌّ له في قلبه نصبا
غريب دارٍ ارانا كل معجزةٍ من لطفه هكذا فليسلك الغربا
احيا الجميع بسوريا لذا جعلت (أبُ الجميع) له من قلبها لقبا
لو باسمه فاه في بيروت ذاكرهُ امام اشجارها مالت له طربا

شلت يد الموت لو يدري بما فتكت أتى الى قبره المغبوط وانتحبا
له علينا ديونٌ بذل انفسنا يعد في جنب ادناها قليل ربا
قفوا بني العُرب حول القبر واعتبروا من حل ظلمة هذا القبر واحتجبا
قبر بانفسنا حب لنازله لذا جعلنا له كل القلوب رُبى
وكللوهُ بزهرٍ من مدامعكم يسقى فذا ما على الاعراب قد وجبا
واجثوا بجانبه نبكي الفقيد ومن يلومكم إن بكى الباكي الحزين أبا

وقال جناب النطامي الدكتور الشيخ سعيد ناصر الدين (كفر متى)

ليس للمرء في الحياة سرورُ وجميع اللذات فيها غرورُ
كيف يرجو البقاء يوماً جهولٌ ورحى الموت لا تزال تدورُ
كم مليك عقيب ان ملك الاق طار بالسيف جاءه المقدورُ
وشجاع قد خيف يوم صدامٍ كان نقع الجياد فيه يثورُ
ذاق كأس الردى وامسى طريحاً وسط قفر ومزقته النسورُ
وحكيم بعلمهِ كشف الخ في كشفاً وأعلن المستورُ
مثل استاذنا المفضل فنديــــك الذي كان بالصواب يشيرُ
مجمع الفضل والهداية لما أن ثوى والبلاد كادت تمورُ
وبكت بعده الفنون دموعاً هاطلات كأنهنّ بحورُ
وغدا الطب في اسىً وتردّى حلة الحزن ذيلها مجرورُ

جاء اوطاننا فمذ حل فيها سال للفضل والذكاء غديرُ
وامحت ظلمةُ الجهالة محواً وبدت في سما العلوم بدورُ
فكسانا من المعارف ثوباً اين منه اطالسٌ وحريرُ
كان بالمدح والثناء جديراً فغدا وهو بالرثاء جديرُ
كيف لا تنظم القريض رثاءً ومصاب الجميع فيه كبيرُ
كيف لا نذرف المدامع كالقطر وكلٌّ اذا بكى معذورُ
كيف لا نألف السهاد وقد جُدِّل استاذنا الحكيم الشهيرُ
ونشق الجيوب وجداً عليه وتكنُّ الاشجانَ منا الصدورُ
بعد ان صار في التراب جديلاً لم يلح من كواكب الفضل نورُ
فبكته منابرٌ وطلولٌ ورثاه ذو علةٍ وفقيرُ
فكأن القبور اربع عزٍّ يوم ضمّتهُ والربوعَ قبورُ
ايها الراحل العزيز لقد غا درتنا في فلا الشقاء نسيرُ
ان تكن قد نأيت عنا فما نسلوك يوماً وان توالت شهورُ
لك في كل مقلةٍ مدمعٌ جا رٍ وفي القلب حرقة وسعيرُ
ولكلٍّ تأسفٌ واشتكاءٌ وادكارٌ ولوعة وزفيرُ
نم بحيّ النسيم رمسك صبحاً ومن المقلتين دمعٌ غزيرُ
ولتبرّد ثراك ديمة عفوٍ ما تغنت على الغصون طيورُ

وقال جناب النطاسي الدكتور كامل افندي سليم لوقا (حمص)

مالي ارى كل الملا تتاسف وتسح دمعاً للندى لا ينشفُ
مالي ارى هذي البلاد قدا كتست حلل الحداد وكلها تتلهفُ
ما بالُ وجه صحائف الانباء قد وافى الينا بالسواد يكفَّفُ
ما بال اندية المكارم والتقى تهتزُّ من حزن المَّ وترجفُ
ما بالُ روض الفضل زاوٍ بعدما كانت ثمار البر منه نقطفُ
ما بالُ ابناء المعارف قد غدت تبكي بدمعٍ كالسحائب يذرفُ
ماذا جرى في هذه الدنيا فيا لله ما هذا المصاب المتلفُ
اترى قضى رجلٌ افاد بني الورى حتى غدا كلٌّ عليه يأسفُ
نادى لسان الحال قد مات الذي ملأ الملا علماً فنوحوا وأسفوا
ان الذي ابرا الالوف بطبه قد غاله و براه موت يخطفُ
تباً لذا الموت الذي لا يرعوي تباً له من ظالمٍ لا ينصفُ
عاتٍ عنيدٌ لا يراعي سيداً او عالماً بل كل غصنٍ يقصفُ
اودى برب الفضل والمعروف من هو للجميع ابٌ محبٌّ ارأفُ
شيخ التقى والبر من اخلاقه الغرا ارق من النسيم والطفُ
العالمُ العلامة المشهور من بالمكرمات و بالفضائل يعرفُ
الفيلسوف الذائع الصيت الذي بثنا علاه كل ثغرٍ يهتفُ
اعني به كرنيليوس ڤانديك من كانت به اوطاننا تتشرفُ

هذا الذي احيى ربوع العلم في اقطارنا بعزيمة لا تضعفُ

هذا الذي كانت موارد فضله تروي الصدا والكل منها يرشفُ

في اي موضوع مجيدٍ لم يجد بمولفٍ سامٍ يجل ويشرفُ

هذا النطاسي الذي قبل الدوا يشفي اخا الاسقام منه تلطُّفُ

فاذا ذوو الادواء عز شفاؤهم بدوائه فبلطفِ طلعته شفوا

قس الهداية كم هدى بعظاته من كان في تيه الجهالة يعسفُ

كم مد للعاني ذراع معونةٍ وشفى فقيراً وهو مضنىً مدنفُ

اثارهُ الغراء تشهد انه برٌّ بافعال المبرة مشغفُ

لو شقق الاكباد والاحشا بنو الاوطان من اسفٍ عليه لم يفوا

ان كان غاب عن العيون فذكره باقٍ مدى الايام وهو مشرفُ

ولنا بفضل بنيه سلوان فهم تبعوا مآثره الجليلة واقتفوا

ادعو المهيمن ان يمن عليهمِ بجميل صبرٍ للبلاء يخففُ

فهو المعزي في الخطوب وليس في البلوى سواه منجدٌ او مسعفُ

« وقال جناب الكاتب الفاضل والاستاذ البارع جرجس افندي نصار »

(موق الغرب)

نبا منك فوق الرمل ما بك في الرملِ

وهذا الذي يضني كذاك الذي يبلي

اعلمتَ من قضى ومن رقد بعد ما اتم وقضى جميلاً وعظائم

تدوم ما دامت الافلاك · أسمعت النبأ الذي ارجف الارضين وانكمشت لسمعه وجوه السور بين من احيى المائت من قِدَم والبس الانسانية ثوباً قشيباً بديل ثوبٍ عركته صروف الزمان المحيي النهضة العلمية بعد ان كان قد درسها الخمول · الطارد عن جسم الطب سموم الدجل والشعبذه · المذيب عن محيا علم الفلك برقب عقله الوزّان كلف العرافة والتنجيم · الداحي من علٍ الى الحضيض مردة الخرافات والضلال التي رست على كتف الحقيقة دهراً · الناقش على العقول علوم النقش في الحجر · الا تدري من هو وقد ملأ القلوب حباً والعقول كنزاً والعربية كتباً والمراصد رصداً والطبابة طباً والوعاظة وعظاً وخزينة الفقراء نقداً

«ومن خصالٍ اذا نظرتُ اليها نظمت لي غرائب المنثورِ»

وجه ان كنت لم تزل غافلاً صيوان الاذن الى حيث تقتبل صوت صرير اقلام راثيهِ الصائغين له الرثاء من مداد معارفه الذين لو دروا وقت حم انتقالهُ وشاء ربهم لكانوا لهُ البطانة مشيعينه الى عالم الارواح كي يسمعوا حركة ابناء السماء احتفاء بهِ و يتلذذوا مرأى العين بما يرون من الغبطة لهُ · الا وهو الممتزج بالارواح الذي ما عم عرفه الا بعد ما عم نفعه وما حل فيه الفناء الا بعد ما افنى من العقول جراثيم الفناء . وما تقوض هيكله الا بعد ما بنى

لنا صروحاً من مباني العلم الوضية واشاد على تربة الحقيقة هرم العلم الباذخ بناه لا على تربة هيولية بل على تربة عقول تدوم ما دام معطيها موجوداً . هذا الذي دخل غياض العلوم يافعاً مزوداً من ربه خلقاً كريماً وعقلاً غزيراً وانعامات حسان قل من جمعها في بني الانسان وتبطنها شاباً وشاخ فيها سائحاً وقضى بين افنانها وعبيق رياحينها يتناول ما دق مبناه وشاق معناه يلقي وهو يتنقل فيها على اهل النهى من كل فاكهة زوجين · ترك الوطن شاباً وحل في العربية ضيفاً كريماً ورضي سوريا وطناً تناسى عندها مسقط راسهِ · ترك عالماً جديداً مزوداً منه جَدداً وحل عالماً عتيقاً جدد فيه ما عتق وشاخ من فضلٍ ومكرمة متهالكاً في سبيل النفع العام مضحياً كلما عز وغلا مكباً على التاليف والتدريس والتطبيب وعمل البر باعثاً في بنيه من ثقفهم واعدهم واهلهم لاعمال المستقبل الخطيره روح الصلاح والاقدام واضعاً فيهم ذوقاً سليماً ومبدءاً قويماً · فجاءوا كلهم مع ابناء الوطن العزيز على اختلاف النحل والمشارب يجلون قدر هذا الفقيد العزيز والاب الغيور والاستاذ الكبير شاكرين الله على هذه البعثة المقدسة متسابقين جميعاً في اكرامه ذاكرين فضله ومآثريه مجرين ارادته مبرهنين قولاً وعملاً شعائر الخلوص والمنة لذاته المحبوبة · فهو الحكيم طباً وحكمةً

والفيلسوف فعلاً ومبنى والاب الغيور قلباً وصنعاً · الا وقد ذكى هذا البر المفضال فيما كان عليه من طيب طينته وما جاء به من غيرةٍ متوقدة وفطنة سماوية وحياة مقدسة · وجدٍ لا يعرف الملل ومأثرة دينية وعلمية وادبية ومؤلفاتٍ عداد وترجمات وصدقات ما جاء في تاريخ الوحي وتاريخ الاقدمين بان بلادنا مهبط الاولياء والانبياء ومظهر الايات والعجائب · لقد كنت آية فينا فلا نزال نعجب لهذه الاية ناثرين على الهام الثناء نطوب ما نحيا ثدياً رضعته انت يامن نهشُّ لذكراك وتعذب احاديثنا بذكر مآثرك ودررك وتاريخ حياتك من منا نحن السود بين لم تنسج له من الفضل ثوباً ·

من ضيائك قد استضاء جاهلنا ومن خزائنك قد استزدتَ عالمنا

انت ايها الراقد تحت سماء الوجود ننتظر يومَ يبعث الناس احياء فنراك في امجادك · يا من بامر من يفعل ما يشاء حبستك ظلمات القبر الكثيفة عن ان نراك · ما غمضت عيناك حتى غمضت العيون من جراء ما امطرت اسىً عليك · يوم فارقتنا فارقتنا قلوبنا وقد تألبت ركباً يقلّك الى المظال الابدية · يا من كنت للعلم زاداً وللتقى ملاذاً وللشيخ اخاً وللشاب اباً ولذوي البأساء سنداً تلقي اليه من حكمتك وجيوبك · كثير علينا ان نبكيك ونرثيك ونستعظم المصاب فيك · لو كنت تفدى بالارواح لفديناك

او كنت تشرى بالنفائس لشريناك · نعم سيبلى الجسم جسمك ولكن ما كان ليبلى اسم لك لا ولا ذكرى ولقد علا عليك الثرى وحجبك عن الباصرة ولكن ما كان هذا الفناء ليحجب عن البصيرة شخصك القائم في الاصغرين ما ضمتك التربة الا بعد ان ضمتك الترائب وما كفن الثرى جسمك الا بعد ما صارت لك القلوب اكفاناً لا تفلت منها الا بعد ان تؤلت باذن ربها الى الفناء

كفل الثناء لهُ برد حياتهِ　　لما انطوى فكانه منشورُ

فانت الحي بيننا وان تكن مائتا والنافذ الكلمة وان تكن صامتا · سائليه تعالى ان يثيبك حياة تسعد بها ابدا ويجزيك عنا جزاء الخير وخير الجزاء انه على كل شيء قدير

(وقال جناب الشاعر الاديب فارس افندي الخوري المدرس في المدرسة)
(الكلية السورية الانجيلية)

إن كان فاربكِ السلوان فافتهمي　　مقالتي واستثيري جمرة الألم

خذي الاحاديث عني وهي صادقة　　تعطي وقوداً لما في القلب من ضرم

لما تركتكِ والاشجان سائدة　　على فوآد بسهم البين منفصم

اخذت اضرب في البر الفسيح ودمعي　　ديمة هممت عن ماطر الركم

ابكي وتبكين من حر المنون اسىً　　ومن قضاء بنا اواه منبرم

اجري فان وقعت عيني على شبح يجري فيحجبه كالعارض الرزم
ارى الفيافي سرابًا كيفما نظرت عيناي يسطع مثل الصارم الخذم
اما امامي فموماة اهال بها وخلفي الآل في الاحزان والاضم
ولم اكن طالبًا خلاً يوانسني بل زاهدًا باصحاب الخلق كلهم
فلم تهج فيَّ بانات الحمى شجنًا ولا تذكرت جيرانًا بذي سلم
رمت التنائي عن الاصحاب معتزلاً
اريق دمعي بعيدًا عن ربوعهم
حتى اذا فيلق الاصباح كر على جيش من الدجية الدجياء منهزم
عاد التجلد رغمًا في الصبابة عن وجد كمين بطي الصدر مكتتم
كفكفت دمعي عن طرفي لانظر ما
حولي وفي اي ارض اثبتت قدمي
فكنت ارسله طورًا لصدر علّي وتارة للفيافي الغبر والأكم
رايت وجه السما في الغرب معتكرًا حتى اكفهر وعادت دولة الظلم
فالافق من بعد ان خيمت غواسقه
وكدت انسى ظلام الليل البهم
وكادت الشمس تبدو وهي سافرة تجلو الصدا في البرايا عن قلوبهم
غارت عليها يعاليل تقاومها والبستها قناعًا محكم اللزم
وقفت فيها فريدًا ليس من احد حتى دليلاً على الايناس لم اشم

والارض من غضب الافلاك واجفةٌ
وقد اتاها نذير الهول والنقمِ
كأن تلك الروابي وجه ذي شجن يبغي مداواة جرح القلب بالكتمِ
رايت عينين منها الماء خارجة كانها دمعه السحاح بالسجمِ
وباسم البرق تقفوه رواعده كانما هبطت شهب من الرجمِ
فكنت احدق في تلك الغيوب الى ان انجلى الافق عن روض من السلم
سعيت اطلبه عليّ ارى احداً لجا اليه ليوقى مشرف الديمِ
حتى دنوت الى الجدران مستمعاً حفيف اشجاره من عابث النسمِ
وقد تخلله صوت يلين لهُ قلب الجماد و يبكي كل مبتسمِ
يقول اواه من يدري رزيتنا بين الحواضر والامصار والخيمِ
وهل لنا شركاء في مصيبتنا وهل يمر لنا ذكر بجدمهمِ
من يا ترى حسرة البلوى يشاطرنا وواحد مثلنا في الدهر لم يضمِ
اطبقت طرفاً كليلاً عن تعذبنا عهدي به قبل هذا اليوم لم ينمِ
افق فكيف غدت عيناك في كلل رجلاك في شلل اذناك في صممِ
والان قد كنت في ذي البيد قائدنا
هل صرت واحسرتي لحماً على وضمِ
لما سمعت وادركت المقال تقد مت الهوينا وقلبي بالسهام رمي
حتى وصلت مقر الصوت مرتجفاً كقلب صب بنار الوجد مضطرمِ

هناك زوج من الغلمان قد ركعا تجاه شلو قتيل الفضل والكرم
مزمل بجياد لا حراك به من شامخ العلم والامجاد منقسم
اما هما فارى الباري انالهما محاسناً ضاق عن تبيانها قلمي
لكنما خدّت البلوى خدودهما حزناً بدمع كفيض المزن منسجم
ماخط عارض وجه بالنبات سوى ان المدامع خطت آية السقم
فقلت احرقتم قلبي بناركم وكدت اغدو من الاوصاب ذا المم
انسيتماني حالي مذ سمعتكما فمنكما غير شرح الحال لم ارم
قالا استمع يا فتى واجزع لنكبتنا وجد بدمع على خديك كالعنم
هذا الصريع الذي تلقاه والدنا قد كان مرشدنا في البؤس والنعم
فكم جلا ليل جهل عن بصائرنا ورد عنا البلا في كل مزدحم
وكم اماط نقاباً كان منسدلاً كالشمس تصرع جيش الاليل الدهم
قد كان افصح آل العلم في لسن وها رمته يد الايام بالبكم
قد كان احكم من اولى الورى حكماً
والآن في الصمت يبدي افصح الحكم
قد كان قرّاع جيش الدهر منتصراً
حتى رمى في حشاه سهم منتقم
قد كان يقظان عين لا ينام الى ان تستكن وتغفو اعين النجم
قد كان ذا عزم فتيان بلا ملل وان يكن في مقام الشيب والهرم

قد كان شهماً تقياً فاضلاً ورعاً كزاهدٍ بحبال الله معتصمِ
قد كان للفضل معضاداً ومنتصراً زاكي الشذا في السجايا عاطر الشيمِ
قد كان نبراسنا في كل داجية وكان نصارنا في كل مصطدمِ
قد كان استاذنا في كل مشكلةٍ فصل الخطاب لدى اشكال مختصمِ
قد كان يمتاز في لين العريكة عن كل امرىءٍ بالصفات الغر متهمِ
قد كان سيد كل العارفين وها اضحى به معقل العرفان كالرممِ
قد كان في طرق الايام قائدنا في كل مبتداء منها ومرتكمِ
قد كان للكل معواناً فما طمحت في العمر ابصاره الا لخيرهمِ
طبيب علتنا فراج كربتنا رواء غلتنا جبار منثلمِ
فعال خير اذا ما قل فاعله بغير كسب الثنا والحمد لم يهمِ
فانه لمواسينا وسيدنا يقودنا في الظما للمنهل الشبمِ
افنى لياليهَ حتى يشيد لنا صرحاً باوج المعالي غير منهدمِ
ياتي بنا حيثما نجني الهناء كما ياتي الرعاة خصيب الروض بالغنمِ
يا طالما قد جرى فينا السراع الى ربع العلاء كجري الانيق الرُّسمِ
حتى اتينا الى هذي الربوع وقد رمته فيها يد البلواء بالوصمِ
زارته في الحاجة الكبرى منيته بئس المنية ضيفاً غير محتشمِ
قضى وقد قضت التاساء من اسفٍ اواه كيف زمان الصفو لم يدمِ
ناشدتك الله قل هل في الورى احد قد ذاق لوعتنا في العرب والعجمِ

الا يحق لنا في ذا المصاب بان نجري مدامعنا ممزوجة بدمِ
فقلت مَن انتما روحي فداؤُكما غادر تماني بمجاج من الحممِ
قالا بنو الفيلسوف المرتدي كرماً فنديك راعي المعالي صاحب الهممِ
وما هما غير سوريا ومصر بنو حان على والدٍ بالبين مخترمِ
رباهما منذ دبّا في العلوم وقد روّى بنهل زلال العلم كل ظمي
من لا يشق الحشى عند النواح على من ذكره سائر في سائر الاممِ
نعم يليق بنا (شق القلوب) لمن في الدهر اصبح نبراساً على علمِ
ولا ارى حاجة في وصف من شهدت
له جميع الملا في النأي والامم
وان قضى فله ذكر يخلد ما دامت مدائحه تتلى بكل فمِ
اليه جل مقالي ينتهي وكفى حسناً لمبتدئي فيه ومختتمي

« وقال جناب الشاعر الاديب موسى افندي يوسف »
(جديدة مرجعيون)

أقصرنْ لا ترى من الموت مهربْ فهو ادنى من الوريد واقربْ
يا بني آدم حياتكم مهما م استطالت فالموت عنها مسببْ
انتمُ دينٌ للمنون وآجا لكم كل ساعة تتقربْ
ويلكم ما اقسى المنونَ عليكم يوم ياتي آن الرصيد المرتبْ
يطلبُ الدينَ منكمُ فترونْ م الطلب القاسي منه اصعب مطلبْ

دائنٌ لا يدري الحنان ولا الرأ   فة إن أفلس الفتى وتعصب
فالأمينُ الامين في الدين منكم   من بني دينهُ ولا يتعصب
واللبيب اللبيب في الناس من قبـل مجيءِ الردى له يتأهب
دارنا هذي لامسرة فيها   ما امر الحياة فيها وأتعب
ضل قوم راموا السعادة فيها   وامتطوا في سبيلها اي مركب
ولئن كان جهلهم ذا بسيطاً   فادّعاهم بالخلد فيهـا مركب
صاح ليس الخلود للمرء حقاً   انمـا موتـه احق وأصوب
كل جسم وان تقـادم عهداً   سوف يفنى مع الزمان و يخرب
من هنات الارضين في العالم الاد   نى الى اجرام الفضاء المقبب
وكفانـا علماً بذلك انا   قد راينا بعيننا فقد كوكب
كوكب ليس من كواكب ذاك   العالم الاعلى انما هو اعجب
قد هوى من جو المعارف حتى   ماد منه ركن الحجى وتقلب
كوكب العلم في سما الشرق فنديـ   ـك النطاسي والحكيم المجرب
زينة الشرق بهجة الشرق رب   الفضل والجود والعذيق المرجب
قد سالناه اي داع دعاه   ليجيب الردى فقال واعرب
وقال يا ناس ان صيتي قد شرق في ارجاء البلاد وغرب
غدت رحب الارض من عظم قدري
مثل سم الخياط او محجرة الضب

فلذا ازمعت الرحيل عن الار ض الى باحات البقا فهي ارحب
من لرصد الافلاك بعدك يافنـ ـديك حتى ازمعت ان تتغرب
ها وجوه الكواكب الزهر كنا بك يا فنديك نراها بمرقب
قد تخفت جميعها الآن عنا وسنا وجهها البديع تحجب
وسباع السماء ليس بحق يا نزيل السماء ان تتسيب
فهي ان لم تكن عيونك فيها تقتنص كلمن تروم وترغب
يفتك الدب بالحمار كما يفـ ـتك بالنسر والدجاجة ثعلب
فحرام ان تترك الضعفا في الجو من دون حارس يترقب
وحرام ان تترك الضعفا في ارضنا في فرش الضنى تتقلب
كم عليل يبكي عليك نجيعاً حيث لا يستطيع ان يتطبب
وسقيم لما راك بعيداً زاده السقم فانضنى وتعذب
يا لك الله كم تركت نفوساً بقلوب حرى تنوح وتنحب
من اديب يفيد اوطانه في علمه وهو عن يديك تأدب
وطبيب ما جاء قط الى دا ء بشخص الا عليه تغلب
يالك الله ان سورية لم تر يوماً من يوم فقدك اصعب
لك فيها مآثر صيرتها كل من امها يئن وينحب
بعد ان كان الجهل فيها مقيماً اصبح العلم نوره يتلهب
فهنيئاً جازاك ربك عنها بجنان في وصفها اللب يخلب

وهي لا زالت كل ايامها تنشرُ من ذكرك الحديث المطيب·

(وقال جناب الدكتور مجلي افندي جباره)
(جديدة مرجعيون)

قال علم الطب لما قد قضى ذاك الهمام
مات فنديك النطاسي فعلى الطب السلام

« وقال جناب الناثر الشاعر المجيد داود افندي صليوا » (بغداد)

ماذا وما هذا المصابُ وما أرى أيقظة ياقوم ذا ام في الكرى
ماذا غراب البين ينعب اثرنا ماذا وما ذاك النعيُ تصدّرا
ما للصاحف سوّدت اطرازها ومن الحداد قد اكتست سود القرا
ما للبراع تقلصت اركانـه حتى بدا متحطماً منه البرى
ما للمحابر قد اثارت حزنهـا ما للبرايا وجهها قـد عفّرا
هل طودُ مجد قد عرته ثلة ام شامخ العلم الرفيع تهورا
ادرى حسام البين من اردى ترى
ومن المنون سعت به تحت الثرى
او من دهى غدراً برزء مصابه او مَنْ مِنَ الفضلاء اسكنه العرا
اواه من جور المنون وظلمها اسفاً على اسفٍ على ما قد جرى

لو انصف الدهر الخؤون لما نكى رب المحامد والحكيم الاكبر
لو انصف الدهر الخؤون لما ترى عرّى هماماً من جلال انخرا
لو انصف الدهر الخؤون لما نضا عن سيدٍ ثوب السيادة والقرا
لكنه من دابه هو مغرم في ردم طود المجد في ذل الثرى
تباً له من ظالمٍ بل كافرٍ لا يتقي قيلاً وكم بطلٍ هرا
ان الزمان لمشغف ببلائه ويلاه من لاوئه ان يصدرا
هذا المفرّق شمل كل فضيلة هذا الذي صدع الانام وماصرى
سيان عنده سيدٌ او عبدهُ لا فرق بين مجاهدٍ او من حرى
قد شن غارة غدره ودهائه فاصطاد في شرك الردى فخر الورى
ندب اديب فاضل شهم يرى عند الخطوب عن الذراع مشمرا
ذاك الكريم اللوذعي الالمعي ذاك النطاسي الخبير بما جرى
ما امه ذو حاجة الا انثنى يثني وينشر حامداً متشكراً
لم يال جهداً في اقتحام مصاعب من دونها ابرٌ من النحل ابرى
عقدت على تلك الطباع خناصر في الشرق مذ جاء اماماً منذرا
فنديك ذاك الفيلسوف العبقري خير الايمة عالماً ومدبرا
حسداً بغاه الموت لما قد راى في شخصه الميمون قدراً اكبرا
ناحت عليه معارف وفضائل اجرى عيون العلم بحراً احمرا
أبت الفصاحة والبلاغة مطلقاً الاّ تعزى او تقرّ تصبرا

ناحت علوم العرب مع ادابها
فاجاب في الغرب الصدى متكررا

بكت المكارم من بنت في كفه قصرًا فكان لها ابًا ومعمرا
شُقت عليه جيوب اهل العلم بل كل الصدور فقدفقدنا المصدرا
يا من تفرد باللطافة والنهى يا عالمـاً اضحى وحيداً اشهرا
غادرتنا في كل حزن فادح نجري له من مدمع ما قصرا
نرثيك يا من كنت خير مؤمل في كل مأثرة وان بخل الورى
لا غرو ان دميت لفقدك اعين وغدا نصيب العلم حزنـاً اوفرا
فجعت بك الدنيا ومن فيها وهل تسلو ولو طال المدى وتأخرا
قد كنت نبراس الفضائل مقبلاً فغدوت مرآة الاطاعة مدبرا
لا شك لو عرف الزمان مقامه لم يلق في جوف التراب الجوهرا
لو ادرك الزمن المشوم مقامه لم يرده ظلماً وغدرًا وافترا
طوقت جيد الناس كل كرامة فابى سخاؤك ان يقاس ويحصرا
ياذا الايادي البيض والهمم التي اضحت كنجم القطب ضاء وأزهرا
ياقطب دائرة الفنون وقطرها يا قدوة العلما وميثاق العرى
يا محور الفضل الجليل وبدره يا كوكبًا بخسوفه الليل اعترى
قد حزت كل اثيلة وجليلة
وغدوت فردًا في الكمال بلا امترا

أحرزت من بحر العلوم جواهراً — فكأن كل الصيد في جوف الفرا
ان عدت الاعلام ذكرك اول — فاق الجميع مقارعاً فتصدرا
واذا عددت فطاحل العصر انبرى — فنديك فرعاً من منارٍ أشهرا
فقد الكرى من بعده جفني اساً — جفني اساً من بعده فقد الكرى
ويحي عليك فريسة ذهبت بها — ايدي المنون بغيرةٍ لن تسبرا
ويحي عليك لخاطف او زائرٍ — كر الحمام ولم يدع لك منظرا
يا فاضلاً اين المصير أتؤثرنّ — على مسامرة الولا دود الثرى
في الخافقين قد اشتهرت فانت — نفاع عظيم مخضرا او مخبرا
في كل فن قد ازت عقولنا — وصدورنا انعشت منا مبشرا
اجريت نهر العلم للناس لذا — خلناك يا فنديك فيه الكوثرا
ركن المعارف والحقائق والهدى
قس الفصاحة قيس راي قد درى
وهو ابو العلياء من جاء بما — لا يستطيع لمثله من قد جرى
ان فاه في وعظٍ فدر خطابه — أحيا الحجى وأفاض نوراً مبهرا
قل ان زرى المرء الحسود بفضله — اطرق كرى أن النعامة في القرى
علامة ملأت مآثر علمه — صحف التصانيف التي لن تحصرا
في كل علم حله اهدى لنا — كالنقش في الحجر الذي قد اصدرا
قد ذلل المستصعبات فطاوعت — وازال شبهاتٍ وحل واخصرا

وله التآليف التي مشكاتها قد عمت الدنيا ومن فيها سرى
قد يتم العلم الجليل وآله يا ويح يتماً شاملاً كل الورى
من للرياضيات بعدك سيدي من للحساب يسهل المتعسر
من للطبيعيات ان دهي الورى بمشاكل من دونها اللبس اعترى
علم النبات وعلم انساب لقد باتا غريقي بحرغم أمقرا
والكيمياء مع المساحة مثلها سلك البحار غدت سيلاً اوعرا
لم يجبر الجبر انكسارَ فراقه ونظام هيئة همةٍ لن تصغرا
لم يبقَ بعدك للانام مهندسٌ به يهجمون على العويص اذا انبرى
تبكيك في يوم الجدال مدامع كالصيب المدرار حين تفجرا
يرثيك حلم والحذاقة والنهى يبكي الحيا الفاً وخدناً أطهرا
تبكيك فطنتك التي ما مثلها تبكي المهارة والتواضع ادهرا
تبكي النباهة خلها وسميرها تبكيك ذاكرة أبت ان تقصرا
ناح الندى المنهلّ من كفيك في جود وبذل عنهما عجز الورى
تبكيك رأفتك التي فطرت بك وخلوص ودٍّ جاء عنك مخبرا
لاشك ان الموت نقاد على كف الضنا من كان مرفوع الذرى
نعم الحمام نراه ينقد جهده رجل الكمال ومن هدى وتصدرا

هذي الحيوة وهل يدوم نعيمها بئس الحيوة نعيمها ما أقصرا
ما المرء الا كالخيال وفيئه كالظل في لحظ يزول ولا يرى
فاذا المنون سهامها نفذ الحشا لم يجدنا النفع النواح لما جرى
لو كان يجديني البكاء لفقده اجريت من عيني المدامع أنهرا
هذا قضاء الله قد غلب المنى فعلى الورى التسليم فيما قدّرا
لقد ارتضى منك الاله فسرت في حالِ البهاء الى السماء مزمرا
فاذهب الى الله الذي يدعوك يا عبدٌ امينٌ كنت براً خيرا
وهناك تجزى اجر اعمالٍ نعم عند الصباح يحمد القوم السرى

(وقال جناب الشهم الفاضل جرجس افندي الياس الخوري)

اين القصائد عن تبيان قيمة من قد كان يندب يوماً فيه ما نفعا
ومن غدت بعده الافعال شاهدةً يظل حياً ويبقى ذكر ما صنعا
ليس المليك الذي تحنى له ركب بل المليك الذي اهواءه قمعا
وليس قيمتنا مال نجمعه اذا الدنايا امالتنا له طمعا
هي الفعال التي تسمو بصاحبها وهي الفعال اذا ساءت بها انصرعا

(وقال جناب الشاعر الاديب الشيخ حمد عماد)

الدهر لا تأمن الى افاتـهِ واحذر اذا فاجاك في نكباته

اعمارنا محفوفةٌ ايامهـا بعناءه وشقاءه وفواتـه
ان دام يوماً ثغرهُ متبسماً يبقَ الوفاَ هادماً لذاته
دهر خؤون لا يراعي صاحباً نكثُ الولا والعهد من عادته
دنياك يامغرور لا تركن لهـا فالموت فيها منتضٍ شفراته
ما حركت من عيننا اشفارها الا دعانا الحتف في اصواته
فكانهُ بين الانام منادمٌ لا بد يسقي الكل من كاساته
وكاننا طراً عبيد ملاكه من حرنا المليكنا وولاتـه
ويلاهُ كم حكم المنية جائرٌ فينا فكيف يقال من عثراته
اذ قد وهى فنديك فرد زمانه فانهدَّ طود العلم بعد وفاتـه
رشقته ايدي النائبات بسهمها والدهر افتك فارسٍ بذواتـه
قد كان للفقراء اكبر مرتجىً يرجى وفعل الخير من غاياته
لا فرق بين دموعهم لمصابـه ونداهُ لما كان يعطي هباته
يجري عليه الدمع سحباً مثلما كانت تفيض السحب من راحاته
غادرت يا فنديك كلَّ مهذبٍ يبكي دماً و يزيد في أنَّاته
امرعت في انحائنا روض الهدى وجمعت شمل العلم بعد شتاته
وكشفت للاعيان كل مخباٍ فغدا يلوح السحر من اياتـه
ولذاك اهل الشرق تذرف ادمعاً تحكي بفيض مسيلها لفراتـه
وكذاك فنُّ الطب بات بحسرة يأبى سوى فنديك من ساداته

والعلم يبكي لوعةً وتحسرًا بمدامعٍ تجري على وجناتهِ
(والنقش) يبدي نكبةً وتفجعاً وعلامة الاحزان في صفحاتهِ
كم من عليلٍ قد شفى من داءهِ ولكم شفى ذا السقم من علاتهِ
وَرِعٌ رضاء الله افضل قصده متمتع في دينهِ وصلاتهِ
لسنٌ خبيرٌ في الفنون جميعها علمٌ شهيرٌ قد سما بصفاتهِ
ويراعهُ في الطرس حين يهزهُ ينهلُ قطر الدر من نفثاتهِ
كل امرئٍ في الناس يفدي روحه
عنهُ اذا قبل الردى لفداتهِ
قد مات لكن لم تزل افعاله تحيي له التذكار بعد مماته
فامطر على مثواهُ صيب رحمةٍ يا قاهرًا بالموت مخلوقاته
واجعل ثراهُ جنةً في وسطها يترنمُ القمريّ في نغماته

(وقال جناب الاديب الشاعر اسبر افندي بيوض)

صيحوا لنا يا ناس فالكوكب الدري
اتاه الردى من حيث يدري ولا يدري
اتاه الى جو المعالي فحطه من الفلك الأعلى الى هوة القبرِ
لحى الله صنديد المنون فانه ليقتلنا ظلماً بلا صارم يفري
ويفني بني الغبراء من دون رأفة فيروي الظما من لوعة الحزن والهجرِ

ولا نفع للداء العقيم اذا سطا فكل حياة نحو غايته تجري

فكم صال والدهر الخؤون حليفه ومال على الأرواح بالفتك والغدرِ

كأنَّ بني الانسان قاموا لحربه فجار على كل الانام بلا وزرِ

وابكى واجرى الدمع من كل مقلة على صاحب العلياء والمجد والفخرِ

مضى قابلاً داعي الردى نحو ربه فسار وكل الناس في إثره تسري

قضيت على قنديك يادهر ساخطاً فجرعته كأساً امر من الصبرِ

واودعته طي اللحود معفراً نزيفاً وسكراناً من الموت لا الخمرِ

أيا رمس زد فخراً واكثر تطاولاً

فانك قد واريت كنزاً من الدرِ

وبحراً طويلاً لاقرار لعمقه يمد عباب الفضل مداً بلاجزرِ

ترفق به واحرص عليه فانه نفيس وان ضيعته تكُ ذا خسرِ

اياخل سور يا الوفي ومن سرى شذا عرفه بين الملا طيب النشرِ

فانى لكسر الجبرِ بعدك جابر وانى لنقش الحرف بعدك من حفرِ

فقدناك يا قطب الزمان واننا بفقدك امسينا حيارى مدى العمرِ

تركت لنا بعد الممات مآثراً تفيد جميع الناس عصراً الى عصرِ

فكم من عليل غادرته سقامه فعاد صحيح الجسم بعد العنا المرِّ

وكم عظةٍ ردت اثيما عن الهوى

فهدت حصون الجهل واللوم والكفرِ

وكم لك من لفظٍ لنا من عقيقه فوائد درٍ كل من ذاقها يدري
لحق لاهل الفضل ان يتأسفوا ويجروا عفيف الدمع في السر والجهرِ
فكنت ابًا تدعو الورى بمحبة الى خالق الاحياء في البر والبحرِ
ايا فلك العلياء لا ترجُ ناصرًا لرصد نجوم الليل والشمس والبدرِ
ويا طب فاجزع طول دهرك باكيًا وجد بالبكا حتى الى موقف الحشرِ
فاقلامه من بعده قد تكسَّرت وما عاد در العلم من فمها يجري
لئن تكُ فارقت الحياة لعلةٍ فذكرك باقٍ لا يزول الى الدهرِ
تركت بني الاوطان بعدك في ضنى تديرهم الاحزان بطنًا الى ظهرِ
وانت هنيئًا فزت بالمجد في العلى وجازاك ربي بالمثوبة والأجرِ
عليك من الله الرحيم مراحم وقبرك حيَّ تربه وابل القطرِ

(وقال جناب الناثر الاديب داود افندي فتو) (بغداد)

ان الفاجعة العظمى التي اصابت القطرين السوري والمصري بفقد فيلسوف الشرق وركن النهظة العلمية الاخيرة مشيد العلم والاداب ومعدن المعارف والفنون صاحب التقوى والفضيلة الطيب الذكر المرحوم كرنيلوس فانديك قد المت قلوب ادباء العراق ايضاً فحالما انتشر خبر منعاه بكته القلوب وعظمت علينا الخطوب وبكته تآليفه العديدة المحفوظة في بغداد وغدت السنة القوم تردد ذكر افعاله

لمدوحة في ترقي العلوم فانه رحمه الله قد عم فضله على كل من انطق بالضاد في كافة الاقطار العربية ومآثره في البلاد السورية اشهر من نار على علم فانه قد وقف نفسه لخدمة الوطن بالعلم والعمل وكفاك شاهداً ما وصلت اليه البلاد السورية من التقدم في العلوم والمعارف فكم من طبيب قد نال منه الشهادة الطبية وكم من عالم قد حصل العلم منه وكم جمعية من الجمعيات الادبية هو موسسها والمستشفيات هو مشيدها ولا يسعنا المقام تعداد فضله ومآثره اما العراق فخال من المدارس العالية وجميع الادباء قد حصلوا العلوم بجدهم وجهدهم بمطالعة تآليف المرحوم فكل كتاب يقال عنه تاليف الدكتور ڤانديك يحكم عليه لاول وهلة انه من احسن الكتب وعلى الخصوص كتابه المشهور النقش في الحجر قد انتشر في العراق وشهد له الخاص والعام فالعراق قد استنار بنوره الساطع من بعيد ولا يذكر اسم ڤانديك الا بالخير فكما ان البلاد السورية مديونة له كذلك العراق وكفاك شاهداً بفضله ما قال عالمنا صاحب الفضل والفضيلة زهاوي زاده جميل صدقي افندي بالرثاء الواصل لكم طيه ومـا قاله الادباء في مصر وسوريا مع كونه لا يفي بحق ذكر مآثره وتعداد فضائله عزى الله قلوب ذويه واصدقائه واهالي سوريا عموماً وتلامذته خصوصاً وابناء اللغة العربية قاطبة

(وقال جناب الشاعر الاديب رشيد افندي مراد الخوري)

يا دهرُ ذلَّ وتهْ وضلَّ محيّراً واجزع وزد حزنا ولاقِ تحسرا
لِمْ لانحن شققت افئدة العلى
وحططت بدر الفضل من اعلى الذرى
ومتى تكف يداك عن جرح الندى صيرت وجه المكرمات مغبرا
اثكلت ادابا وغات وحيدها واخذت من ضمن الرسوم الجوهرا
اعني به النهي الهمام الحبر فنديك الذي ذاع اسمه بين الورى
هال النعي معالي الشرق الرفيع وجيب ذاك المجد شقَّ تأثرا
وكواكب الفخر اكفهر وجوهها ومنارها بعد البهاء تغيرا
والانجم الغراء باهت رونقا بزهائها واليوم عدن تسترا
وعلى مباني النعش اية حزنه تبكي البناتُ مدى الليالي الاحمرا
لم لا يبرح فقده منا القلوب ورسمه فيها يظلُّ مصورا
اواه من امرٍ آلمَّ بسعدنا فسرى بظلماء الشقاء مكدرا
اولى بذي الاماق لو سالت دما او ان يزيد مسيلهنَّ الأنهرا
فالعين تدمع في البلى ونخالها من اجل هذا الخطب تأبى المحجرا
من منا لو سن الفداء ولا يفي من بذل نفس والنفيس تخيرا
ذاب الحشى بلظى الاسى لفراقه والصفو من الم المصاب تعكرا

سارت بنا الامال فُلْكَ رحالنا   فعرته ارياح النوى فتكسرا
عم البلاد الخطب فاعتل الهنا   وغدا باذيال العنا متعثرا
كان السرور معززا اوج السنا   واليوم أصبح موهنا وتحدرا
تلك الاماني نكست اعلامها   واخذن من سود الحداد المظهرا
اسفاً على رجل الذكاء ومن اذا   عدت رجال العلم عد الاكبرا
فهو المولف لا نزيد مديحه   شيئاً اذا قلنا وكان الاشهرا
رب المعارف فيه كان بهاؤها   واليوم ذاك الوجه امسى اصفرا
في الشعر عمرو بحره وفقيدنا   علامة بالعلم ضاهى الابحرا
كان المفوه في الخطابة مصقعاً   كم صاغ من خطب تزين منبرا
كان الفصيح اذا اردت فصاحةً   وبلاغة وصل المقام الاخطرا
والكاتبَ اللسن البليغ ومصلتاً   من غمد ذاك الراي عضباً ابترا
نضبت عيون يراعه من لوعةٍ   وابى المدى من بعد يبغي المحبرا
اسفاً يفوق الوصف ان رمنا بياناً   اعجز التحرير والمتبحرا
فالطب يبكي جهبذا كم واقع المعضال من   داء وعاد مظفرا
اياته لا نستطيع لحصدها   حداً واذهلت الحسود المنكرا
ولكم فتى قعدت به الادواء في   الم وجاء علاجه فتحررا
كان الطبيب وان تكاثر عدهم   من قولهم وسل الطبيب الاخبرا
خدم البلاد بماله وحياته   فاتى من الفضل الجميل الاكثرا

فبنى مفاخر زاهرات بالندى تاهت وباهت عزة وتكبرا
ان رمت عد هباته الجلى فهي مشهورة تغنيك عن ان تذكرا
كم من كرام محسنين تتبعوا اعماله اذ قد تسامت مصدرا
لوجلت تسال ذي البلاد واهلها لسمعت عنه الجود ينطق مخبرا
دع ذكر فضل الاولين ففضلهم تلقاه في هذا المجال مقصرا
هذا السخي ونيرات سخائه بسنائها تحكي الشهاب النيرا
لم يروا ان قد سامه عدد السوال وسائلين ولا يقال تأخرا
اخلاقه طابت وجلت محتدا ارواحها بالنشر تسمو العنبرا
كان المهيب بذاته ومكرماً بصفاته ومبجلاً وموقرا
لزم النزاهة والوداعة والتواضع والعفاف ولم يكن متكبرا
قامت على اصل الوفا اغصانه فبدت زهور الحلم فيها واثمرا
تخذ القناعة والزهادة ديدناً عملاً برضاة العلي ومحورا
عاش الحياة لمجد رب قد برى كل الملا وبدينه مستأثرا
ولقد قضى دئباً لخير بلادنا واراد فيها ان يموت ويقبرا
اسفاً على شخص التقى تغتاله
ايدي الردى ويحل في جوف الثرى
حل التراب وذكره حياً بقي يحيى به ارج ويبقى الأدهرا
ابناؤه ربحت له اضعافها اذ لم يرد بسوى الامانة متجرا

ناداه مولى الكون هيّ الى السما ياذا الامين نل المحل الاطهرا
عش في حمى الفادي الحنون ومن به
حزت السعادة مفتدى ومبررا
رمسَ الفقيد سقتك من نعم العلا هتانةٌ ديم تسح تفجرا
يسري النسيم على ترابك نافحاً طيب الشذى ابداً يضوع معطرا

(وقال جناب الشاعر الاديب رزق الله نعمة الله عبود الحمصي)

مالي ارى الفضل قد اضحى بدون اب
والعلم اصبح منحطاً عن الرتب
والناس في الحزن والاشجان قد رفلوا
والحزن قد نال منهم كامل الطلبِ
ما للديار ديار الفضل قد لبست
ثوب الحداد عقيب الصفو والطربِ
ما بال سورية برد الصفا خلعت واهلها التحفوا بالحزن والكربِ
ما بال بيروت بالاكدار مظلمة من بعد ما لاح فيها انور الشهبِ
ماذا اصابك حتى صرت منتحباً ولم تكن يا فتى قبلاً بمنتحبِ
فقد رتعت بساحات الشجون ولم اعهدك من قبل يا هذا بمكتئبِ
وانت مر تعش باكي العيون فما لقيت في هذه الدنيا من النوبِ

هل سار نحو السما فنديك من لبست
سورية فيه ثوب العلم والادبِ
نعم قضى انما لم يقضِ منتقلاً
حتى قضى الشرق منه غاية الاربِ

تباً ليوم به سود الصحائف قد اتت تخبر عنه بات في التربَ
سحقاً له من نهار هلّ طالعه في هالة الحزن والاكدار والنصبِ
به نجوم العلا والعلم قد افلت ونورها كان قبلاً غير محتجبِ
وقد هوى وتوارى في الثرى قمرال كمال والعلم والايناس والنسبِ
قد كان بدر علوم للجميع يضي وشهم فضل كريم الاصل والحسبِ
قد كان في الطب فرداً لا مثيل له وكم قد انتاش اقواماً من العطبِ
ايناسه كان يشفيهم ورقته كانوا ينالون فيها كل مرتغبِ
وكان براً ذكياً فاضلاً بطلاً يري الملا من ذكاه اعجب العجبِ
وكان في كل فن مورداً عذباً يروي جميع الملا من مائه العذبِ
اعلام فطنته بين الورى رفعت وصيته شاع بين العجم والعربِ
احيى العلوم التي ما كان من اثرٍ لها والف فيها عدة الكتبِ
حكى باراًئه قيساً وفطنته ابا العلا وحكى في وعظه الذهبي
وفاق اسحاق نيوتون فلسفة واليازجي بنطق مشبه الذهبِ
وساد في حلمه معناً وحاتم في جود فاضحى فريد الشرق والغربَ

عليه قد حق ذرف الدمع ليس على
صخرٍ . فهذا حريٌّ بـالبكا وابي
تبكي العلوم عليه فهو سيدها تبكي العباد بدمع سال كالسحبِ
يامن قضى وله نفع الانام منىً وكان ينفعهم بالحزم والدأبِ
سر بالسلام وكن عند المقيمين في جنات عدن مقيماً سائر الحقبِ
عزى الهالسما عنك الاقارب وال خلان ثم جميع الاهل والصحبِ
ودمت ترفل في اثواب رحمته وللنعيم السماوي خير منتدبِ
ما اورق النجم في الغبرا واشرق في ال
خضرا ولم يستلب عنها ولم يغبِ
اوقال راثيك رزق الله بعدكم
اني ارى الفضل قداضحى بدون اب

(وقال جناب الشهم الاديب الشيخ سعيد امين حماده)

لقد حدث حادث ياله من حادث مر المذاق به تفطرت القلوب وتواردت الكروب لفقدنا ذا الاخلاق الرضية والمزايا الحسنة صاحب التآليف المديدة والمصنفات المفيدة اساس العلم والاداب وكعبة المعارف والطلاب اوقيانوس الفصاحة الذي كانت تجري اليه انهر البلاغة معدن المعارف ومنهل اللطائف من سمى على

اقرانه وسار على زملائه العالم النحرير والفاضل الشهير من شهدت بيراعته الطروس وطابت بتلاوة مصنفاته النفوس وكان اشهر من نار على علم النطاسي الشهير المغفور له فقيد الغرب في الشرق الدكتور كرنيلوس فانديك الذي تيتمت العلوم بفقده واعتكست انوار الفلسفة بانخساف بدره بحر العلم الطامي وطود المعارف السامي محور الفصاحة ومصدر السماحة ذاك الذي ساد بذكائه على اياس وامسى مثلاً يضرب بين الناس فلا غرو ان بذلنا قصارى الجهد في تأبينه لانه لم تكن خلةٌ من الخلال الشريفة الا وحازها ولا صفة من الصفات الحسنة الا ونابها ولا بدع ان بكت عليه سكان برّ الشام دماء والادباء عددته كما تعدد الاباء ومجموع دائرة العروض تندبه ندب الشجي الحزين والنقش في الحجر ينتحب انتحاب الثكلى فنسأل الله ان يسكنه فسيح الجنان وهو على كل شيءٍ قدير

(وقال جناب الشاعر الاديب جرجي افندي شاهين عطيه)
(صوت الغرب)

لمَ انتحبت رجال الفضل طرّاً ووجه العلم والجود اكفهرا
وبات الشرق مكتئباً اليفاً لانواع الهموم وضاق صدرا
واضحى الغرب في قلقٍ وغمٍّ وعادت روضة الافضال قفرا

ونادى في الربوع هنا منادٍ فاجرى من دموع القوم نهرا
فهل سطت المنون على سريٍّ نبيلٍ جل في الافاق قدرا
وجيش البين ياشات يداه على رب الذكا فنديك كرًّا
اغار عليه واسفاه جهلاً وقد اودى به ظلماً وغدرا
فكان لخطبه وقع عظيم وتاثير سرى في الارض طرا
هو الشهم الذي قطع التواني بصارم عقله وثناه قهرا
هو العلامة السامي الذي قد بدا في قبة الاقدام بدرا
هو الندب الذي ابدى الخفايا واظهر للملا ما كان سرًّا
انار بعلمه ديجور جهلٍ واوضح للمسافر خير مسرى
واحيى في طلول العلم ميتاً وعن وجه الفنون ازال سترا
لقد كان العماد لكل خيرٍ وما للنفع والاصلاح يجرى
وقد كانت مناقبه سراجاً يضيء محامدًا وذكاً وطهرا
مهذبة بها حارت عقول سمت غاياتها سرًّا وجهرا
وكان محققاً فرداً غيوراً لبيباً سامياً قولاً وفكرا
علت افعاله بكريم قصدٍ واوصافٍ زهت تقوى وبرًّا
لقد ناحت مدارسنا عليه ومن احزانها باتت كسكرى
بكته أُلو النهى دمعاً سخيناً وفاضت ادمع الفضلاء بحرا
فقد نشر المعارف في ربانا وسطرها لنا سطرًا فسطرا

وكم القى بذلك من صعاب ... وبان طريقه حرجاً ووعرا
فلم يعبأ بذا وابى وقوفاً ... وظل على التقدم مستمرا
اقام بارضنا ستين عاماً ... يحاول بيننا للعلم نشرا
واسس في مدى هذه ربوعاً ... له وامتاز بين الناس صبرا
كذلك كتبه الغراء اضحت ... تفوق العد هندسة وجبرا
وباثولوجيا ومثلثاتٍ ... وجغرافيـة فلكاً وشعرا
فترجم بعض هذه عن لغاتٍ ... وبات مصنفاً ايضاً لأخرى
وفي اتمام ترجمة الكتاب المـقدس حاز مكرمة وفخرا
مآثره بنا اضحت الوفا ... شريفة غاية حسناء غرا
لذا امسى البكاء عليه فرضاً ... وحق رثاؤه نظماً ونثرا
فسوريا به فقدت نصيراً ... لما قد كان في الارزاء ذخرا
ولن تنسى له فضلاً وليست ... تمل له مدى الادهار شكرا
تصبر نجله فالموت حكمٌ ... على كل وان الصبر احرى
مضى كرنيليوس الندب رسماً ... ولكن لم يزل اثراً وذكرا
وان يك شخصه قد غاب عنا ... ففي دار النعيم قد استقرا
وفوق ضريحه تهمي غيوث ... برحمات من الرحمن تترى

(وقال جناب الشهم الاديب حسن افندي ابي ابرهيم)

وجوه الورى طرّاً عليها علائمُ من الحزن والاكدار فهي قواتم
وشمس السما والبدر والزهر كلها توارت وقامت بينهنَّ المآتمُ
وناب الملا حزن عظيم وحسرة تكاد لها تقضي سراة اكارمُ
وملك المنايا جار فينا بحكمه كأن له كل ابن انثى مراغم
يصول بفتك في جيوش نفوسنا كصول كمي حين يحلو التصادمُ
وحكم الردى في العالمين محتمٌ يعم البرايا كلها وهو صارمُ
حسام جميع الناس ترهب وقعهُ وتعنوله في الخافقين جماجمُ
ابى الدهر ان يبقي هماماً مقدماً حكيماً عليه للذكاء علائمُ
عليماً بحل المشكلات مفضلاً يسود بفكرٍ صائبٍ وهو عالمُ
كمثل حكيم الشرق فنديك من به توطد للعلم الشريف قوائمُ
همت ادمع العينين حين نعيه دلوحاً لعمري دونهن سواجمُ
هو العالم المفضال كوكب شرقنا خليل الجدا بحر من العلم حازمُ
لقد كان في ثوب العلاء موشحاً وفي طلعة الاحسان منه مباسمُ
تخط يمين الدهر حسن خلاله وفي مدحه عرب شدت واعاجم
فامست جميع الناس تشكو تلهفاً على فقده حتى القلوب حوائمُ
لدي خطبه دكت معاقل حكمةٍ وصرح علوم زال منه دعائمُ

تشظت بنو الانسان في يد مغفلٍ على حين فلت من علوم صوارمُ
افنديك إنا قد نفدي نفوسنا لوان الفدا يجدي كذاك الا كارمُ
مصاب لقد عم الجميع مصابه وخص الندى من هوله والمكارمُ
مصاب لقد ناب الفضائل والعلى فزعزعها حزنٌ وذلٌ ملازمُ
مصاب قد استشرى خف جميعنا بجيش كروب واستفاق الحيازمُ
فكم من فقير عاش من جود كفه وكم قد همت من راحتيه غمائمُ
له الله من شهم تفرد بالندى لقد كان رب الجود والمال نائمُ
اصوغ قريضاً في رثاه تاسفاً وكم كان بالتمداح يأتيه ناظمُ
سقى الله ذاك الترب ديمة رحمة يجود عليه ما تغنت حمائمُ
وما ناح طير فوق غصنٍ مغرداً وطبق دجن واستضمت كمائمُ

﴿ وقال جناب الشاعر الاديب عبد الله افندي سليم اليازجي ﴾

لعويل اهل الشرق في الدنيا صدى
هل فيلسوفهم الشهير سقي الردى
هل مات روح العلم نبراس التقا هل غاص ذا الجوهر في غمر الردا
رب الفصاحة والبلاغة والحجى عين الشهامة والسماحة والندا
حلو الرواية كان نطق لسانه يحكي عقود الدر او قطر الندا
سامي الروية كم اتاه سائلٌ عن مغمضٍ واجابه قبل الندا

يبكيه محتاجون كان يعولهم ويمدُّ ايام الحياة لهم يدا
يبكيه مستشفى الشهيد(١) بفضله ويسيل دمع مشيديه سرمدا
صرف السنين به يطبب كل من قصدوا تداويه فنالوا المقصدا
يبكي المريض دماً لفرقته ولا ينسى ايادي فضله طول المدى
يبكيه من عبدوا المسيح وكرموا موسى ومن قصدوا الرسول محمدا
قد كان خلاً للجميع مطيباً متعطفاً مترفقاً متوددا
تبكيه مكتبةٌ لنا ابقى بها دراً لترقية العقول منضدا
تبكيه طاولة على صفحاتها ايديه للتأليف قبلاً اسندا
يبكي يراعٌ في انامله حتى سيفاً بايدي الاقوياء مجردا
تبكي الجرائد كلها اذ انها من كل شين قد رأته مجردا
يبكي هلال(٢) فيه ننظر رسمه وعليه حزناً وجهه قد سودا
تبكي العلوم لانهُ مقدامها ولطالبيها كان قبلاً موردا
والمال يفرح حيث كان يذله وعليه بالاحسان والبذل اعتدى
والمرصد السوري اصبح لا يري بدراً بآفاق السما او فرقدا
امست بعين الرصد فيه غشاوةٌ من عظم ما بكت الهمام الامجدا
اذ انه الفلكي الوحيد وخير من رقب الكواكب في السما وترصدا

---

(١) مستشفى القديس جاورجيوس للروم الارثوذكس في بيروت

(٢) مجلة علمية ادبية لمنشئها جرجي افندي زيدان في مصر

بذل النضار بدون ان يرجو له   عوضاً وفي بيروت اوجد مرصدا
مالي اخذت اعدُّ نفع اخي علاً   قبل الفطام المكرمات تعوّدا
أنى أعدد نفعه ولعده   يحتاج راجي الاختصار مجلدا
لكن لقد يحصي تآليفاً له   رجلٌ باحصاء النجوم تعهدا
ولوان بقراط الحكيم بعصرنا   لدُعي له كرنيليوس سيدا
ولو ان ارباب الحجى القدماء في   ايامهِ لجثوا لديه سجّدا
يبقي المهيمن من نريد ونبتغي   موتاً له ونودُّ ألاَّ يولدا
ويميت من نرجو البقاء له ومن   في كل محمدةٍ نراه تفردا
كفقيدنا فنديك من ابكى الملا   دمعاً سخياً بعده لن يجمدا
واذا قضى رجل العلا وبقي الدّني
فالله قد فصل الخراف عن الجدا
اواه بل ويلاه من هذا البلا   ويلاه تصديع الرؤوس تعمدا
اواهُ اين الصبر مات بموته   ويلاهُ ما اقصى السلوَّ وابعدا
مات النطاسي الخطير وكل من   في الشرق يرجو ان يكون له فدى
مات الذي شهدت عداه بفضله   والفضل ما شهدت بصحته العدا
قد كان بالانجيل افصح واعظٍ   ولمن عصى امر المخلص مرشدا
يا طالما خضع العصاة بوعظه   ولطالما اهدى الضليل الى الهدى
يا من يقول اذا توغل طالبٌ   في العلم يصبح كافراً او ملحدا

ها فيلسوف الشرق قطب زمانه قد كان قبلاً زاهداً متعبدا
فلتقتدِ الأحياء فيه لأنه شهمٌ عزيزُ الشبه فيه يقتدى
وليحمل الباكي الحزين تصبرًا ما مات فنديك ولا سقي الردى
من فارق الدنيا وابقى بعده وليم وادور ذاك عاش مخلدا
أيعدُّ ميتاً تاركاً خلفاً له ورنين حمدٍ في البلاد مؤبدا
ما جاز للانسان ان يبكيه أو يستعظم البلوى ويلبس اسودا
ما جاز في التاريخ ندبك وليمُ فانديكُ في حضن المسيح توسدا

٧٦ ٨٦ ١٦٥ ٩٠ ٨٥٨ ١٤٩ ٤٧١

سنة ١٨٩٥

(وقال جناب الاديب البارع نقولا افندي سمعان بلسان حضرة

(الاديب ا٠ن٠ س بيروت)

ما للصواعق في الصدور تغورُ والارض ترجف والجبال تمورُ
والشمس حال ضياؤُها في مشرقٍ غاضت مدامعهُ وهنَّ بحورُ
رزءٌ هوى بالنيرات من العلى في القلب منه رنة وزفيرُ
قد دك في بيروت طود فضائل كادت لمصرعه العقول تطيرُ
كرنيليوسُ الفيلسوفُ الأروع الـ شهمُ الطبيبُ العالمُ المشهورُ

ومن العجائب أن يوسد في الثرى ولهُ على هام السماك سريرُ
ما الشرقُ بعد غروب بدر سعوده الا سقيم للنجوم سميرُ
وعيوننا كحلت بشوك مصابه والصبر ولّى والنهى مذعورُ
وبكي عليه ثغر بيروت وكم ضحكت له في العالمين ثغورُ
ما للتهاني تستحيل مراثياً والخد طرس والدموع سطورُ
حل العلى أمُّ العفاة فبعده لم يبقَ عافٍ باللهى مغرورُ
«كفل الثناء لهُ برد حياته لما انطوى فكأنه منشورُ»
كتب القضاء لكل عينٍ في الورى
المرءُ ظلٌّ والحيوة غرورُ
لا تعذلوا من شك ان فقيدنا رب الحجى فبجهله معذورُ
علمتنا نهج التصبر انما لم يبقَ بعدك في الانام صبورُ
فبمن نقيسك يا وحيد زمانهِ حاشا يرى لك في الزمان نظيرُ
ان كان هذا العصر شمس معارف فالُولوا النهي غاز وانت النورُ
عم المصاب بك الطوائف كلها فكأنَّ رُزْءَك للبرية صورُ
وكأنَّ انف العلم بعدك اجدعٌ وكانما غصنُ الندى مهصورُ
ما كان ظني قبل دفنك ان ارى طود العلوم الى الفناء يصيرُ
لا اعذل الحمى عليك ولا الردى فالدهر يعدل تارةً ويجورُ
شقَّ القلوب عليك ضربة لازب لكن قلب الكل فيك سعيرُ

ان كنت في لحدٍ فانك في النهى حيٌّ وانك في الحشا مقبورُ
سنصوغ فيك مراثياً تنسي الورى
(اني لاعلمُ واللبيب خبيرُ)
يا رمس فنديك سقتك السحب كم
حسدتك منا اعينٌ وصدورُ
نقدت مدامعنا لخياك الحيا ما غردت في الخافقين طيورُ

(وقال جناب الاديب البارع امين افندي ابرهيم سمعان)
(غرزوز)

ما للعيونِ تصب دمعاً احمرا وقلوب اهل الشرق ترك تسعرا
قد دك طود العلم والشرق الذي ما زال وسع البحر عنه مقصرا
وانهد ركن الطب بعد مماتهِ وبفقده باب المكارم سكرا
من لليتامى والارامل بعده هيهات كسر قلوبهم ان يجبرا
اسفاً على تلك الشمائل والذكا وعليك اهل العلم تقضي تحسرا
قد غصت بحرًا بالمعارف مزبدًا وسواك ما والله بلَّ الخنصرا
ما كنت اعلم قبل وضعك في الثرى
ان التراب يضم فيه الابحرا
يا فيلسوف الشرق يا علم الهدى رب الكمال ومنتهى امل الورى

الشرق بعدك مدلهم وجهه والغرب يصرخ يا ترى ماذا جرى
يا رمس كرنيلوس لو درت العلا
ان العلا قد دك في وهد الثرى
لتفتتت صم الصخور من الاسى وتزعزعت صلد الجبال تأثرا
وتساقطت كل الكواكب لوعة وتغيرت سنن الطبيعة ادهرا
وانهد وضع الكائنات باسرها وانحل عنصرها العظيم مبعثرا
« قامت تشيعك الرجال مشخصا ومضت تشيعك القلوب مصورا »
تمضي الدهور على اختلاف سنيها وجميل صنعك لا يزالُ مسطرا
هاجرت اهلك والاحبة بالرضى واتيتنا وزرعت خيراً مثمرا
والان قد هاجرتنا لمواطنٍ عليا احق بك وأولا واجدرا
يا من سقيت الخلق عذب معارف
انعم لقد جاورت ذاك الكوثرا

(وقال جناب الشاعر الاديب امين افندي منصور الغريب)
(معلقة الدامور)

دعاني عن الافراح وحدي بمعزل فلله من دهرٍ لوافيه مبتلِ
وكي ترضياني فابكيا واسهرا معي بليل من السمر اللدان بأطولِ
يرينا اجتماع الشمل ذا الدهرُ ساعة
وبعد شتاتاً في جنوبٍ وشمألِ

لقد طالما عللت نفسي بالمنى　وعند قضا الأمر انقضاء التعللِ
خليلي هلاً تذكران بغصةٍ　زماناً مضى كالسائل المتسلسلِ
لعمركما هل بعد ذاك نسيتما　زماناً وردنا فيه اعذب منهلِ
اذا فاتركاني في مصابي انتحب　لعل همومي عن فؤادي تنجلي
والا ففي هذي الطلول دوارساً
«قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزلِ»
قفا نبك من ذكرى الذي دون ذكره
انفصام لقلب بالشجون مغللِ
لقد فجعتنا الفاجعات بمن بنى　بربع العلى صرحاً لاعظم معتلِ
ومن كان يأتم الهداة بهديهِ　وكان لجيد العصر خيراً من الحلي
ومن فاح مابين الورى طيب علمه　ففاق شذا رياه عرف القرنفلِ
ومن كان فيه غوث غيث لسائلٍ　ونبع لورّادٍ ونار لمصطلِ
ومن كان مجموعاً به جود معن في　ذكاء اياس في وفاء السموأل
ومن قد بكاه كل مرء بادمع　نظير ندى كفيه للناس هطلِ
ومن كان فرضاً واجباً مدح فضله
وغير الثنا والشكر غير محللِ
ومن كان فرد الناس كان زمانه　لمعروفه مثل الاسير المكبلِ
هو العلم المفضال فنديك من هوى　لدى موته بدر العلاء لأسفلِ

وهدت حصون العلم بعد رسوخها وحطت مقاصير المكارم من علِ
كأن جميع الكون شخصاً اصابه من الدهر سهم حل منه بمقتلِ
فان تطلّب صفواً من الدهر يابه وان ترض او لم ترتض الشر يفعل
يفوّق نحو الكل صم سهامه صغيراً كبيراً دون ادنى تامل
اصاب الذي قد كان انسان عصره
به العلم يسمو والفواضل تعتلي
وكم غص ناديه الجواد فلم يكن
يرى مدبراً الا رأى ألف مقبلِ
وكم حارب الايام حتى اذلها وكم حل من امرٍ على الكل مشكلِ
وكم راحتِ الايام تقضم كفها لخيبة مسعاها بتحطيمِ جندلِ
وكم علم الايـام ان لانحطاطهِ عن المجد لا يجدي كثير التحيلِ
وكم مرةٍ القاهُ تمليق دهره بليلٍ كقلب الدهر اسود أليلِ
فشق دجون الخطب حسن اعتصامه
بصبرٍ رُزئنـا اليوم منه بامثلِ
ولم يهدهِ نحو العلى غير حزمه اا
ذي مثل صبحٍ من دجى الشرق منجلِ
ومن صان حق العز ماعاش يأتهِ ويضرب رواقاً فوقه ظل قسطلِ
بكى الناس فيه ربَّ علم وخبرةٍ وحزمٍ واقدامٍ وحسنِ تجملي

بكى فيه ذو سقمٍ طبيباً مداوياً   يبدد جيش الهم عن كل من بلي
ويبكيه شرّابُ القراح بعيشهِ
ومن بعده يخشى أُستقا كأْس حنظلِ
وكان يداوي من يظلون مثلما   يداوي ذوي داءٍ على الكل معضلِ
وتبكيه اقلام من الحبر دمعها   نظير رماح في وغى العلم ذُبلِ
وتبكي المعالي والمفاخرُ ربها م   الذي زاد عنها من علاه بمنصلِ
وتبكيه دون الناس طرّاً مآثرٌ   زهت في عيونِ الرائدِ المتأصلِ
مآثرُ احياها اذكاراً حميدةً   لئن ترَها شمس الظهيرة تخجلِ
مآثر كالينبوع للمهتدي بها   تسيلُ عليه جدولاً بعد جدولِ
تنزه دون الخلق عن عذل عاذلٍ   وعن اعين التمداح لم يتحولِ
فمن لم يصانع في امورٍ كثيرةٍ
ولا يبدِ حسنَ الفعل في الناس يعذلِ
تضوع لبنانٌ بعطرٍ فعاله   كأن يديه ضمختها بصندلِ
فسائل تآليفاً له ترَ انه   سما بمقامٍ في ذرى العلم أوّلِ
وسائل فعال الخير تنبئك انه   اذا رام فعل الخير لم يتزلزلِ
وسائل جميع الناس تعلمك انه   لسباق غايات بعيد التطفلِ
وحمال احمال البرايا ثقيلةً   وحصادُ اخطار الزمان بمنجلِ
فحق لنا ان نرسل الدمع بعدهُ   سيولاً وان الدمع احسن مرسل

وننثر ذاك الدمع فوق لآلئٍ بدت من معانٍ حاكها خير انملِ
وننظم من نثر اللآلي خرائداً ونبكي على ذاك الفقيد المجللِ
على سيدٍ في الخطب حامي ذمارنا رمته الدواهي بالذي لم يؤملِ
على فاضلٍ دون الملا وثناءهم اتتهُ المنايا بالقضاء المعجلِ
سقت غاديات المزنِ تربة قبره بغيث من الرضوان والغيث ممتلِ
والهم رب العرش صبراً لآله فلن يعرف الانسان الاَّ متى ابتلي
فما زال بعد الموت في الصدر قاطناً
كما كان قبل الموت في صدر محفلِ

(وقال جناب الشاعر الاديب يوسف حبيب ابي مرعي)
(معلقة الدامور)

خصمك الصبر فانقبه وجودي بدموع ترثي لحال الكبودِ
واصحبي النوح فهو خير حبيبٍ لفؤادٍ معذبٍ مجهودِ
انت مثلي غارت عليكِ الرزايا وكلانا قد هام بالتسهيدِ
بينما نحنُ من مبارحةِ الخطبِ م بأمنٍ نبلى بخطبٍ جديدِ
ان نار الاسى تلظت وثارت سعراً في فؤادنا المفؤودِ
فعزانا بان يكون انا نو م حٌ مذيبٌ لمهجة الجلمودِ
وعزانا بلوعة وعزانا ببكاء يشقُّ قلبَ الحديدِ

فزمانُ الهناء ولّى ووافى ** زمن غاب فيه بدر السعودِ
زمنٌ سادت المصائب فيه ** ودهتنا بالهم والتنكيدِ
وجفتنا بيض الليالي واضنانا ** م بلاءُ صرف الليالي السودِ
الف آهٍ على زمانٍ انقضى ** بين غضِّ الصبا وعيش رغيدِ
ألف لهفٍ على معاشر ربعٍ ** تركونا من الاسى بقيودِ
خلفونا والدم ملء المآقي ** ينقش الخد مثل نقش البرودِ
قد حسبنا اللقاء يبقي ولكن ** حكم البين بيننا بالصدودِ
ذاك ميتٌ منا وآخر حيٌّ ** يلتقي الخطب كالتقاء العيدِ
بددت شملنا الليالي فذقنا ** بالتجافي مرارة التبديدِ
قد دهت لبنانًا بالجمع خطبٍ ** اي خطبٍ يُشيب رأس الوليدِ
قد دهته بموت فردٍ كريمٍ ** كان فيه كالعقد وسط الجيدِ
يا قرى لبنان يحق لك النوحُ ** م فنوحي ومن بكائك زيدي
لا تخافي اذا تهددك الدهرُ ** م بخطبٍ من الخطوب شديدِ
فعليك المصائب اليوم تترى ** أفتخشين بعدُ من تهديدِ
واذا نحت واستعنتِ باطيا ** رِ حمامٍ تنوح طول الابيدِ
لن تفي نصف ما عليك لفنديك من الفضل والفعال الصيدِ
ان جيش الهنا تنكس عقبي ** انه كان ناشرًا للبنودِ
وسخا الدمع حال دون التأسي ** وسهاد الجفون دون الهجودِ

او يكفي البكاء ان لم تكن تشـــفعه نيران الحشى بوقودِ
فيدُ الموت حينما اقتنصتــه علمتنا كيف اقتناص الاسودِ
واقامت طيَّ الجوانح طرًّا زفرات تأبى سوى التصعيدِ
وعذارى العليا شققن للدمعِ م اخاديد في صحون الخدودِ
والطبيب الطبيب مات ولم يبق م لجرح الفخارِ من تضميدِ
كان في الخلق إلف بذلٍ وفضلٍ
منجـداً لليتيم المنجودِ
وابًا كان للضعيف حنونًا ورؤوفًا لم يحكه من نديدِ
كان للمشكلات حلالها اذ كان مستقربًا لكل بعيدِ
قرن القول بالفعال كما قد اوقف الراي موقف التسديد
يا هماماً تعشق الخير طفلاً وحواه من طارف وتليدِ
كيف غادرت اهل بيروت تبكي منهلاً للوراد عذب الورودِ
فسيسلوك ساكنوها ولكن مثل سلوى ام على أبن وحيدِ
فقدوا فيك فاضلاً ذا علاء ذا جهادٍ للخير ذا تمهيدِ
من وفاء من مفخر من سخاء من علوم من معزمٍ من جودِ
قد تفانيت غيرة في سبيل الـــعلم مع نشر بنده المعقودِ
كنت ركنًا له وطيدًا انكم شق م جيوبًا لفقد ركنٍ وطيدِ
والتآليف شاهدات على ما كنت تبدي وتلك خيرُ شهودِ

بانتثار الدموع نرثيك حزناً بعد اهدا الثنا بنظم عقودِ
وبأي الدموع يبكى على البا ذل للخير اي جهدٍ جهيدِ
عشت شهماً غداة يسأل يعطي ومجيباً اذا الى الفضل نودي
هانت الارزاء الشداد لدى مو تك حتى ان هان يوم الوعيدِ
ان تكن متَّ راحلاً فلقد ابـ ـقيت للدهر خير ذكرٍ حميدِ
صبر الله بعدك القوم اذ مد م مع كلٍ روى تراب الصعيدِ
وحباهم بفضله ورضاه ووقاهم من شرِ دهرٍ حسودِ
ان كل الانام شبه سيوفٍ والقيود اغتدت لهم كغمودِ
اين اين القوم القياصرة الصـ ـيد بنو القوم الاقدمين الصيدِ
اين حلوا واين حل مقيماً قوم عادٍ وجرهم وثمودِ
حولك الموت ضارب خيمة قد شد اطنابها بحبل الوريد
فالضليل الضليل باغي بقاء والجهول الجهول راجي الخلودِ
هكذا هكذا الزمان غدت بين قيامٍ صروفه وقعودِ

(وقال جناب الشهم الاديب يوسف افندي نجم)

ما للدموع من العينين تنهمرُ والقلب من حسرات كاد ينفطرُ
والحزن اصبح طي الصدر مجتمعاً يزداد مداً ولكن ليس ينجزرُ
يالهف نفسي على كرنيلوس فقد قضى وخلف فينا الغم يستعرُ

قد خانه الدهر في ذا اليوم معتدياً

والدهر بالمكر والعدوان مشتهرُ

هدمت يا دهر ركن الطب فانهدمت

اجسامنا وعراها الداء والكدرُ

تركت من بعده الاداب نائحة تبكي بدمع صيب دونه المطرُ

تبكي على عالم اجلى غوامضها بعلمه ودموع الحزن تنفجرُ

تبكي سرياً سما بالمجد محتده من دونه في العلاء الشمس والقمرُ

عرق كريم لاصل طيب قد اتى غصناً نضيراً عليه الزهر والثمرُ

سديد راي اخو حلم مآثره قد اصبحت في ربوع المجد تزدهرُ

عقد البلاغة عنوان العلوم ابـو اليراع في مثله ما جادت العصرُ

نور المعارف نبراس الفنون له مولفات بها الاداب تفتخرُ

حامي الحقيقة زين العلم غرته كنز الحجي بنطاق الصدق مؤتزرُ

لو كان يفدى لكان الناس قاطبة فدته بالروح والاموال لو قدروا

نبكي عليه مدى الادهار من مقلٍ

فاضت دماً بعد ان قد جفت العبرُ

على فريد نطاسي اب ندس عليه قد بكت الاقلام والبشرُ

على كريم اخي العلياء اورثنا عند التفرق حزناً ليس يندثرُ

اني لابكيه ما ناحت مطوقـة وما انجلت في المعالي الانجم الزهرُ

(وقال جناب البارع الاديب سليم افندي الحلو)

بكت العيون وفاتها طيب الكرى   واستكت الاذان مما قد جرا
والغرب يصرخ لوعةً وتأوُّها   والشرق يندب فيلسوفاً اكبرا
ورجال اهل العلم ثار زفيرهـا   والعصر يبكي ذا السراج الانورا
واكف اهل الشرق تصفق حسرةً   وعيونهم سحت دمـاءً احمرا
فترى الجرائد والمكاتب والمدارس م   والكنائس يندبون تحسرا
كل يقول بلهفةٍ متاسفاً   ودما حشاه بالمحاجر قد جرى
من بعد قنديك التقي لنا الاسى   صار الصفا في عيشنا متعكرا
شلت يداك ايا منون فانت قد   ارديت بدراً بالمعارف مزهرا
بل انت ظلاّمٌ لاخذك فاضلاً   جزعت له وتأسفت كل الورى
هذا الذي عمَّ البلاد بنفعـه   والآن صار معمماً في ذا الثرى
كم من عليل الجسم اصبح سالمـاً   بحذاقةٍ ومهارةٍ لن تنكرا
بل عاد مفتوناً بحسن لطافةٍ   يثني عليـه ومن ثناه تعطرا
هذا الذي سبق الجميع بعلمه   نلقاه هـذا اليوم صار مقصرا
هذا الذي قد كان تعزية لنـا   والان كل صار فيه محيرا
هذا الذي الافلاك تبكيه اسىً   ولطالما عن حسنها قد اخبرا
لله ما احلى تآليفاً له   في حسنها سبقت الى اعلى الذرى

في كل فنٍ ذا الفقيد مؤلفٌ ولذا نرى كلاً عليه تكدرا
هذا الذي قد سار عن دار الفنا مستوطناً دار البقاء مبررا
هذ الذي لا شخص ينكر فضله فله الرثا من كل عالٍ منبرا
لا عيب فيه غير ان حديثه اشهى من الماء الزلال لمن يرا
لو كان يقبرُ في قلوب أُلي النهى كلٌ تمناهُ به ان يقبرا
فلك الهنا يا قبره فلقد ضممت م اليك بدرًا كان فينا انورا
بالله كن رحباً له اذ انه قد كان يرحب في صعاليك الورى
واحذر ملامسة التراب بجسمه اذ كان الطف من نسيمٍ اذ سرى
من كان يطمع في بقاء حياته فلينتبه ان البقاء تعذرا
والله ما هذي الديار لنا سوى طيف يزور عيوننا عند الكرى
هـذا النطاسيُّ التقي اللوذعي قد حل في دار السماء مقررا
قد كان يشفي الناس من اسقامها ونراه عن اسقامه قد قصرا
لما دري ان الاله اختاره كانت له افراح من قد بُشِّرا
وملائكه باللطف نادى روحه لباه حالاً دون ان يتأخرا
والى المؤرخ صاح بشر دائماً فنديك في دار السماء تنورا
٩٩ ٥٠٢ ٤٦ ١٦٤ ٢٠٥٩٠ ١٣٢ ٦٥٧

سنة ١٨٩٥

(وقال جناب الاديب البارع رشيد افندي الحاج)

مالي ارى الدمع من عينيك ينهمرُ وجمرة الحزن في الاحشاء تستعرُ

من معظم النوح قد امسيت في ارقٍ

ترعى نجوماً هوى من بينها القمرُ

هي المنايا فلا تعجب لما فعلت فرزؤها مؤلم في صرفها غيرُ

هذا سبيل بني حواء قاطبة فهل يرد القضا او ينفع الحذرُ

فبينما الناس في لهوٍ وفي مرح تنوبهم نوب في خطبها عبرُ

نسهو ونلهو بدنيا لا بقاء لها فاستيقظوا وافقهوا يا ايها البشرُ

فالشرق في ارق والغرب في اسفٍ

والكل في حرق والدمع منفجرُ

تبكي الفصاحة باريها وسيدها والنبل يبكي دماً والعلم مندثرُ

تبكي طبيباً وطوداً قد هوى فثوى في حفرةٍ وثوت في لحده الدررُ

تبكي هماماً شهيراً فاضلاً علماً تبكي كريماً زهت من فضله العصرُ

تبكي على جبل دكت شوامخه

من آل فنديك من ساروا ومن نخروا

كرنيليوس الذي ترثي بلا ضجرٍ ومن رثى الفضل لا يعتاقه الضجرُ

فالطب والدين والعلياء تندبه والمجد والفخرُ والتأليف منحسرُ

شهم يريك عجيب السحر منطقه في سورة انزلت من دونها السور
شهم لو ان الندى لم يهم صائبه فمن ندى كفه يستنزل المطر
لم يشفه طبه من ميتة صممت ان المنية لا تبقي ولا تذر
لموته ماتت الايتام قاطبة والخير ألبس ثوباً نسجه الكدر
تبكي البلاغة من نالت به شرفاً والنبل في حلة الاحزان مؤتزر
قد كان عوناً لنا في كل نائبة كما يثبت ذا افعاله الغرر
قد كان للشرق ركناً يستعز به واليوم اصبح قلب الشرق ينفطر
يبكي الكسوف عليه والخسوف دماً
يبكي عليه الحجى والبدو والحضر
والنقش في حزن والشعر في شجن والطب مكتئب والجبر منكسر
لئن توارى فقد ابقى لنا خلفاً بنجله وليم نسمو ونفتخر
نسأل الله ان يبقى لنا عضداً ولا يلم به رزء ولا ضرر
فهكذا الناس في حل ومرتحل كاننا رحل قد شاقنا السفر
لئن رثيت فلا اشفي غليل (جوى)
اذ قد ونى قلبي والسمع والبصر
ما حل في حفرة من ذكره عطر ولا ثوى في تراب من له اثر
يا راحلاً قد مضى عنا فاتلفنا لم يبق بعدك الا الحزن والفكر

سقى ضريحك هطل المزن منسكباً
حتى يصافح اقصى رمسك الزهرُ

(وقال جناب الاديب البارع فريد افندي مراد الحداد)

حكمَ القضا مالي اراك مريعا عجباً ومالي لا اراك قنوعا
تزري بنا وتصول صول الفتك في يوم النزال ولا تهاب جموعا
نفذت سهامك في الملا وسقيتنا كأس الردى سماً وكان نقيعا
حقاً لقد حيرت ألباب الحجى وأُولي الحصافة والذكاء جميعا
يا بين ويحك كم هجمت مجردا ماضي الحراب وكم اسلت دموعا
تجري على عجلٍ وتطلبنا ولا اذن تفات نداءك المسموعا
رمت العلو فجئت فنديك العلى ودعوته لبىَّ وسار مطيعا
خطب جسيم حل في اقطارنا لما قضى في الرمس صار ضجيعا
فاندكَّ طود العلم من اركانه وهوى بزلزالٍ رماه صريعا
اسفي على فنديك شمس العلم ها امسى وضيعاً في الثرى موضوعا
فلك النهى واراه لحد ضيق وطواه معه في التراب سريعا
اين الرياضيات تندبُ ما ألمَّ م وما اصاب اصولها وفروعا
اين العلوم تقوم تندب من كسا ها ثوب فخرٍ زاهياً وبديعا
والطبُّ ولولَ قائلاً اين الذي يعطي الدواء ويبرىء الملسوعا

تبكيك سورية الحزينة سرمدًا   تبكي طلولاً زرتها وربوعا
وكأنما الشرق الاسيف من النوى   يبكي وينحب لاطماً وجزوعا
عجبي لبدرٍ كيف حل اللحد من   بعد العلاء وكيف صار وضيعا
يارمس قنديك المكارم والتقى   اودعته اكرم به مودوعا
بحر الندى علم الهدى نور الحجى   من كان حصناً للعلوم منيعا
كملت بك الاوصاف حتى أسقتني
رغماً لبحرٍ كاملٍ مدفوعا
فودعت في سورية ذكرًا مدى م الادهار يبقى في النهى مطبوعا
كيف التأسي والأسى اعيا الإسا
وغدا الرقاد محرّما ممنوعا
ترثيك افئدة رثيت لحالها   فلطالما منها جبرت ضلوعا
غادرتنا فرحلت عنا قاصدًا   دار الخلودِ ولا تروم رجوعا
سهم الردى الأرزاء منك تواردت
ففتكت فتكاً في القلوب ذريعا
تلك المنون اذا عنيت بوصفها   وبوصف ما فعلت فلن اسطيعا
فاضت بحار مؤلفاتك ذي التي   رصعتها بجواهرٍ ترصيعا
زرعت اناملك المحاسن والتقى   والكل يحصد ذلك المزروعا
بشراك سرت مجدا ومكللاً   لتنال سعدًا في النعيم رفيعا

بتلى السلام عليك ما سجع الحما م وما سرى عنك النسيم مذيعا

(وقال جناب الكاتب الاديب اسكندر افندي ابي شعر)

كل ابن انثى وان طالت سلامته يوماً على آلة حدباء محمولُ

خطب عظيم بل مصاب اليم اصاب الشرق عموماً ومدينة بيروت الزاهرة خصوصاً يوم هوى طود المعارف وافلت شموس العوارف يوم نعى البرق الى مصرنا مشيد اركان العلم وراصد النجوم اب الانسانية وملاذ المستشفيات والمدارس السورية الاستاذ الاكبر والشيخ الفيلسوف الموقر الطيب الذكر المرحوم كورنيليوس فانديك الابر · ولما انتشر هذا الخبر المؤلم بين تلامذته واصحابه ومعارفه في القطر المصري اعتراهم الاندهاش فلم تكن ترى سوى عيون تدمع وافئدة تتوجع على فقيد الطب والانسانية ولسان حالهم ينشد قائلاً

ما كنت اعلم قبل دفنك في الورى ان الكواكب في التراب تغورُ

فكيف لا يحق لنا ان نبكيه ونستعظم المصيبة فيه فكان رحمه الله فوق ما هو عليه من المعارف والعلوم انيس المحاضرة لطيف المعاشرة لين العريكة عزيز النفس ذكي الفؤاد غيوراً على مصلحة الامة والبلاد شفوقاً على المرضى والبائسين الذين كانت عطاياه تتدفق

عليهم سراً فقد فقدوا به اباً حنوناً يفتقدهم في ضيقهم ويخفف من ثقل ضنكهم فلا عجب اذا بكوه بكاء الخنساء على اخيها · فتبالك يا منية اذ اختطفت منا درة بهية وجوهرة ثمينة تفدى بالارواح و بئسك ذاك اليوم الذي نعي فيه الينا منبع الحكمة ومستودع الفهم ومقر الحقائق ونبراس الدين والعلم

يازمان الخطوب كم ذا تعادي رب فضلٍ وكم عليه تجورُ
تنتقي من خيارنا كل شهم لوذعي به تزان الصدورُ
رمية منك قد اصابت فما ا: تَ بريءٌ منها ولا مغدورُ
قد اصابت قلب الفضائل فانها لت دموع منا ودقت صدورُ

سار عنا هذا الفقيد الكريم الى الراحة التامة والغبطة الابدية ولكن بعد حياة طويلة سعيدة كلها خدم جليلة وطنية وددنا ان لا يكون لها انقضاء وها كتبه التي الفها شاهد عدل على اجتهاده وفضله يغترف منها الطلبة فوائدا جمة الى ما شاء الله وتخلد له الذكر الحسن مدى الازمان

فعليك ايها الراحل سلام الله فارتع في نعيم ربك حيث تنال اكليل الحياة جزاء عملك الذي اوقفت له كل حياتك

انت احسنت الينا في الحياة احسن الله اليك في الممات

وها نحن نذكر في كل حين مآثرك الغرا ونجتهد في ان تتبع

نصائحك ومشوراتك ما دام فينا نسمة حياة . جعل الله نجليك الفاضلين خير خلف لوالدهم المبرور ومنحهما وجميع الآل والشرق عموماً الصبر الجميل والاجر العظيم على هذا الخطب العميم

(وقال جناب الشاعر البارع البكاور نقولا افندي سمعان)

أتسال لمْ بيروت في لجج السكرِ وبحرُ دموع الشرق بالمد والجزرِ

فقد دكّ طود العلم والفضل والعلى

وقد هد ركن الجود من سائر القطرِ

تليدُ المعالي قد قضى وطريفها وطود الحجى قد دكّ في ذلك القبرِ

مضى منجد العافي ولم يبقَ بعده كريم تُمات البائسون من الفقرِ

فمن لليتامى والارامل بعده ومن يا ترى يشفي السقيم بلا تبرِ

كأنّ العلى اذ دكّ فنديك في الثرى

تولولُ كالخنساء تبكي على صخرِ

وغاضت ينابيع الدموع لفقده كما غاضَ ينبوع المعالم والفخرِ

لئن غدرت دهمُ الليالي بربها فانّ الليالي ليس تخلو من الغدرِ

وان مات مفجوعاً بحادثة الردى فكم قد قضى محلٌ بانمله العشرِ

وان لف في اكفانه الفضل والتقى فقد نشرت منه الشمائل كالنشرِ

وان ضمه قبرٌ من الارض ضيقٌ
فقد ملاء الافاق منـه شذا العطرِ
وان راج سوق الجهل والبخل بعده فكم راج سوق العلم والجود والعذرِ
وان شمخ الحساد اوشمت العدى فكم شمروا ذيل التذلل والغرِ
توهم قومٌ ان يجاروه في العلى فكانوا كمن رام المسير مع البدرِ
فليس له في العصر قط مشابهٌ ولم تلد الايام في سالف الدهرِ
مشيرٌ الى العليا اشارَ فطأطأتْ وخرت له بالنصح والنهي والامرِ
شهيد العلى لا يبلغ الوصف كنهـهُ
شريف المساعي فضلـه عاطرُ الذكرِ
تحلى به الدهر الذي كان عاطلاً فقرت عيون العالمين من البشرِ
رجال العلى والفضل عقدٌ منظمٌ وكرنيليوس فنديك واسطة الدرِّ
قضى في سبيل الله شهماً مكرماً فسوف يجازيه المهيمن بالاجرِ
قضى فقضى المعروف والطب والنهى
وولى فأمسى العرف بعـدهُ كالنكرِ
ولما قضى ولى السرور واقبلت
جيوش الأسى بالبيض والزرق والسمرِ
مدامع اهل الحق جفت لفقده وسرَّ به جمع الطواغيتِ والكفرِ
ألم ترَ ان الكون اظلم بعده وأن ضياء الشمسِ أظلمَ والبدرِ

وقد فارق السلوان كل القلوب اذ
رأى في ربوع القلب حرب بني بدرِ
ولا عجبٌ ان عطل الثغر بالبكا فصرح المعالي شل في ذلك الثغرِ
رصدنا نجوم النحس والدمع والأسى
برصده اذ ليس بعدهُ من يدري
واغرق بر الشام بحر نواله
وفاض الى ان اغرق النيل مع مصرِ
فاعزز علينا ان نرى فيلسوفنا وحيداً بذاك القبر ناءٍ عن القصرِ
سنندبه ما ارزمت امٌّ وائل وما هدرت ورقاء في غصنٍ نضرِ
ولما قضى وافوا وواروهُ في الثرى ولو انصفوا العليا واروهُ في الصدرِ
فلم يا ثرى واروهُ في ذلك الحمى (مطبعة الاميركان)
فلو انصفوا واروهُ في روضة الزهرِ (المدرسة الكلية)
كفاهُ «كتاب الله» ذكراً مخلداً يدوم الى يوم القيامة والحشرِ
فأينَ حبيبٌ والمعري واحمدٌ فيرثون عنا قطبَ دائرةِ الشعرِ
فانا عجزنا بالقريض عن الرثا وليس عجيباً ان عدلنا الى النثرِ
وحق أبي ما فقدهُ وقلوبنا
جميعاً سوى التقطيع في الشعر والشطرِ
فيا ماجداً فاق الانام محامداً فكلٌّ الى ادنى مآثرهِ يجري

مصابك قد عم الطوائف كلها وفقدك اردى ساكني البر والبحرِ
وامست صدور الناس فيه مراجلاً
تجيش بها الاحزان والقلب كالجمرِ
وقد اقصدت فرسان حتفك قلبنا
وامسى الاسى كالذخر ياكرم الذخرِ
فها ممرعُ الآداب والجود ممعرٌ
ورض النهى والفضل كالسباسب القفرِ
وها الجفن منهلٌ بسيل دموعهِ كما كان منهلاً بنانك بالقطرِ
وبعدك امسى الصبر والعز علقماً وحلو العزا امسى امرّ من المرِّ
رأى الصبر قلب الحر بعدك مضرماً
ففارقه والصبر بعدك كالصبرِ
وفارقتنا كرهاً ففارقنا النهى
وأمسى الأسى والقلب كالماء والخمرِ
قهرت بنعماك الزمان وصرفه فوافى بجيش الموت يأخذُ بالثأرِ
وجاهدت في العلياء حق جهادها ففزت بإكليل الجلالة والنصرِ
مددت الصراط المستقيم الى العلى
وصرت به فوق السماكين والنسرِ
مضيت فذاب القلب والجسم لوعةً

وسال سواد العين بالادمع الحمرِ

فبعدك امسى لهزم الراي مبرداً ... وبيض الاماني البواتر كالبترِ

وسار ضلال الناس يا علم الهدى ... ومدت خطوط الشر يامحور الخيرِ

فلو كنت تفدى لافتدتك رجالنا

وكل كرام العصر يا واحد العصرِ

اهجرت اميريكا وشرفت ارضنا ... وقمت بنفع الشرق في السر والجهرِ

أأيقنت ان الجود والعقل والوفا ... بأقطارنا حتى عزمت على الهجرِ

فيا من مضى عنا وابقى مآثراً ... وجل تصانيف تجل عن الحصرِ

عليك سلام الله ما طلعت ذكا ... وما رق جلباب العشية والفجرِ

(وقال جناب البكلور البارع خليل افندي الخياط)

ان كان جسمك في التراب رميما ... فجميل فعلك لا يزال مقيما

لو كان للموت الزؤام تخيرٌ ... كان الفقيد وكنت انت سليما

او كان للاعراب قدرة قادرٍ ... بذلوا فداءك غالياً وكريما

هذي المعارف والمحابر والحجى ... بليت بخطب قد راته جسيما

للعلم نوح والمدارس كلها ... مرجان دمع قد غدا مسجوما

تبكي امام الطب حبر فنونه ... من كان للتأليف فيه عليما

من ترجم التوراة نوراً ساطعاً ... جاءت سراطاً للانام قويما

فيها خلاص النفس اقوم منهج ٍ عنها الامالة خلتها تأثيما
خطَّ السناء على ضريحك اسطراً
كانت ثناء لايحل عميما
لو مثل الشرفُ الرفيع بصورةٍ كنت المثال مشخصاً مرسوما
او كان للعليا مقام لم ينل دكت دعائمهُ فصار حطيما
من هيبة منحت لشخصك فطرةً نشأت بفشئك مرضعاً وفطيما
قد طأطأت ذات الفضائل رأسها
كرماً لشأنك اذ فطرت حليما
في نشر فضلك قصرت او ابطأت هبٌ الصنيع يقدم التعظيما
متن المعالي قد علته منبراً خطبت واهدت ذاتك التعليما
كم بائس ٍ صفر اليدين عضدته وازلت علة من يكون سقيما
في قلب كل من رجال بلادنا ما انفك ذكرك شائعاً معلوما
يبقى ثناوك قائماً طول المدى طي الدفاتر اسطراً ورسوما
لك في عروش الله عرش ثابت يزدانُ دراً لامعاً منظوما
هذا جزاء جليل فعلك في الورى قد خصك المولى به التكريما
في زمرة الابرار تحسب بينهم ابشر وهبت كرامةً ونعيما

(وقال جناب النطاسي الدكتور الياس افندي الزهار)

تجاوزت بالارزاء يا دهرنا الحدا
وقد كان فيك العهد ان تنكثَ العهدا
كفاك افتضاحاً فتكك اليوم بالذي
مآثره لا نستطيع لها عدًّا
امام الورى فنديك من كان بيننا
يتيمة اهل الارض والجوهر الفردا
ومن كان بحرًا بالمعارف زاخرًا ولا كبحور جزرها يعقب المدا
لقد كان رب الفضل والمجد والتقى ولم يلتمس فضلاً ولم يطلب المجدا
وقد كان صدر الكل في كل منتدًى
فما لي اراه اليوم يستوسد اللحدا
امات الورى لاشك يوم مماته
وقد كان في جسم الورى الراس والزندا
اتيت بلاد الشام ضيفاً مكرماً
فصرت بن اهل الشام والاب والجدا
بنيت بهاتيك البلاد معالماً
وشدت صروح العلم كي يثبت الرشدا

تآليفك الجلى اتت بفوائد فنلت على طول المدى المدح والحمدا
عنيت بتعريب الكتاب جميعه فاحييت ذكر الله يا علماً فردا
لقد كنت للدين القويم دعامةً فحقك بالروح العزيزة ان تفدى
فكم من فقيرٍ راح وهو مطوبٌ فعالك يا من لا يخيّب من مدا
وكم من مريضٍ قد شفيت سقامه وكم من جريحٍ قد ضممت له الجلدا
لبقراط لم نترك بطبك شهرةً كذاك بن سينا ما رضيت به ندّاً
غدا المشتري في يوم فنديك حائراً
واصبح وجه الزهر بعده مسودا
ارى الكوكب السيار خل مسيره بعيدك يا من كنت ترصده رصدا
بخطبك يا استاذ فرض على الألى
تلقوا عليك الطب ان يلطموا الخدا
وان ينظموا فيك الرثاء زمانهم
ولا حرجٌ ذا اليوم ان فقدوا الرشدا
بخطبك يا استاذ امست قلوبنا
من الحزن سوداً والعيون غدت رمدا
اقول وحقٌ ما اقول وواجبٌ فما مثله قبلاً ولا مثله بعدا
لئن بت طيَّ الترب يا علم الهدى
فذكرك لم يبرح مدى الدهر ممتدا

ولو ان ذاك القبر يعلم ما حوى　لصاغ من الايات من فوقه بردا
سقى الله قبرًا انت فيه موسدٌ　سحائب عفوٍ كلما فرغت تبدا

(وقال جناب البارع الاديب سامي افندي الجريديني ·ب·ع)

طير الاراك اراك لست مغردا　واراك انغام الرثاء مرددا
ما بال قلبك بالكآبة ممتلي　اضحى بوحشته كقلبي اسودا
فاجاب من خطب المّ بشرقنا　خطب له ركن العلوم تبددا
فسالت مَن اركن العلوم بشرقنا　حتى يُقوض اسه ريح الردى
فاجابني الطيرُ الحزين بلوعةٍ　فنديك دك بفقده صرح الهدى
فحسبت اذ طرق الكلام مسامعي
صعقات يوم الحشر تهبط سرمدا
وظننت ارض الشام يوم مماته　سيناء مدكوك الجوانب امردا
وكانما بيروت مع سكانها　عرينُ والاشبال تطلب والدا
فقدت به اهل العلوم اخانهى　وذوو المكارم شلَّ منهم ساعدا
ودموع اهل الشرق فاضت اذ غدا
اسد المنايا ثائرًا ومعربدا
اسفت عليه مشارق ومغارب　اذ كان في افق المعارف فرقدا

ومراصد البلدان يوم وفاته قد شاركت بالحزن ذاك المرصدا
ذاك الذي فنديك اسسه وقد رقى دعائمه فبات مؤبدا
غاضت بحار العلم ساعة فقده وجواهر العرفان صارت عسجدا
عاش الحياة مكرماً ومبجلاً وبفعله الخيرات مات ممجدا
كان الفقير يرى به عوناً له وكذا اليتيم يراه طوداً مفردا
يا بدر اهل الشرق يا استاذهم ما للضيا من بعد كسفك موردا
سوريـة تبكيك يا ركناً لها وهي التي شرفت بفضلك محتدا
تبكيك من قلب كئيب موجع وبادمع تهمي تذيب الجلمدا
تبكيك اركان العلوم وامهـا وتنوح اذ فقدت بفقدك سيدا
سورية سحي دماً لذهـابه ياشرق ذب اسفاً على طول المدى
فنديك ياروح المكارم والنهى يا خير اهل العصر بل يا اوحدا
يا اس كل فضيلة ونصيحة من للفضائل بعد فقدك منجدا
فعليك رحمات من المولى الذي توراته ترجمت يا علم الهدى
ولك النعيم يدوم في احضانه ونقيم في فلك الهناء مؤبدا

(وقال جناب الاديب البارع قسطنطين افندي الخوري)

الى مكانٍ بسوريا ارى قدمي هوت واي مكان قد اراق دمي
سألت اهل الحمى عما الم بـه فقيل اودى الردى بالعالم العلم

سلّت عليه المنايا سيف نقمتها لما اتاه نذير الشيب والهرم
يا ويل ما فعلت لما دهته ولم تعلم بان المسجّى افضل الامم
شلّت يمين المنايا انها اخترمت حبرًا تردى بثوب العلم والحكم
وافضل الناس ولّى راحلا وله في كل قلب رنين الحزن والالم
فهل درى نعشه، اقد تضمن من جواهر الفضل والاداب والشيم
من كان للعلم والفضل العظيم ولا
آداب واللطف والاحسان والكرم
ارثيك فنديك بل ابكيك منتحبًا بالنطق والمدمع الجاري وبالقلم
فكم تركت دميَّ المقلتين جوى يبكي بقلب بنار الوجد مضطرم
فالناس في كرب والعلم في حرب والدهر في نقم واللحد في نعم
وعقد فضل ثناياه قد انفرطت لما بدى جيده في قبضة العدم
فالعرب والترك والافرنج ناحبة عليه تذرفُ دمع الحزن كالديم
لو كان يرضى له الموت الخؤون فدى
فداه من عزّ من عرب ومن عجم
ابكي وراسي قد ابيضت مفارقه
من رنة النوح والتأسف والندم
يا لهف قلبي على الاستاذ كيف ثوى
في الرمس ملقي فلا ياتي ببنت فم

احرى واولى بان يبقى ولو تلفت   اجسامنا وغدت من جملة الرمم
من العلى صيبُ الرضوان سحَّ على   رمس لفنديك شبه العارض الشبمِ
بالحزنِ ارخت الاقلام موبقه
ابكي وان خانني دمعي سفكت دمي
١٨٩٥

(وقال جناب البارع الاديب عبود افندي الاشقر)

بكت المحابر واليراع تكسرا   واندك صرح العلم محلول العرى
وتقوضت اركانــه وعفت معا   لمهُ وبحر الفضل بات معكرا
لما قضى رب الحجى فنديك من   للعلم كان مشيداً ومدبرا
من للمعارف والمراصد بعده   هيهات مثل عليِّ همتهِ ترى
فاق الاوائل والاواخر في النهى   قد كان افصح من تسنم منبرا
يا فيلسوف الشرق بل يا مقصد ال   علماء طرًّا في المدائن والقرى
لو كان لقمانٌ بعصرك وابن سيــنـاء وبقراط لخرُّوا صغَّرا
سطرت في صحف الزمان مآثراً   بيضاً يداك فمثلها لن يسطرا
يبكيك في الافاق بدر ضيائها   وذكاؤها وبنات نعش في الذرى
والارض من علمائها واساتهـا   جمٌّ عظيمٌ مـا هلالٌ ازهرا
واعتل جسم الخير يا خير الورى   وقضى بموتك لوعةً وتحسرا

كم قد شفيت من السقام بشرقنا وسقيت من لبن المعارف كوثرا
لم يبقَ بعدكَ للفضائل من فتى اذ انَّ كل الفضل فيك تصورا
وتصدعت كبد المعارف وارتدت مرطَ الاسى والقلب منها تفطرا
واسودَّ وجه الشرق يا علم الهدى وهلاله لما قضيت تكوَّرا
علماً وفهماً حكمةً وتدبرًا قد فقت ممن قد تقدم اعصرا
صحفُ المعارف انها لمفيدةٌ لكنَّ افيدها بكتبك سُطِّرا
ولكل جيل سوف يولد بعدنا ما قد كتبت يكون بدراً منورا
تمضي الليالي والسنون واهلها لكن ذكرك ثابتٌ بين الورى
ما كنت ادري قبل دفنك في الثرى
ان القبور تضمُّ فيها ابحرا
اسفاً على تلك البنان فكم جرى منها اليراع وكان عضباً ابترا
ولكم سهرت الليل تنظم للهدى من بحر علمك في الصحائف جوهرا
فسقى ضريحك مزن عفوٍ ما بدا برقٌ وما قمرُ الدجنة اقمرا
ولئن ظلام الرمس حجَّب وجهك اا
باهي ففي الفردوس بان وانورا

(وقال جناب الشاعر الاديب رفعتلو محمد بك زين الدين حسن)

سهم رزءٍ كبد الشرق اصاب ونعيٌ دك في الغرب الهضاب

وقضاء اظلم الافق به حيثما الشمس توارت في التراب
رزء فنديك الاديب العالم الـ عامل المفضال والعالي الجناب
فلكيٌّ فاضلٌ ذو حكمة بدره عن قطرنا الشرقيّ غاب
فيلسوف لوذعي علمه عمّ نفعاً ليس يحصيه حساب
مورد للمستفيدين وما صدهم عن بابه يوماً حجاب
كان لقماناً وقساً حكمة وبياناً في خطاب او كتاب
كان ان اعيى الورى معضلة في علوم قوله فصل الخطاب
كم عيون قد اقرت يده اذ شفاها بالعلاج المستطاب
كم وكم اسدى الى طلابنا درراً من بحره الطامي العباب
هدّ اركان القوى لما نأى وكفى بالموت نأياً واغتراب
دهرنا الارزاء من اخلاقه ان نعاتبه فما يجدي العتاب
هذه الدنيا كطيف زائل دائماً موهوبها بالانسلاب
فلنا من (وليم) حسن العزا وبه يمحى الأسى والا كتئاب
اجزل الله له الصبر كما اجزل الله له عنه الثواب
وسقى رمساً ثوى الفضل به رحمة هاطلة هطل السحاب

(وقال جناب الشيخ الجليل عبد الله افندي الوتوات)

وسمعت صوتاً من السماء قائلاً لي اكتب طوبى للاموات الذين

يموتون في الرب منذ الان. نعم يقول الروح لكي يستريحوا من اتعابهم واعمالهم تتبعهم (رؤ ١٤: ١٣). لتمت نفسي موت الابرار ولتكن آخرتي كاخرتهم (عد ٢٣: ١٠)

سيطول بعدك في الطلول وقوفي
اروي الثرى من مدمعي المذروفِ
لو كان يرضى فيك حتفك فدية
لفديت من فضلائنا بالوفِ

آه يا استاذ. لست ابكيك ايها العالم العامل والسيد الفاضل والنافع الكامل لما انعم به عليك مولاك. من العلوم والفضائل السامية ورقاك. ولا ابكي منك علامة من نحارير الرجال. يعز له على الغبراء المثال. بل انما ابكي منك للبر اماماً. ولعمل الخير قواماً. ولقطع هامة الضلال حساماً. وقد علمتنا ووعظتنا من ايات الكتاب المقدس الكريم وكنت لنا مرشداً في الطريق المستقيم وانذرتنا بان مجد دنيانا سراب. وان كل ما بها من بناء خراب. وما بها من زينة خيال سارٍ. فمن يعتمد بها مبني رجاؤه على شفير هارٍ. وهوذا لا شيء للمرء من مفاخرها بلازم الثبوت. وكل حادثٍ فيها شاهدٌ قائلاً سبحان الحي الذي لا يموت. فها انا ابكيك اليوم يا ملاك الكمال وقد كنت لنا في التواضع المثال.

وانت في ذرى المعالي معدود عنوان الكمال · وفي الفضيلة والتقوى المتبوع · عظاتك الانجيلية كم اروت من ظماء الجموع . وقد عشت في الدنيا زهاء السابعة والسبعين من الاعوام · ناشراً لواء الحق والسلام · وأنرت باشعة مؤلفاتك غياهب الظلام فمن يا ترى يطالع كتابك النقش في الحجر المشتمل على اهم المبادئ العلمية باساليب لم يسبق لها نظير في اللغة العربية · فهل والحالة هذه لا ننشرُ لك مدحاً وشكراً يكل عن وصفه اللسان . كيف لا وها انت قد وعظتنا بالموت فوق ما انذرتنا بحياتك الطاهرة وعلمتنا ان جمال الانسان كزهر الحقول ومدته على الارض لا تطول · بل حياته كالبخار المعهود · والجسم تراب والى التراب يعود · فها انت اليوم لا تستطيع الحراك . خلفت هذه الرمة وعدت لمن براك · وما عسى لمثل لساني القاصر او لمثل هذا الخاطر الفاتر ان يعدد من محاسن ذاتك الباهرة . ومزايا مناقبك الطاهرة وقد كنت روحاً ذكية صفية ونفساً نقية ابية . تفضل المنية قبل الدنية · فلا ملق ولا رياء · ولا دهاء ولا مراء · ولا تلوي ولا التواء ولا عنف تضيع معه المروءة والكرم · فاي دين لك علينا نفيك واي الكلام يحسن فيك · فياحسرتاه ولعلي احسن ان اقول نيابةً عنك

قوموا بتقوى الله بعدي فانني متوجـه قدامكم فتأهبوا
هيهات لست الى القيامة راجعاً لكن ورائي كل نفس تذهبُ
فارقت اولادي واصحابي الى قبرٍ انيسي فيـه دود يلعبُ

....

ولو اني قدرت على قيام بفرضك والحقوق الواجبـاتِ
ملأت الارض من نظم المراثي ونحت بها خلاف النائحاتِ

فيالوعتاه

ولكن لو قصر البكاء على ما ذكر من مفاخرك وحصر فيهـا الرثاء لخنت عهود الامانة ولم اقضِ شيئاً من فروض الوفاء وهذا موقف الحق ينكتم فيه المخلصون ولا يتستر الاصفياء الصادقون فقد حقت علينا فيك المجاهرة على اسماع كافة المستنيرين من سكان هاته الاقطار انك افضل من علمنا ورأينا . فاسمك اعز الاسماء لدينا . فاقبل مني الان يا ساكن الجنان يا استاذي الفاضل وداعاً يطير به القلب ارتياعاً والتياعاً . وموعدنا بنعمة فاديك . ان نحل بناديك . بعد هذا الفراق حيث تمسح الدمعة وتشفى اللوعة ويطيب التلاقي والرب اعطى والرب اخذ فليكن اسم الرب مباركاً الى الابد آمين

بيروت زيدي تفجعاً وعويلا وابكي بدمعٍ للثراء بليلا

وتأوهي لفراق فنديك فكا م سُ الموت قد جعل الفراق طويلا
نبكي عليـه تأسفاً ونقول هل نلقى لهُ بين الكرام بديلا
هيهات نلقى سلوةً لمصابنـا امسى التسلي بعدهُ مجهولا
نبكي وتندب فاضلاً طول المدى لا نرتضي غير البكاء خليلا
ويلاه ذاب سواد مقلتنا فقـا مت منه تصبغ للحداد ذيولا
كنا نؤمل للطبيب سلامـةً لكننا لم ندرك المأمولا
اواه اين العلم اين الحلم ابن الفضل اين المجد ظل نزيلا
يا من رحلت متى يكون الملتقى ابكى فراقك رضعاً وكهولا
تبكي المنابر والكنائس ادمعاً لمزيد فضلك بكرةً واصيـلا
يبكيك من تبع الطهارة والهدى فيضان ادمعه تسحُ سيولا
لم يبق صاحب غيرة وطنيةٍ الا وصيره البكاء نحيـلا
احرزت مجداً يا نذير مخلداً والطرف يرجع عن سناك كليلا
ما جئت من ايات لطفك راثياً بتحسرٍ كي احسن التمثيـلا
مجداً حكى اقطار شرقٍ عظمـةً يبقى له ذكراً يظل جميلا
يادهر ويحك كيف ترشق اسهماً لرقيق قلبٍ للنخار سليلا
دهر خؤون قد تناهى حكمـه كل يهب الى نـداه عجولا
دهرٌ تسلط واستبدَّ بامره كل الملوك له عنت تذليـلا
ما من مناصٍ من قضا احكامه اين المفرُّ ولم يراع خليلا

تبّاً لتي الدنيا الدنيئة لا ترى الا صريعاً فوقها وقتيلا
ذهب الذي قد كان فخر ربوعنا لكنه في القلب ظل نزيلا
قد كان ركناً للفضائل مفرداً وممهداً للمكرمات سبيلا
قد كان في الدنيا سعيداً حائزاً بسعادة الدارين ظل جليلا
صبراً بني فنديك بعد فقيدكم صبراً ولو كان المصاب ثقيلا
ففقيدكم سار الى دار السما دار النعيم مصاحباً جبريلا
فدعاه مولاه من الدنيا لكي يعطى ويمنح ذلك الاكليلا

(وقال جامع هذا الديوان)

ألا نم سعيداً حيث بتّ موسدا
ودع كلّ طرفٍ بات فيك مسهَّدا
وغادر بلاداً فيك تحيا واهلها جميعاً تمنّت ان تكون لك الفدى
بموتكَ مات العلم والفضل والحجى
وقد كان أولى ان تعيش مخلّدا
بلى قد ذوى غصنٌ من العلم ناضرٌ
فامسى يباض الطرس للدهر اسودا
فقدناك يا من غاب عنا وذكرهُ يدوم دوام الدهر في الناس سرمدا

فقدناك بدراً في المحاسن كاملاً ورکناً رفيعاً للفخار مشيــدا
وما نحن نبكي منك فردا وانمــا
بكينا مثال الحزم والبذل والندى
وهيهات ان ننسى مآثرك التي ترنم حادي العيس فيها وانشدا
فلولاك لم تنشر فنونٌ كثيرةٌ فكم لك من فضلٍ على الناس قد بدا
اياديك قد سحت فاحيت بلادنا
وقرَّبت العلم الذي كان مبعدا
وها روضة الآداب دانت قطوفها فاضحى بها القطر الشآميُّ مُسعدا
رفعتَ مناراً فاهتدينا بنورهِ الى سبل العلياء يا علم الهدى
اذا مرَّ فينا ذكر فنديك مرةً تهيج بنا الاشجان مثنىً وموحدا
ذكرت لك الفضل الذي قد عرفته
صغيراً وكم فضلٍ عليَّ تجدَّدا
تعلمت منك الصبر في الخطب والاسى
ومع ذاك قلبي ما اطاق التجلُّدا
فأنَّى لنفسي الصبر بعدك والعزا
وشخصك قد أودى به عامل الردى
نظمت المراثي في عقود فريدةٍ لانك بين الناس قد عشت مفردا

بكيتك يا من كنت لي خير مرشد
وكنت على البلوى معيناً ومنجدا
سقيتك من دمعي كما قد سقيتني زلال علوم منك قد طاب موردا
وان ماوفتك العين دمعاً مسخناً فتسقي ثراك السحب ماءً مبرّدا
فلا زال هتاناً على قبرك الحيا ولا زال منهلاً على تربك الندى

تلميذه الاسيف
اسكندر البارودي

تمت المراثي

في مستشفى مار جاورجيوس للروم الارثوذكس في بيروت غرفة كبيرة متقنة البناء على بابها ما ياتي

❋ اثر الشكر ❋

كرنيليوس الحبر فنديك النطا سيُّ الكبيرُ الفيلسوفُ المعتبر
هو حجةُ الغرب التي في الشرق قد جاءَت لعين الفضل في الدنيا اثر
يفني اطال الله نفعاً عمره فكأنه وقفٌ على نفع البشر
فابي المضرة اذ رأى المرضى على ضيق المكان بهم يمسهم الضرر
ولذاك شاد فزاد فضلاً غرفةً في دار مستشفى الشهيد ابي الظفر

فيها وفيه يكون افضل قدوة   لأُولي الكرامة والشهامة والنظر
يا عائداً فيها المريض مؤرخاً   تجد الثناء عليه نقشاً في الحجر

١٨٨٧

الفصل الخامس

في

المستشفى الارثوذكسي وتمثال فنديك

في سنة ١٨٧٨ نهض عددٌ من اهل الغيرة (١) والفضل من اخواننا وجهاء طائفة الروم الارثوذكس حركهم الجنان وحب الاحسان للعناية بالمسكين والمريض مهما كان فانشأُوا مستشفى على اسم مار جاورجيوس لتمريض الفقراء مجاناً خدمةً للانسانية ومرضاة لله فكان في اول امره مولفاً من خمس غرف ثلث منها للتمريض فيها عشرة اسرة وواحدة للمعاينة اليومية واخرى للصيدلة ولما عرض احد عمدة المستشفى امر اقامته والغاية الشريفة منه على الدكتور المرحوم اظهر رغبته في ان يخصص وقتاً لتطبيب

(١) الطبيب السنة العاشرة وجه ٣٠١



تمثالهُ في حديقة مستشفى مار جاورجيوس

الفقراء اجابه الدكتور فوراً (انا لا اتأخر عن المجيء اذا ندبت اليه) وكان متقدماً في السن وقاطناً بجوار المنارة في اقصى راس بيروت الغربي والمستشفى في الجانب الشرقي منها وبينهما مسافة نحو ميلين ومن ذلك الحين شرع هذا الفاضل في زيارة المستشفى اسبوعياً متناوباً مع تلميذيه النطاسيين الدكتور حبيب افندي طوبجي والدكتور سمعان افندي الخوري . فكان حضوره اليه[1] وسيلة لازدياد عدد القادمين من المرضى للاستفادة من مشورته وارائه الصائبة فازدادت اهمية المستشفى كثيراً ولفرط رغبته في تقدمه ونجاحه انشأ صندوقاً وهو المعروف بين العامة « بالقجة » وفرض على كل من جاء الى الكلينيك وعرض نفسه للطبيب لمداواته ان يضع في القجة ما تسمح به نفسه من المال من نحو متليك او نصف بشلك او بشلك على الكثير

وفي نهاية السنة فتحت القجة فكان ضمنها نحو اثني عشر الف غرش تخصصت ببناء غرف علاوة على الغرف الموجودة في المستشفى وكان ذلك وسيلة لاهتمام بقية الاطباء الوطنيين والاجانب الذين يداومون الحضور الى المستشفى لخدمة الاحسان والانسانية في السعي وراء تقدم هذا المشروع الوطني

---

(١) لسان الحال عدد ٣٠٥٣ سنة ١٨٩٩

وما زال المستشفى يتقدم ويزداد دخلاً واتساعاً حتى بلغ عدد غرفه اليوم احدى وعشرين تحوي خمسين سريراً ومعدل المرضى فيه يومياً لا يقل عن اربعين وصار له دخل سنويٌ لا يقل عن ثلاثة وعشرين الف غرش تنفق في سبيل تخفيف مصائب المرضى وبلايا المحتاجين

اما عمدة المستشفى المذكور فلم تجهل ان للدكتور فان ديك اليد الاولى في تقدم ونجاح المستشفى فارادوا ان يقيموا له ذكراً دائماً فاخذوا يترقبون الفرصة لذلك

ولما كانت السنة التي اكمل فيها الدكتور خمسين سنة في بلادنا السورية واحتفل آله واصدقاؤه ومعارفه بعيديوبيله الخمسيني تبادر اولو الوجاهة والغيرة الى جمع مبلغ من المال بواسطة الاكتتاب لتقديم هدية تكون ناطقة بفضله العميم كما سبق الذكر

ولما ان توفاه الله كان حضرة وطنينا الوجيه رفعتلو ميشال افندي بسترس رئيساً لعمدة المستشفى فتبرع من جيبه الخاص بدفع مبلغ كبير لاقامة تمثال له في المستشفى ثم عرض على بقية الاعضاء الاشتراك في هذا المشروع فاظهر الجميع رغبتهم في الاقبال عليه وقرروا وجوب اقامة اثر خالد للرجل الذي اجتمعت القلوب على حبه واعترفت الالسن بفضله

ولما اجتمع مبلغ كاف من المال قرروا صنع تمثال نصفي يمثل الرجل الغيور الذي كان معروفاً بخدمة الانسانية وحب الوطن السوري ثم ارسلوا الى اشهر معامل ايطاليا صورته الفوتوغرافية وطلبوا حفر التمثال المطلوب بموجبها فجاء التمثال بعد اتمام صنعه ولدى فحصه هنا امام العمدة وجد انه غير واف بالمقصود فكرروا الطلب من المعمل المذكور ان يصنع لهم تمثالاً يمثل الرجل حقيقة

فصنع اصحاب المعمل تمثالاً آخر وارسلوه فلم يفِ بالمطلوب ولدى البحث عن سبب الخلل تبين ان اكثر صور الدكتور الفوتوغرافية كانت تمثله وهو لابس مناظره « العوينات » وذلك ما جعل الصورة في التمثال غير واضحة

فاخذت عمدة المستشفى تسعى في الحصول على صورة تمثل الدكتور بدون مناظره فتوفقت الى ذلك

ومما يستحق الذكر ان الدكتور اراد مرة ان يتصور فقصد محل المصور المعروف الخواجا نصرعون فلما جلس للتصوير نزع مناظره دون انتباه فاخذ المصور الصورة ولما عرضها على الدكتور رأى ان فيها فرقاً ثم انتبه الى انه تصور بدون مناظره فاراد تمزيق الصورة ولكن المصور حفظها واتصلت اخيراً بجناب البارع ابرهيم افندي ماضي الذي لما علم اهتمام عمدة المستشفى بالحصول على صورة

قنديك بدون مناظره اسرع وقدمها لهم وهي الوحيدة في بابها اخيرًا كمل صنع التمثال وجاء طبق المرغوب فارادت العمدة الاحتفال بنصبه وبعد ان اقرت على ذلك وزعت الدعوات في المدينة الي وجوهها واعيانها وارباب المقام السامي والفضل والاحسان فلبوا دعوتها

لما كانت[1] الساعة الثانية بعد ظهر نهار الاحد الواقع في ٢٦ شباط سنة ٩٩ ورد المدعوون من خاصة القوم من الوجهاء والعلماء والادباء من وطنيين واجانب برقاع دعوة من حضرة الهمام الوجيه ميشال افندي بسترس رئيس عمدة جمعية المستشفى واعضائها الكرام على باحة ذلك المستشفى وكان في صدر القوم سيادة الشيخ الجليل السيد غفرئيل مطران بيروت ولبنان وسيادة الفاضل السيد اثناسيوس مطران حمص وحضرة الدكتور دانيال باس رئيس المدرسة الكلية السورية الانجيلية وجناب العالم والجراح الشهير الدكتور جورج بوست وجناب الجليل الفاضل الدكتور هنري جسب الاميركاني قسيس كنيسة بيروت الانجيلية ومعلمو المدرسة الكلية الوطنيون والاجانب فافتتح المقال على منبر الخطابة جناب الكاتب الفاضل الشيخ رشيد نفاع مدير جريدة المارونتلا خلاصة

(١) جريدة لبنان عد ٢٨٤ في ٦ اذار سنة ٩٩

اعمال جمعية المستشفى لسنتها العشرين وبعد ذلك تكلم في الغرض الذي اقيم له المستشفى ثم دعا لعظمة المتبوع الاعظم ثم عقبه حضرة الارشمندريتي الفاضل كيرلس مكاريوس صوايا ودعا دعاءً مستطاباً وشكر الذين بسطوا يد الرفد والاسعاف للقائمين بامر ذلك المستشفى ولما فرغ حضرته من الكلام قام جناب الوجيه رئيس العمدة ميشال افندي المشار اليه وعمد الى التمثال المنصوب فوقف لديه وقال قولاً كان له احسن وقع في النفوس ثم مد يده الى التمثال قائلاً ها انا اكشف الغطاء الان عن تمثال المرحوم الدكتور كرنيليوس فانديك الذي وان مات فذكره بيننا حي «وكشف عنه الغطاء فاذا هو تمثال من الرخام الابيض الناصع يمثل الفقيد الكريم بما حفظ له في النفوس من المهابة والوقار وقد كتب عليه بحروف واضحات

﴿ اثر حميد لخير فقيد نصب اقراراً بفضل علم العلماء والحكماء المرحوم كرنيليوس فانديك عفي عنه — ١٨٩٥ ﴾

ثم وقف موقف الخطابة جناب النطاسي الفاضل الدكتور اسكندر افندي رزق الله احد اطبـاء المستشفى خلف الدكتور المرحوم صاحب التمثال رحب فيه اولاً بالحضور ثم بسط الكلام عن حالة المستشفى والمرضى والعمليات واظهر انا في السور بين اطباء لا يقلون عن الفرنجة مهارةً وعلماً وعقبه جنـاب النطاسي

البارع الدكتور نقولا افندي فياض فعدد مناقب الفقيد بكلام كان اية في البلاغة والانسجام وما فرغ من المقال حتى وقف للخطابة صاحب الوجاهة جناب الخطيب البليغ اسكندر افندي عازار وشرع ينثر لدى الحاضرين من درر القول ما يسحر الالباب ويمثل لهم من صفات الفقيد الكريم ومن مآثره تمثيلاً ما يخال لك ان الصفة والمأثرة شي واقعة عينك عليه ويدك تلمسه ثم عقبه جناب البارع الدكتور اسبريدون افندي ابو الروس وخطب خطاباً رشيق الالفاظ منسجم المعاني يحاكي ما تقدم من الخطب في التأنق ثم جناب البارع الدكتور نجيب افندي البتلوني ثم جناب النطاسي الدكتور اسعد افندي عفيش ثم جناب الشاعر الاديب وليم افندي غرزوزي وخطب بكلام منظوم منثور كله رقة وفصاحة ثم جناب الاديب وديع افندي دباس ووقف في الختام جناب الشيخ الفاضل الوقور الدكتور هنري جسب وفاه بكلمات ضمنها الثناء على حضرة الوجيه رئيس عمدة المستشفى واعضائها الكرام وجميع الذين اشتركوا في ذلك العمل الكريم وحض الشبان على السعي في ان يقرنوا العلم بالعمل ولما فرغ الخطباء من الخطابة طيف على الجمهور بالحلويات والمرطبات ثم انتثر عقدهم وهم يثنون اطيب ثناء على ارباب ذلك المعهد الخيري ويشكرون ما لقوا من حضرة رئيس العمدة واعضائها

الكرام من حسن الحفاوة ويتحدثون بما بلغه المستشفى من النجاح الواضح اذ بلغ مجمل غلته في سنته الاخيرة السنة العشرين من سنيه ١١٠٧٥٧٤ وهو لا شك مبلغ ينطق بعناية جناب الوجيه رئيس العمدة ميشال افندي بسترس المشار اليه وحضرة الاعضاء الكرام وبما بذل اهل البر من المال مساعدة للذين جافاهم البخت وخاشنهم الدهر فاصابهم بما اصابهم من عادياته مما لم يقووا على دفعه الا بنوال تلك المساعدة جزى الله المحسنين اضعاف ما انفقوا لوجه الله الكريم

قالت جريدة المحبة[1] في هذا المقام — سرنا ما رأيناه في هذا المستشفى الزاهر من التقدم وفي هذه الحفلة البهية من الترتيب والانتظام واثرت بنا مظاهر التكريم والاجلال لرجل اجنبي اخلص لوطننا ولملتنا الخدمة ووقف حياته الطويلة على نفع اخوانه وابناء جنسه

وكما اننا تذكرنا ما لهذا المحسن الكريم من الايادي البيضاء على هـذا المعهد الخيري كذلك لم ننس من اسسوه وسعوا في انمائه وهم لعمر الحق عصبة من رجال الفضل يجب ان يخلد اسمهم على صفحات التاريخ و يعتبروا مثالاً للغير في انشاء المشروعات المفيدة وخصوصاً في الثبات امام العقبات والمصاعب

---

(١) جريدة المحبة عدد ٨ وجه ١١٥ و ١١٦

عرفنا من اولئك الافراد من فتحوا ابواب منازلهم لقبول المريض في بادىء العمل واخذوا على انفسهم تمريضه وخدمته اذ لم يكن بعد تمكنهم الظروف من اقامة بناء يأوون اليه وايجاد مستأجرين يسهرون عليه · فعمل مثل هولاء يعدُّ عظيماً في محبة الانسانية واسمهم يجب ان ينقش على القلوب ويخلد في بطون التواريخ فلنذكرهم في هذا المقام وليكن هذا الذكر مقدساً

ويحق للملة الارثوذكسية ان تفتخر اليوم لا بقضاء الواجب الذي قامت به نحو المحسن اليها ولا بالدرجة التي بلغه مستشفاها من النجاح بل الفخر كل الفخر بانها كانت مثالاً لباقي الملل في بث روح الالفة والاخاء بفتح ابواب المستشفى منذ تاسيسه لكل الطوائف وبتكريمها لرجل غريب المعتقد والجنس والبلاد احسن اليها · وليس اقامة التمثال للمرحوم فنديك اول شاهد على سعي ملتنا عموماً وافراداً وراء هذه الغاية فقد رايناها في مقدمة الطوائف لمعاضدة الاعمال الخيرية واول الباذلين في مساعدة جمعيات البر على اختلاف المذهب والجنس · فهي باحيائها ذكر فنديك قد احيت مبادىء الالفة والمحبة والاخاء

وهاك خلاصة كلام جناب الفاضل الشيخ رشيد نفاع مدير

جريدة المنار المندوب من قبل جمعية المستشفى لبيان خلاصة اعمالها عن عامها العشرين ✻ ان دخلها[1] في العام ١١٠٧٥٧ غرشاً وخمس وثلثون بارة وخرجها كذلك ورصيد حسابها لغاية ٣١ ك ١ سنة ١٨٩٨ هو ٣٧٤٨١٣ قرشاً وثلاثون بارة وعدد المتمرضين في المستشفى على مدار السنة ٤٤٦١

منهم ارثوذكس ٢٣٧٣ وموارنة ١٢٩١ واسلام ٥٥٢
وكاثوليك ٢٧٢ ويهود ٢٨ ودروز ٢٣ ومتاولة ١٩
وانجيليون ١٨ وارمن ١٧ وسريان ١٦ ولاتين ١١
ونصيرية ٣

ثم تطرّق الى بيان غاية الجمعية وقابل بين غابرها وحاضرها مما تبين منه تقدم المستشفى السريع بايام ولي النعم السلطان الاعظم

✻ خطاب الدكتور اسكندر افندي رزق الله[2] ✻

اهلاً بمن لبوا دعوة الوطنية اهلاً بذوي النفوس الابية والنخوة الادبية اهلاً بكم ايها السادة فقد اتيتم تشهدون وتسمعون كيف تعلو القيم وكيف تعلو الهمم اتيتم على الرحب تشهدون امراً

(١) المنار عدد ٢٣ وجه ٢٢١—٢٢٢

(٢) جريدة لبنان عدد ٢٨٤

ما الفتموه وشيئاً ما تعودتموه اجل اني اصونكم واتره نفسي من الملق
والتغرير فلم نبلغ بعد شأو الذين يتهالكون في سبيل تخليد ذكرهم
فتنصب لهم التماثيل الذين يتفانون في خدمة الانسانية وما هم فيها
الا خالدون او لم يكن هذا التمثال تمثال المرحوم الدكتور فنديك
دليلاً ينطق بافصح لسان وان كان جمادا على ان ليس للمرء الا ما سعى
وان سعيه سوف يرى او لم يقم دليلاً على ان حياة الانسان المادية متصلة
بحياته المعنوية الابدية وحسب المرء ان يخلد ذكرا وتردد الالسنة
اسمه عصرًا فعصرا اوَليس ان روح العلماء وتعاليمهم تسري في عروق
الانسانية وتصاحب الركب الانساني الى ان ياتي عليه الزوال ان
كان ثم زوال وكأني بروح صاحب هذا التمثال ترف حولنا ونرى
اننا لم نطرئه حيًا بقدر ما اجللناه ميتًا وعظمناه مفقودًا واقمنا له تمثالاً
يجدد ذكره اعوامًا واجيالاً وقد كان في حياته لا يرجو المناصب
ولم يطمع في المراتب على ان وصف هذا الرجل وتعداد مناقبه وفضائله
ليس من مستهدفات كلامي الان وقد اتت الجرائد على بيانه تفصيلاً
فضلاً عن ان احد اخواني سيقف الان و يوفيه حقه من البيان
وفي الاثر الكريم من نشر معروفًا فقد شكر ومن ستره فقد كفر
اما هذا المستشفى الذي سعى رحمه الله في معدات ظهوره فقد مضى
عليه عشرون عامًا تدرج فيها في مدارج النماء ودأب السير في سبيل

النجاح وقد اتيح له من فضلاء الوطن وكرمائه عدد غير قليل اقاموا اموره ودبروا شؤونه ونهضوا به بعزائم متواثقة على الاجتهاد وقلوب متوافقة على الاتحاد فبلغ ما حقق الامال والطفرة كما تعلمون يا سادة محال · فان لم نبلغ درجة الكمال بعد فالبدر اوله الهلال والغيث اوله القطر على ان التدرج لا يفيد الوقوف كما ان التوءدة لا تتناول الاهمال فلا بد اذاً من الثبات والاستمرار فاذا اخذنا الملل في الاعمال او ضعفت منا العزائم او تناولنا الاهمال فياخجل الانسانية ويا خيبة الامال · عفواً يا ساداتي فان ما بلغناه من النجاح هوو ميثاق على القيام بالنفقة

وهل من اسف على النفقة في سبيل البر فما هي الا كما ينفق الزارع في ابتياع البزر يثمر خيراً وتنبت الحبة مئة حبة فلا تروعكم المصاعب ولا تثبط عزائمكم المتاعب واذكروا انكم ساعون في تخفيف ويلات الانسان ساعون في انتشال البائسين والفقراء من مخالب الاوجاع والادواء عاملون بما جاء في الاثر المأثور الحيوة هي نفع النفس والناس وحياة المرء حسناته « وكل من لا خير منه يرتجي ان عاش او مات الخ » فالذين لا ينفعون المريض الفقير جوداً بالمال والروح فهم كالاعضاء المشلولة تعدو كلا على عاتق الجسم الحي تقاسمه الغذاء وتجلب له التعب والشقاء اما اطباء هذا المستشفى الذين وقفوا نفوسهم على

خدمته لا يلتمسون اجرًا فلم يدخروا وسعًا وما آلوا جهدًا في النهوض باعمالهم وواجباتهم حتى اصبح يجاري غيره من بيوت الشفاء او لم يكن هو مظهر كثير من الطرق العلاجية الحديثة والعمليات الجراحية العظيمة مراعين فيها اهم الاكتشافات العلمية

مر بنا احد مشاهير اطباء الفرنجة الاعلام وزار هذا المستشفى فرأى فيه عددًا غير قليل اجريت لهم عملية حديثة الاكتشاف كان هو سعى في تعميم نشرها حتى نسبت اليه فاعجب بحسن النتيجة وقال زرت غير هذا المستشفى فرأيت انكم اسبقهم الى اجراء هذه الطريقة المفيدة وكثير من رصفائنا الذين حظونا بتشريفهم مرارًا عديدة يعلمون ذلك لا نقول هذا تمدحًا واعجابًا ومعاذ الله ان تأخذنا خفة ولكن المقام دعا اليه ليعلم ابناء طينتنا ان فيهم من يجارون اخوانهم في الغرب ويبارونهم وما خصص الذكاء باحد ولا وقف الاجتهاد على احد ولا يهبط العلم من السماء وانما هو الجد لا تقعده المصاعب وهو العلم يتناوله من لا تستوقفه المتاعب واخيرًا فحسب هذا المستشفى ان يكون شعاره الوطنية ولواءه الوطنية يفتح ابوابه لبني الانسان لا يميز بين المذاهب والاديان فتجد فيه المسلم والمسيحي والموسوي والدرزي يقيمون فيه اشهرًا لوجه الله الكريم فيجدون في الاطباء والممرضين حنان الوالدة على اولادها يجدون في

ابناء جلدتهم من يضمد جراحهم و يخفف منهم الآلام ويسكن روعهم بلطيف الكلام

وكم من داء لا يشفيه الا حسن المعاملة والملاطفة والمجاملة فيا اخواننا في الوطنية و يا ايها الكرام والفضلاء من ذوي الخير والاحسان الذين لم يضنوا علينا لا بالنجدة الادبية ولا بالمساعدة المالية اقتداء بنظرائهم في الاقطار الغربية فقد آن ان ينبت الوطن منكم افراداً تنصب لذكرهم التماثيل وترفع لهم اعلام التخليد كالخالد الذكر المرحوم يوسف سياج الذي سيقام له تمثال بجانب هذا التمثال وبذا يثبت لكم التاريخ ذكراً لا تقوى على ازالته الايام ولا يمحوه كرور الاعوام

﴿خطاب الدكتور نقولا افندي يوسف فياض[1]﴾

ايها السادة

نحتفل اليوم لتذكار رجل عظيم · اليوم نقوم بوفاء واجب مقدس وخدمة مقدسة · اليوم نظهر للعالم المتمدن المصغي الينا اننا نعترف بالجميل ونقدرُ الرجال العظام حق قدرهم

منذ ثماني سنين ايها السادة شهدت بيروت احتفالاً مثل هذا الاحتفال وعيداً اشبه بهذا العيد · منذ ثمانية اعوام كنا نرى الناس

(١) جريدة المحبة عدد ٨

مجتمعين على اختلاف النحل وتفاوت الاعمار في احد بيوت المدينة للقيام بوظيفة سامية والاشتراك بعمل خطير . ذلك عيد الخمسين لرجل غريب عن هذه الديار جاءها واوطن بها — هذا الرجل موطنه اليوم بالابدية سار اليها مثقلاً بالسنين مثقلاً بالاعمال ٠ شهد وهو على سرير الموت بكاء معاصريه عليه وسمع عن بعد تنهدات الذرية لانه لم يكن رجلاً فقط بل جيلاً بل عصراً كاملاً والثمانون التي عاشها ملأى من الاعمال تلك الاعمال تحييه للعصور الآتية لانها الحلقة الاولى لسلسلة جديدة

لهذا الميت العظيم لهذا الحي العظيم نجتمع اليوم في باحة هذا البناء الخيري رافعين تمثالاً ينطق بفضله و يقوم امام الخلف بواجب السلف فتبارك الذرية اباءها لانها حفظت لها رسم ابيها وهذه العادة حديثة العهد بيننا ولكنها قديمة في او ر با وهي من جملة الاعياد عند سكان تلك البلاد لانهم يعتبرون علماءهم وكبراءهم والمحسنين اليهم فلنكن كذلك ايها السادة ولنحيِّ الان باحترام هذا التمثال فصاحبه كان من علمائنا و كبرائنا والمحسنين الينا ٠ صاحب هذا التمثال يا قوم واحد من تلك الشرذمة الغريبة التي قامت في بيروت بانشاء المدارس وتأسيس الجمعيات ونشر العلوم يوم كان القطر في اشد الاحتياج الى المدارس والجمعيات والعلوم يدلكم على

ذلك بيروت وما كانت عليه في صدر هذه المئة: كانت الاوهام راسخة في الاذهان والعقائد الفاسدة مستحكمة من العقول كان العلم منحصراً بالافراد ومؤلفاته الحديثة غريبة عنا كنا لا نعي مباحث العصر الحاضر ولا نتبع حركة العلم في الاقطار الغربية حينئذٍ ظهرت يا كرنيليوس كالبدر في السماء واوصلت اشعتك الثاقبة الى عقول معاصريك ونقشت في صدور فتيان تلك الايام الذين هم رجال الحاضر وشيوخ المستقبل مبادىء جديدة أعدت الضمير لخدمة الحقيقة والفكر لخدمة الضمير

فلتبارك الى الابد ايها الرجل العظيم

ايها السادة

ان من كان مثل ڤانديك فهو من اعظم الابطال لانه جاهد في اعظم الحروب حرب الصحة والمرض حرب الخمول والجد حرب الجهل والمعرفة وماذا كان سلاحه ؟ نفس كبيرة وقصبة صغيرة· بنفسه الكبيرة اقام بين الضعفاء يداويهم و يسهر عليهم والمساكين يعزيهم و يحسن اليهم و بريشته الصغيرة بعث في الارض تلك المؤلفات تنشر المبادىء الصحيحة والآداب السامية· درس لغة البلاد ليخلص الخدمة للبلاد ودفع غيره الى الكتابة واعان سواه على التآليف فكان طبيباً من اصدق الاطباء مؤلفاً من

امهر المؤلفين محسناً من اكرم المحسنين فالتمثال الذي يقيمه المستشفى لا ينطق فقط باحسانه اليه وتطبيبه فيه ومساعدته في بنائه بل يشهد ايضاً ان كرنيليوس ڤانديك حياة تملاءُ سوريا بل الشرق بما فيها من جليل الخدم وجميل المآثر

ايها السادة فلنحيِ هذا الاسم

ولنشكر من بسيعهم اقيم هذا الاثر اريد بذلك اصحاب الغيرة اعضاء جمعية المستشفى ورئيسها الوجيه المقدام نخلة آل بسترس الذي تقدم المستشفى بايامه تقدماً سريعاً كبيراً فبلغ عدد المرضى زهاء الاربعين بعد ان كان فيه اثنا عشر سريراً

والآن وقد اتيح لي الكلام ايها السادة فلا عذر ان سكت فيا اطباءنا ويا اغنياءنا ويا اصحاب العمل فينا هكذا تكون امام الجموع حياة الافراد فانما قيمة الانسان ما يحسنه ولقد خفيت هذه الحقيقة حيناً تحت حجاب المدح والتمليق اما الان فقد استقل الفكر في حكمه فلا يكرم بعد اليوم الا العمل الكريم . لا تستصغروا الخبر فالمسألة انتهى حلها وقضى الامر في ضمير البشر فاذا لم يترك التمليق اليوم يترك غداً وحينئذٍ متى سكت صوت المملقين سمع صوت الضمير ومتى سمع الانسان صوت ضميره ذكر ان عليه من الواجبات مثل ما له من الحقوق وان الناس بالناس والدنيا مكافأة

متى سمع صوت الضمير سمع انين المرضى من خلال هاته الجدران الصامتة يدعو الانسان الى الرحمة لان المريض المسكين يا سادتي اخونا في البشرية ومن واجبات الاخاء الاحسان اليه فاحرى بنا ان نتمثل بصاحب هذا التمثال واولى بنا ان ننهض الى مساعدة جمعية مساعدة المرضى بل ان نفتخر نحن الوطنيون بهذا المستشفى لانـه الوطني الوحيد وليس له من مصادر الثروة وموارد الرزق غير ما يجود به المحسنون اي انتم يا ابناء الوطن . ولقد سرنا والحمـد لله تكاثر المحسنين ورأينا للبعض منهم في هذه الايام الاخيرة نهضة جديدة قاموا بها الى تجديد معاهد العلم وترقية الجمعيات الخيرية والادبية ومساعدة المرضى والفقراء فنظروا اليهم نظرة محب مخلص ولسوف يوطيء لهم مهاد الشهرة والمجـد الحقيقي بل سوف تنقشع باعمالهم ان شاء الله غيمة الافق عن نور جديد يخرق اعماق الصدور واعماق العصور فتنطبع به صورهم في الاذهان واسماؤهم في تاريخ الاحسان نور جديد يستمد بهاءه من هلال من تحت راية هلاله نسير و بحمايته نستجير سلطاننا المعظم عبد الحميد خان ايده الله

كلمة اخيرة

قليل هم الرجال العظام ولكن قلما وجد كل لوحده ولم يكن في زمانه اخر عظيم كذا فنديك لم يكن منفرداً بالعمل وتاريخ النهضة

العلمية في الشرق والكتب المحفوظة في خزائننا والاخبار السائرة على السنتنا تحفظ لنا اسماء غيره من المحسنين بعلمهم وعملهم ونحن باحتفالنا باسم واحد منهم نحتفل باسمهم جميعاً لانهم سواء في الخدمة العامة شرع في الحقوق نخليق بنا التنويه بذكرهم في هذا الموقف ليعلم الناس اننا لا نبخس حق العلم وآله والفضل ورجاله وان تفرقت الاديان وتباينت المذاهب وان الزمن وان طال والمسافة وان امتدت لهما اقصر من ان ينسيانا جميل المحسن بعلمه والمحسن بطبه والمحسن بماله · وكما يمثل لنا هذا التمثال شخص فانديك فهو يمثل لنا عصر فانديك وعصر فانديك يمثل لنا تلك الاشباح العظيمة التي رافقته في الوجود وشاركته في الجهاد وهي الآن مثله ارواح بدلت اجنحتها المنظورة باجنحة لا تنظر ولا تزال الى الابد ترف في سماء هذه البلاد · انتهى

﴿ وقال جناب الخطيب المصقع والكاتب الفاضل الشيخ ﴾
﴿ اسكندر افندي العازار ﴾

حضرة السادة

تعلمنا في هذه البلاد ان نبكي على القبور ولكنا لم نتعود ان

نتكلم امام تمثال فاقل فضل لهذه الجمعية علينا انها وضعت اول تمثال لرجل من اعظم الرجال وانطقتنا لديه اول مرَّة

ويُظنّ لاول وهلة ان هذا الرجل العظيم يقتضي ان يتكلم عنه خطيبٌ كشيشرون وديموستين او جون بريت وغلادستون لتأديته حقه والحال على خلاف ذلك فانه هو بذاته وصفاته يسهل لاحدث الولدان حتى الرضعان ان يؤدوا وصفاً ومدحاً وشكراً اذا عرفوه وعرفوا ذاته وصفاته وما احدٌ منا يجهل هذه الذات الطائرة الشهرة في مغارب الارض ومشارقها وكان يكفينا جميعاً الوقوف صامتين متأملين بهيئة تمثاله وكان الاليق بي الاكتفاء ببلاغة حضرة من تقدمني ولكن رأيت الاقرار بالفضل فرضاً وفي تكرار تعداد صفات هذا الرجل درساً مفيداً ونفعاً كبيراً

يا سادة « قلَّ الذين اشتهروا في الارض بعلوم كثيرة شتى والعائشون اليوم من هؤلاء افراد معدودون كان رجلنا واحداً منهم تشهد لهُ بذلك الشهرة التي حازها بين علماء الارض · درس اللغويات فحفظ واتقن عشر لغاتٍ خمساً قديمة وخمساً حديثة تشهد له بذلك ترجمة التوراة · عرف الرياضيات وألَّف فيها وعلم الهيئة والجغرافية والكيمياء وألَّف فيها والطب والف فيه وفاق في جميع مؤلفاته وعلمهِ وعملهِ حتى صار اكثر من ثلاثة ارباع الاطباء

السور بين تلامذته المنتفعين بعلمه

وقلّ ان يحوي انسانٌ صفاتٍ طيبة ويخلو من عيب ورجلنا كان يُعاب ولكن بماذا؟ بانهُ لحسن طويتهِ كان يقوى عليه دهاء الماكرين

كان مجلَى الاتضاع والوداعة والاخلاص وصفاء النية وحرية الضمير وحب الانصاف حتى انه كان يظلم نفسه في انصاف غيره وكان يتفانى حتى يؤثر مصلحة غيره على مصلحته. عالي الهمة عجيب السرعة في انجاز الاعمال وغريب في الصبر على المشاق

ومن تُرى يعرف اتعابه في تعليم الشبان وانشاء المدارس وتأسيس الجمعيات والوعظ ومعالجة المرضى وتخفيف الويلات ولا يعرف بانها تشغل اوقات كثير من الرجال وتصعب على كثيرين منهم لو قسمت عليهم. ومع كل ذلك كان ابعد الناس عن ذكر شيء تشم منه رائحة المدح لنفسه. واني اوكد لكم انه لو كان الآن بيننا ما استطعنا قط ان نفوه بكلمة وصفٍ او حرف مدحٍ. كان مثال الهمة والجد والقناعة فبعد ان كان في صبوته لا يملك كتاباً صار من اعظم رجال التأليف. واعظم نعمة انعم الله بها على الشرق ومات غير مخلف سوى مؤلفاته والحمد والثناء»

كان من ابش خلق الله وجهاً والطفهم معشراً واكثرهم انساً

كلامهُ مثل الندى النازل على حرمون

وان يقم في شيوخ يوم مشكلةٍ   تجدهُ نصلاً لهُ في الامرِ حدانِ
تجدهُ شيخاً وقوراً كالذين ترى   آثارهم عند يونانٍ ورومانِ

اما حبه لسوريا فحسبنا ان نقول فيه انه تقيد مختاراً بخدمتها نصف قرن وزيادة وانتشر فضله فيها انتشار الارز في هضاب لبنان ايام حيرام وسليمان . احب سورية حتى اقتبس عوائدها وتزيا بزي اهلها زمناً طويلاً ولما ان اصابه مرض وهو في اميركا يعمل صفائح الكتاب المقدس لابناء سورية اسرع بالعودة حالاً لخوفهِ ان يموت في غير سورية

ومما لا بأس ان يحكى دلالةً على حبهِ هذه البلاد اني استشرته مرة في امرٍ فقال لي اما انا فأُريد ان اعيش واموت في سورية واما انت فعش بغير سوريةٍ وتعال ومت فيها مع ابيك وجدك . وقال لي مرة اني مسرور جداً باجتهاد السيدة املي سرسق ووضعت اسمها مع شهيرات السيدات الفاضلات الاميركيات ويا ليتها كانت تزور شيخوختي كثيراً لعلها تجدد همتي فاعلم في مدرسة الاحسان البنات السوريات ما هو احسن الموضات وكيف يصرن زوجات وامهات صالحات وممرضات فاضلات[1]

(١) قد حصل في تلك المدرسة ما تمناهُ المرحوم من الاعتناء

وروى لي الدكتور ورتبات انه ليلة وفاته استدعي اليه ليقنعه بان يأكل شيئاً لانه ابى كل طعام فقال له الدكتور يا حكيم ضروري ان تشرب ولو قليلاً من الحليب والمرق لتقدر ان تعيش فاجابه شبعت من الحياة ولا اريد ان اعيش بعد فان بقيت عليَّ خدمة للبلاد كملها انت . وكانت هذه الجملة اخر ما سمعه الدكتور ورتبات من هذا الرسول الاميركاني

فكيف لا يقوم اهل الفضل وعارفوا الجميل من هذه الجمعية ينشئون بينهم اثراً له يذكرهُ الناس (وما هم ناسون فضله) وهو الذي كان موازر الجمعية ومناصرها ومرشد مستشفاها والمتصدق اليها .

فحبذا هم ونعم ما فعلوا . ان هذا التمثال جمع فضيلتين لم تفترقا صنع الجميل ومعرفة الجميل

فعسى هذا الاثر ينهض مروءة البلاد عموماً لاقامة تمثال اخر يراهُ جميع المارة في الحديقة الكائنة بين مطبعة الاميركان التي خدم البلاد فيها اياماً وشهوراً وبين كيسة الاميركان التي كان على منبرها منذراً وبشيرا حتي كلما دقت ساعة الاميركان تجدد

في تدريس البنات قوانين حفظ الصحة وفن التمريض عن يد تليذ المرحوم فنديك جامع هذا الكتاب

بيروت دعاء الرحمة على من كان فيها

« زيتونةً شرقيةً غربيةً نفاعةً ابدًا تدر زيوتا »

يا سادة

هذا مثال ڤانديك وهذه صورته البدنية ومن عادة الصور انها كلما دنوت منها زالت محاسنها اما رجلنا فان صورته المعنوية هي كما كتبتها بلسان هذه الجمعية منذ اربع عشرة سنة · انه على رغم الشيخوخة كان يوجد هنا في مخدع التطبيب والمرضى شاخصون اليه شخوص الملسوعين في البرية الى موسى والحية النحاسية . هذا يستنيله غليلاً وذاك يسأله الدواء عجولا · وذلك يرجوه الشفاء عليلا · وهو يحبو هذا بالعطاء وذاك بالدواء وذلك بكلمة اشفى من دواء

والجمعية وان تكن لا تزيد الناس علمًا به تجني اذا لم تعترف علنيًا في هذا العرض « انه لا تفتح في الصبح عيناه الا على لائذٍ بجنابه ولا تسير في النهار قدماه الا الى معونة اعزائه واصحابه · ولا يغلق في المساء بابه الا على منصرفٍ مرتضٍ واقف في بابه · ولا ياوي في ليلته غرفته الأ لينكب على مكتوباته وكتابه — حياة امتلأت بطاعة الحداثة ونشاط الصبا ومروءة الفتوة واقدام الشباب ومقدرة الكهولة وحكمة الشيخوخة » — وهي في كل ادوارها ذكاء وفطنة ودروس ومعرفة وعلم وعمل واستفادة وافادة · وحب

للقريب وخدمة للانسانية .

اي والحق يا سادة اقول ولا اخاف ضداً ولا رداً ان الارض لم يطأها الاَّ قليل ولم تنطبق الا على قليل مثله فما احقنا بالتأسف لفراقهِ وما اجدرنا بالترحم عليه وما اولانا بتكريم ذكره تكريماً يقرب من العبادة

فيا كرنيليوس فانديك

لما قضيت تركتَ الناس آسفةً من مسلمٍ ويهودي ونصراني
هم يذكرونك بالخير الذي فعلت يداك والذكر مقرونٌ بشكرانِ
ونحن والاهل والاصحاب قاطبةً ومن تفيأَ بظلٍ منك ورفانِ
نسقي بادمعنا ترباً وضعت بهِ يا ارزةً زُرعت في سفح لبنانِ

الرضوان والسلام عليك يا كرنيليوس فانديك

﴿ وقال جناب البارع الدكتور اسبيردون افندي ابي الروس ﴾

يا سادة

في خريف عام ١٨٩٥ اي منذ ثلاثة اعوام ونيف وَبئت بيروت بوافدة حمى تيفوئيدية خبيثة انتقلت اليها بماء الشرب ففشت في احيائها وسرت بين اهاليها سريان النار في الهشيم فاختطفت الأحداث وحصدت الشبان وجرفت الكهول والشيوخ

وأثكلت الوالدين وأيمت الأزواج ولم ترحم دمعة ولا أوت لحزين

الاَّ انها امتازت بحادث خطيرٍ في تاريخ هذه المدينة وهو انها في صباح اليوم الثالث عشر من شهر تشرين الثاني من العام نفسه اقتحمت دار رأس بيروت فأجهزت فيها وهو في الشهر الثالث من السنة الثامنة والسبعين من عمره على الشيخ والكاهن والمبشر والفيلسوف والمؤلف والطبيب والمحسن والفاضل والانسانيّ العظيم باستور سوريا الدكتور كرنيليوس ڤان ديك الذي تحتفل اليوم جمعية مساعدة المرضى الارثوذكسية بتدشين تمثاله المنصوب في باحة مستشفاها فمضى لسبيله مشيعاً بتنهدات السوريين مكفناً بدموعهم مدفوناً في قلوبهم : في قبورٍ حية تصون رسمه وذكره من البلى والفساد

ولو كان فقيدنا يا سادة نظير اغلب فضلاء الانسانيّة وعظمائها الذين لم ينالوا نصيبهم من تكريم قومهم واحترامهم لهم الاَّ عقيب وفاتهم لقلت كما قال شيخ شعراء القرن التاسع عشر

ينسى الفتى في عمرهِ حتى اذا　　　مات فيُعطَى حقَّه تحت الثرى

ولكنهُ عاش بيننا رفيع المنزلة محفوظ المقام معترفاً بفضله محنيةً له رؤوس السوريين الذين اختار النزول بينهم وغادر

بلاده لأجلهم . بلادهُ التي تكوَّنت عظامهُ من ترابها. نعم عرف السوريون قدر حياتهِ الثمينة : جنوا ثمرة اتعابه وأعماله بينهم . شاهدوا فضائله ماثلة تكاد تلمسها الأيدي لظهورها. شفَّت لهم نفسه الطاهرة منزَّهةً عن مدانس الامور ومعائب الاغراض . عاينوا منه كل ذلك فالتقوا على اجلاله وتعظيمه وتوافقوا على حبه وتكريمه فهو

ان يدفنوه في الثرى أو يرفعوا نصباً يخيم فوقه الإجلالُ
فله بقاع القلب ابقى مدفنٍ وبكل جارحةٍ له تمثالُ

يا سادة

لستُ هنا لأسرد الحوادث وأُقيم الادلة على احترام سوريا باسرها لذلك الشيخ المتهدِّم الذي يحسن بنا ان نسميه الوطني الغريب او الاميركي السوريّ : ولا لأُفيض في بيان الشكر الذي قابلَت به فضله حياً وميتاً اذ لو فعلت للبثتم واقفين الساعات الطوال تسمعون ولا تفرغون ولكنني اكتفي واردكم الى ذلك الاحتفال العظيم الذي عيَّد به الشرق السوري عصبة واحدة على اختلاف الجنس والملة واللغة في دار الفقيد براس بيروت في اليوم الثاني من شهر نيسان عام ١٨٩٠ ابتهاجاً باجتيازهِ الخمسين عاماً في خدمة الديار السورية . واذكر لكم من باب الاشارة فقط

هدايا الاحترام التي عرضت بين يديه وتهانيء الوفود والخطباء والشعراء التي طرحت على اقدامه في تلك الاونة السعيدة . واراجع معكم على سبيل التذكر مأتمه المؤلم الذي ناحت فيه على الفقيد جرائد سوريا ومصر وندب عنده تعاسة الوطن مريدوه العارفون بقيمة حياته وتلاميذه المنتشرون على وجه الارض . لأن فان ديك يا سادة كان من النوابغ المعدودين في التاريخ الذين تتمخض بهم الطبيعة قروناً كاملة قبل ان تلقيهم الى حضن البشرية

هكذا وبهذا الموكب من المهابة والحب بعد ان مرَّ على عيده الخمسيني ست سنوات وبعد ان كرَّس لخدمة وطننا السوري اكثر من نصف قرن : ستة وخمسين عاماً لم يزدد فيها الاَّ اجتهاداً ونشاطاً في التأليف والتعليم والتطبيب في المستشفيات والاحسان الى الفقراء حتى كأنه تقمص عمراً جديداً أو كأن جثمانه تشبَّث بالخلود وتعاصى على الفناء . اجل بعد ذلك كله قبض الى رحمة مولاه ودفن بصورة خالية من الزخرف والزينة وعملاً بوصيته لزم الجمهور الصمت حول قبره فما ناح فوقه شاعر ولا ابنه خطيب

امــا الان فما عليَّ من حرج اذا تكلمت امام تمثاله المقدس لاسيا وموقفي إزاءه غير موقف الندب والرثاء لاني اعتقد ان شيخاً نظيره مات شبعاناً من السنين وخلف بنين افاضل واورثنا كنوزاً

خالدة من فضله ومآثره لا يليقُ بنا ان نبكي عليه بل البكاء احق بالقصير الاجل الخامل الذكر المعدوم الحسنات الذي لم تفسح له مسافة العمر بتأدية الواجبات المطالب بها

وكأني بروح والدي رحمة الله عليه تباركني من العلاء وكأني بها تحرك لساني وتوحي الى ضميري وجناني وذلك لانه كان مقرباً من فقيدنا محبوباً منه وقد لامسه اياماً طويلة وتبرك بالتفاته وعنايته وزيارته له على فراش موته · وعليه احتسب نفسي سعيداً ان تمكنت من وفاء بعض حقوقه الخصوصية عليَّ في معرض بيان حقوقه على عموم السوريين

اما هذا التمثال الذي دعتنا اليوم جمعية المستشفى للاحتفال معها بكشف الستار عنه فقد احسنت عملاً بنصبه في باحته ولا يسعنا مقابلة صنيعها الا بالشكر والثناء لانه يدل دلالة محسوسة على شرف مبداها وحفظها للجميل وحرصها على اثار اول وآخر محسنٍ اليها · بيد اني اظن ان الغاية من نصبه ينبغي ان تكون اشرف واسمى من مجرد حفظ الأثر وعرفان الجميل · نعم يجب ان يكون ڤان ديك الممثل في هذا الحجر المحفور قدوة لنا مثالاً صالحاً كڤان ديك حينما كان في قيد الحياة · ان ڤان ديك كان كل شيء ولكنه كان طبيباً ومحسناً قبل كل شيء فأحرِ بتمثاله ان يكون

حاًّ ومحركاً لكل طبيب ولكل غني بعده على ان يقتدي به ويتصف بصفاته · ويا ما احوج اطباءنا واغنياءنا الى قدوة فاضلة يتشبهون بها ويعملون اعمالها !

كان فان ديك طبيباً عالماً وعاملا معاً يواسي الفقير كما يعالج الغني · يعتني بالضعيف كما يهتم بالقوي ينفق بلا حساب وبحياة ضمير نادرة المثال بحار معارفه الزاخرة تلطيفاً للآلام وتخفيفاً من ويلات المرضى · يصف العلاج اعتماداً على اختباره وتجاربه ليس بقصد الطنطنة ونيل الشهرة الكاذبة بل بغاية النفع الذي هو موضوع الصناعة الطبية وجملة القول انه كان يستخدم الطب لا ليقال عنه انه طبيب بل ليكون طبيباً بالحقيقة والفعل عالماً ثقل المسؤولية الملقاة على عاتقه وثمن الارواح المسلمة اليه

هكذا كان الطبيب اما المحسن فان لساني لتأخذه الحبسة عند الكلام عليه · ان بيروت برمتها وفقراءها ومستشفياتها وخصوصاً هذا المستشفى الذي كان حقيراً في حداثته فأصبح ببركة الفقيد شيئاً مذكوراً قد سجلت في صدورها ودفاترها وجدرانها برّه واحسانه وكرمه الصافي من كدر المنّ · ان الاغنياء يعترفون معي وقبلي انه على نزارة دخله المالي لم يقصر عنهم بذلاً ونهوضاً للفقير المسكين ويسمحون لي في الختام ان اضع اسم فان ديك

الاميركي العظيم في رأس اسامي المتفضلين على الشعب السوريّ بل ان اسميه بالحرف المحسن الى سوريا كما يسمى باستور الذي توفي قبله بشهر ونصف شهر المحسن الى الجنس البشري

وقال حضرة البارع الدكتور نجيب افندي بتلوني

نبدي اثنا للسادة الكرماء بلسان مرضانا ذوي البأساء
الصارفين زمانهم للجد في السعي الحميد وبذل كل عناء
والجاعلين لكل داء فضلهم ونداهم المشهور خير دواء
حنوا الى شكوى عليلٍ بائسٍ ابداً يئن من الاسى والداء
متوقعٍ واهي القوى متجعٍ يمسي ويصبح في اشد بلاء
من يقرض المسكين يقرض ربه قال الكتاب الصادق الانباء
من ذلك المسكين الا المبتلي العاري الذي يحيى بقطرة ماء
فالمحسنون لهم مع الفخر الجزا وجزاؤهم بالله خير جزاء
مثل الافاضل من بنوا هذا المقام الرحب عن جودٍ وعن آلاء
لهم الايادي البيض سوّد ذكرها في الارض بل في القبة الزرقاء
أجرٌ عظيم قد اعدّ لصنعهم ونوال فخر واكتساب علاء
كم قد اغاثوا بائساً متلطفاً ولكم اعانوه لدفع وباء
هذا مثال امامهم فانديك من باتت فوائدهُ هدى العلماء

كم عازرًا في طبه احيى وكم | احيت فقيرًا كفه بعطاء
هوذا الجماد بدا يمثل شخصه | ابدًا يُقيمُ الميت في الاحياء
وبه الاطبا الفاضلون تشبهوا | لما اعتنوا في خدمة الفقراء
قد كرسوا للخير اثمن وقتهم | فلهم من المرضى ارق ثناء
كم عالجوا مرضى فنالوا برأهم | ولكم دواؤهم اتى بشفاء
يا رب صن جمعيةً خيريةً | ورئيسها مع سائر الاعضاء
انعم بها جمعيةً بل اسرةً | بالخير قوت اسرة الضعفاء
هم صاحبوا الاجر العظيم وناشروا | الفضل العميم ذوو اليد البيضاء
لهم على المسكين ايةُ غيرةٍ | نشرت شذا الشكران في الارجاء
يا رب ايدهم وزدهم نعمةً | واحفظ بنيهم من اذى الاعداء
بشفاعة القديس جاورجيوس | البطل المظفر اشفع الشفعاء

✵ وقال جناب النطاسي الدكتور اسعد افندي العفيش ✵

النفس خالدة وليست فانيه | والمرء يذهب والمآثر باقيه
وفقيدنا افنديك حي في الورى | بفضائل مثل الزنابق زاهيه
قد كان قدوة غيرة بحياته | ومثال خير في المساعي العاليه
ولذاك حقٌ ان نخلد ذكره | وعلاه حتى الحياة الثانيه
ونقيم فيما بيننا تمثاله | كامام علم فيلسوف راويه

فيفيدنا النصب المشاكل قدوة ... وترى العزائم للعلا متفانيه
نقشاً على حجر نسطر فضله ... فسطوره في النقش ليست خافيه
ونجله وهو المنار بوضعه ... فوق المنارة كي يفيء علانيه

ايها السادة

هي النفوس الابية تقتحم المعالي ولو كان دونها خرط القتاد والهمم العلية تضحي المرتخص والغالي لنفع المجتمع الانساني على مذابح الجهاد

وهو الفخر يكتب بماء التبر في جبين الدهر ان خير الناس من نفع الناس وهو حسن الاحدوثة يحيي ابدًا من كان ذا قدم تسعى الى الخير ويد تمد للاحسان . وهو التاريخ يحفظ للمرء في بطونه اثرًا حميدًا يؤبد اجيالاً وذكرًا مجيدًا يردد دهورًا طوالا . لا بل هو الطبيب بعث من المطلع القبري بصورة التمثال فعلمنا كيف يحيا الذكر ويبقى الأثر وكيف تخلد المآثر خلود النفوس

طبيبنا ايها السادة ولا ازيدكم به علماً ووصفاً وخبرا كان اجنبي النزعة شرقي المشرب عزيز النفس طاهر السريرة . كان طلق المحيا دمث الاخلاق قوي الحجة سديد البرهان وقورا . كان عطوفاً على المسكين رفيقاً بالبائسين هدى للطالبين

نصب نفسه حباً مثال الجد في خدمة الاقطار السورية فحق

لهذ المستشفى ان ينصبه اليوم ميتاً انموذجاً للعلم والحنان والأريحية خدم المستشفى بهمة ونشاط كسائر اطبائه المخلصين الذين اشتروا الخير بالخير فربحت تجارتهم وعد لهم في الآخرة خير نصيب . وربما فاقه بعضهم تعباً وكداً ولكن الفضل من لدن الله يؤتيه من يشاء من عباده المخلصين . وهنا امسك النفس خوف التهور الى ما لا تحمد عقباه عند السامعين فأكون لاسمح الله لفضل الاستاذ من الجاحدين . ومعاذ الله ان أجحد فضل من وقف نفسه في الاقطار السورية حباً بصالح الانسانية وكان للبائسين خير معين . ولكن هو الحق كما قيل اذا سطع نوره لم يحجب بالاكف ولم يطفأ بافواه النافخين

اقول ان فضائل الاستاذ عموميه ومآثره اوليه فهو اول زارع للعلوم العاليه التعليميه حتى بسقت منها الفروع وذكت الثمار وهذا النصب الماثل امامنا لا ينطق بفضل الاستاذ على هذا المعهد الطبي فقط بل يشهد له بالفضل العمومي في نهضتنا العلمية التي نؤرخها به منذ حل بلادنا . فهو امامها ومذكي نارها ومطلع صبحها ومعلي منارها . ذلك ايها القوم هو الطبيب الذي نرفع اليوم نصبه ونسعى باكرامه وهو اول نصب اقيم في ديارنا اقراراً بالفضل وتخليداً لذويه وهو كفيل بتخليد اسم فنديك في صحائف المجد بين كبار

العلماء والفضلاء الى ما شاء الله . رحمه الله ما تتابعت السنون . وأدام ذكراه قدوة ومثالاً لقوم يبصرون

وقال جناب الشاعر الاديب وليم افندي غرزوزي

حضرة رئيس واعضاء جمعية المستشفى

ان ما افتتح القول به ... حفظ الله امير المؤمنين
ورعاه مثلما يرعى رعيته ... م فادعوا له في كل حين
يا سراة الفضل بل يا عمدة ... م الخير بل يا نصراء البائسين
شدتم جمعية قد خففت ... بمساعيكم مصاب المعوزين
ووقفتم للورى أنفسكم ... فغدوتم في الأسى خير معين
ولعمري انها مأثرة ... اكسبتكم شكر كل العالمين
خلدت بين الملا فضلاً لكم ... ليس يمحو ذكره مر السنين
فتهنوا فلكم اجراً وكو ... م نوا باحراز المنى مستبشرين
وكتاب الحق يدعو قائلاً ... لا يضيع الله اجر المحسنين

ايها السادة

ان جامعة عرفان الجميل التي جمعتنا اليوم لهي انطق دليل على ما تكنه افئدتنا . والغاية النبيلة التي لاجلها ضمنا هذا المحفل الحافل لهي الغاية التي يجب على كل منا ان يصوب اليها انظاره اذ ليس

فضل اعظم للمرء او اية امنية احب اليه من ان يتحدث الناس بذكره في حياته و بعد مماته · على انه لما كان الانسان بالطبع نزوعاً الى العلاء مفطوراً على حب التقدم والارتقاء · وكانت هذه المطالب السامية لا تحصل الا لمن وقف في سبيلها العمر · كان لا بد له من سلم يصعد عليها لبلوغ تلك الاماني قاعدتها استقامة المبادىء ودرجاتها الفضائل واهم هذه الدرجات الاحسان · فالاحسان اذاً هو انجع الذرائع التي ترقي الانسان في مراقي الكمال وتبلغه ذروة المجد ولست اقصد بقولي الاحسان نقطة مفروضة بل الاحسان من جميع وجوهه واعني بذلك الاحسان بالمال والاحسان بالعلم والاحسان بخدمة الانسانية · ومن المعلوم ايها السادة ان موقفنا اليوم هو موقف المعترف بحسن الصنيع المقر بما عليه من الجميل فلا بدع اذا جاهرنا بفضل من بدأ بالفضل فكان الفضل للبادىء

عرفوا مقامك بينهم　　والفضل يعرفه ذووه

مات قنديك ولم تمت مبراته واعماله · مات قنديك ولكنه لم يزل حياً في قلوب انصار الانسانية · تمثله حسناته للابصار في سماء الفضل كوكباً منيراً · فيا نصراء الانسانية قوموا بنصرة الانسانية فالوقت سمحٌ والمجال فسيح والدواعي كثيرة فماذا يضرنا لو اتخذنا سيرة الفقيد الكريم لنا مثالاً بل ما اولانا نحن الشرقيين بان ننهج

منهجه القويم وقد اقمنا لذكره تمثالا · هي الفضيلة فحبذا من رفع للفضيلة منارا وهي المروءة · ونعم الفتى اذا اتخذ المروءة شعارا · اجل

هنيئاً لمن يسعى بدنياه دائباً لخير الورى والخير يعقبه الشكرُ
وسقياً لمن قد عاش والفضل همه فيقضي ولا تقضي ما ثره الغرُ
كعلامة الشرق الفقيد الذي قضى فقال جميع الناس قد فدح الامرُ
واعني به فنديك من طار صيته على جانح التكريم ينقله الفخرُ
هو العالم الفرد الخضم فلو رعت مكانته الايام ما غاله الدهرُ
فيا من قضى بالعلم والخير عمره ويا من له من فوق قدر الورى قدرُ
اتدري بان العمر بعدك قد بكي ولم ندر قبل اليوم ان نحب العمرُ
سعيت لنفع الشرق فالشرق لم يزل يردد ذكر الفضل ما طلع البدرُ
ولا سيما جمعية قد خدمتها بما لا يفي في وصفه النثر والشعرُ
اقامت لك التمثال في وسط روضة لقد نبتت فيها الرياحين والزهرُ
وما هي الا رمز اعمالك التي نمت بمياه الفضل اغصانها الخضرُ
فنم في امان الله واعلم بانه سيسعدنا في حال غيبتك الذكرُ
تغمد مثواك الاله بعفوه ورواه قطر الغيث ان حبس القطرُ



﴿ وقال الشهم الاديب وديع افندي دباس ﴾

ان موضوع حضورنا الان في هذه الحفلة هو لاستثمار شجرة قد شربت ماءها من ينابيع آل الجود والفضل فنمت وعظمت حتى صارت مأوى لطيور السماء لا بل افضل من طيور السماء اذ ان طيور السماء لها اوكار تلجأ اليها واما ذاك المسكين فليس له مركز يضع عليه رأسه. ذاك هو المسكين الذي اهلكه الجوع والمرض ذاك هو المسكين الذي قضت عليه الشهور والاعوام ولم يرَ على جسده رداء يقيه من برد الشتاء القاسي المضنك. ذاك هو المسكين الذي لا يكتفي الدهر بتذليله ولا بمصائبه ونكباته بل اتاه بمرض عضال الذي اسقمهُ واهلكه. فاي قلب قاسي او اي جسد بلا دم لم يرق لحاله حينما يصرخ ويصيح ولا سامع ولا مجيب. لذلك دعا داعي الاتحاد والالفة وبالمحبة تم كل شي لجمعية مستشفى المرضى الارثوذكسية فدعتنا الان بصوت الاتحاد والالفة والمحبة لكي نقطف ثمار ما زرعته من احسان اهل الفضل والكرم ولا يتوهم الانسان بقوله من انا امام ذاك الغني الذي جمعت عنده الخيرات العظيمة حتى افيد جمعية كهذه نالت اسماً شهيراً. ايها الاخوة ان الدرهم الزهيد مقروناً بالاتحاد والالفة والمحبة يعمل اعمالاً عظيمة تكتب على صفحات التاريخ. فليجتهد كل منا ان يحفظ لاخرته

حظاً صالحاً ويقرض رباً كريماً اما ببذله الدرهم الزهيد او بخدمته نحو ذاك الفقيد المسكين وها امامنا المخلد الذكر المرحوم الدكتور كرنيليوس فانديك قد وضع تمثاله امامنا مثالاً نقتدي به وقطع طريقاً عظيمة شجعنا بالسلوك فيها. وها المرحوم يوسف سياج قد منح الجمعية مبلغاً وافراً صار للخير ركناً عظيماً وانتج نتائج مستطيلة دائمة. فالمروءة المروءة يا اصحاب النخوة والغيرة بحياة الاتحاد والالفة والمحبة فلنغث المسكين الذي اوشك ان يموت مغلولاً بسلاسل من الجوع والعرى والمرض ونهتف بصوت واحد فلتحيَ جمعية مستشفى المرضى الارثوذكسية. اجل وهو المستشفى الوطني الوحيد الذي آوى فقير الدهر غير مميز بين المذاهب والاديان من بني الاوطان فاحتمى فيه ذاك العليل الحزين وخرج منه معافى داعياً لحضرة رئيسه الفاضل ميشال افندي بسترس واعضائه الغيورين. كما ولحضرة اطبائه الذين خصصوا جزءاً من اوقاتهم لخدمته مجاناً وكل من خدم به واحسن اليه. وعلى كل حال نختم كلامنا بالدعاء لجلالة سيدنا ومولانا السلطان الاعظم فاننا تحت رايته عاملون وبظل امنه راتعون والسلام



﴿ وقال جناب الاستاذ البارع فارس افندي الخوري · ب · ع ﴾

من معلمي المدرسة الكلية في مناسبة نصب التمثال

طارت شعاعاً في البلاد له ... ايدٍ حسانٌ ما بها كدرُ
طارت فراح الكل يتبعها ... شكراً ولا فضل اذا شكروا
فعلى مديح فعالك اتفقوا ... وبنيل ما اوليتهم فخروا
اوليتهم نعماً فما كندوا ... حق الجميل ولا بها كفروا
جمعية بصنيعك اعترفت ... منها حظيت وفيك تفتخرُ
ادركت منها مطلباً حسناً ... ظفرتك فليهنأ لها الظفرُ
قامت مقام الشرق تظهر ما ... في كل قلب دونه خَمَرُ
اهداك ماء البحر مرفأنا ... درّاً وسفرك فيه ماشعروا
وفضلت ماهو منه منبعث ... دررٌ رجال جوهرُ مطرُ
نهلٌ ومن وردوه قد دهشوا ... بصفائه فعدوا وما صدروا
شمس ومذ بعثت اشعتها ... خفي النجوم الزهر والقمرُ
ذهب وليس يشوبه زغل ... ما فيه غش حين يختبرُ
لك بيننا الآثار خالدة ... آياتها بديارنا سورُ
بقيت على حين الحوادث لا ... تبقي على شيء ولا تذرُ
ان احبت الاموات مأثرة ... فلأنت من يحيا به الاثرُ
من بحرك الادباء قد غرفوا ... للراي ان قلوا وان كثروا

العلمية والادبية · وجمعوا بادارة احدهم الصيدلي القانوني مراد افندي البارودي مبلغاً كافياً واستحضروا من اوربا قطعتين بديعتي الصنع احداهما من الرخام وضعوها مسطحةً على القبر والاخرى من الحجر الاعبل قائمةً عليه كما ترى في الرسم

وعلى الاولى منقوش العبارات الآتية

ضريح

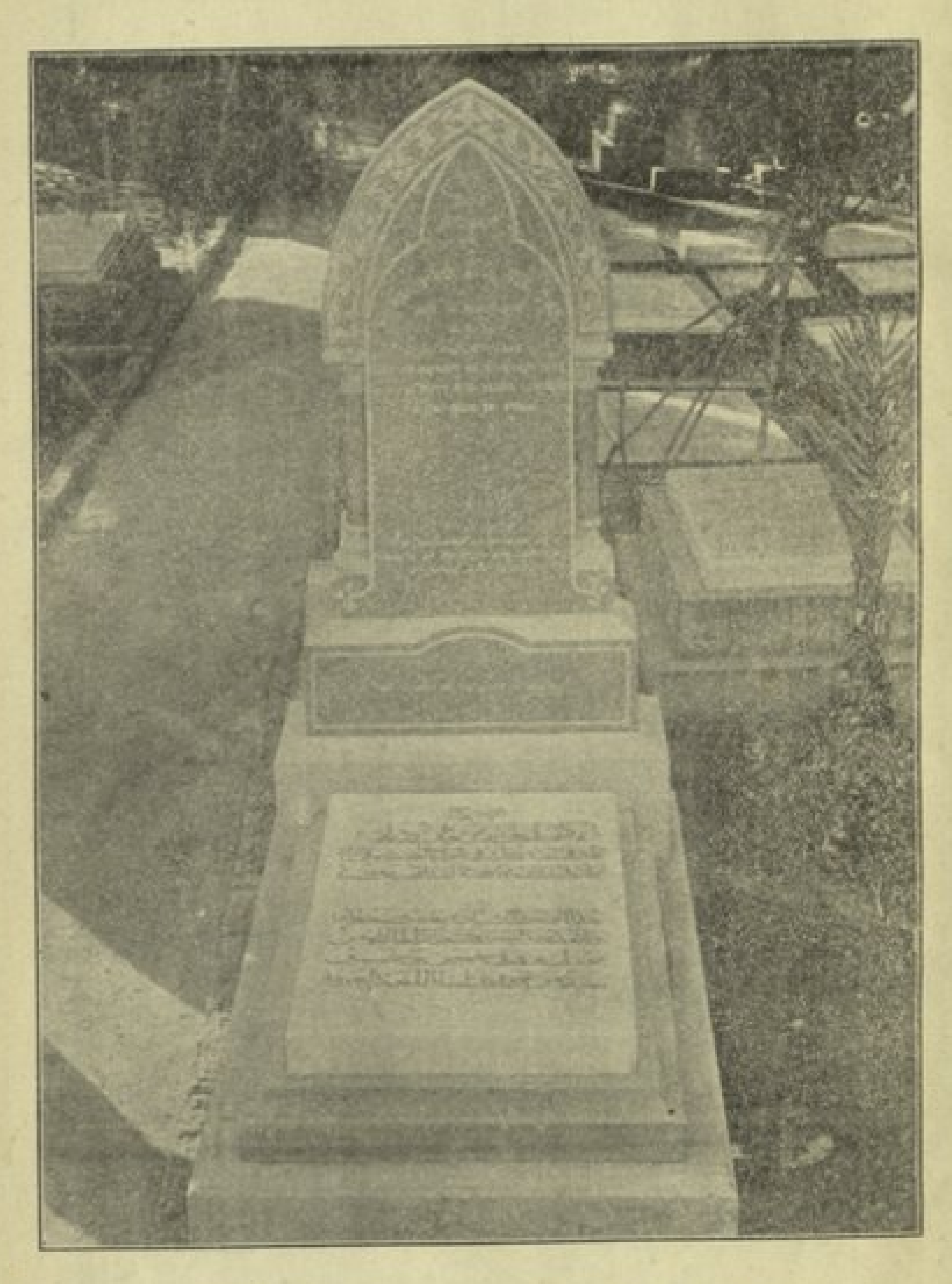
كرنيليوس ڤان ديك

ولد في كندهوك من الولايات المتحدة في ١٣ سنة ١٨١٨

توفي في بيروت في ١٣ تشرين الثاني سنة ١٨٩٥

هذا الضريح شادهُ بعض من خلانه وتلامذته السوريين ذكرًا لما اتاه من فضل وبرّ في خمس وخمسين سنة من عمره · بين ابناء اللغة العربية

وعلى الثانية منقوش بماء الذهب ترجمة العبارات المذكورة باللغة الانكليزية



النصبُ على قبرهِ في حديقة المطبعة الاميركية

﴿وقد ارسل الينا جناب الكاتب الاديب والشاعر﴾

﴿اللبيب ديمتري افندي القندلفت الدمشقي﴾

﴿مرثاة شجية اثناء وضع النصب المذكور﴾

﴿على قبره وهي﴾

الم يكف ما نلقاه في الزمن النكد فيسلب منا دهرنا كوكب الرشد
امثل عدو الموت ياموت تبتغي
وتأبى ذويك من خؤون ومن مردي
اتسلب من لولاه لم ندر ما الوفا وتبقي الاولى لم يدروا ما شيمة الود
أغرك من فنديك عقد لسانه
وقد كلت الايدي عن الطعن والقد
فماحل حتى فل منك عزيمة
واردى العدى من دون رمح ولا هندي
فلا تبتهج ياموت فيه غنيمة وقد خلف الابطال جيشاً بلا عد
كماة الوغى لو كان في الموت فدية فدوه ولكن ليس في الامر من بد
جهابذة في العلم اضحوا شموسنا لما اقتبسوا من ذلك العلم الفرد
أساةُ الضنى ما عاب طب شفائهم سوى انه بقراطَ ذا العصر لم يفد
وما ذاك من جهل الدواء وانما رأى في السما علماً فاسرع بالجد
وما سره منك اللقا غير انــه ناهُ الهناء فاستراح على الرغد

عليك سلام الله ما فاح ذكره   وما عطرت اسماؤه نفحة الرند

هذا ما امكن جمعه من خبر استاذنا المرحوم كرنيليوس فانديك ومراثيه · ويضيق بنا المقام عن استيعاب جميع ما كتب عنه في المجلات العلمية العربية كالمقتطف والهلال والطبيب والبيان والصفا التي بادارة تلامذته واللطائف والمنار والمحبة والنشرة وغيرها مما في مصر وبيروت · وما ذكرته الجرائد السياسية كحديقة الاخبار وثمرات الفنون ولسان الحال وبيروت والمصباح من جرائد الثغر · ولبنان والروضة والارز من جرائد لبنان · وطرابلس والشام من جرائد برّ الشام · والاهرام والمحروسة والفلاح والمقطم والرقيب وغيرها من جرائد القطر المصري · فانها كلها قد اجمعت على الاقرار بفضله والترحم عليه

﴿ مؤلفات كرنيليوس فانديك وتراجمه ﴾

(١) (كتاب في الاصول الهندسية) وهو مشتمل على كتب اقليدس الستة ومضافات في تربيع الدائرة وهندسة الاجسام واصول قياس المثلثات المستوية والكروية · صفحاته ٣١٢ طبع في مطبعة الاميركان في بيروت سنة ١٨٥٧ وطبع معظمه

ثانية في نفس المطبعة سنة ١٨٨٩

(٢) (اصول الايمان المسيحي) صفحاته ٨٠ طبع في بيروت سنة ١٨٥٧

(٣) (كتاب محيط الدائرة في علمي العروض والقافية) صفحاته ١٢٣ طبع في بيروت سنة ١٨٥٧

(٤) (ترجمة العهد الجديد) طبع ببيروت في ٢٩ اذار سنة ١٨٦٠

(٥) (ترجمة العهد القديم) طبع ببيروت في ١٠ اذار سنة ١٨٦٥

(٦) (النشرة الاسبوعية) اول طبعها ببيروت سنة ١٨٦٦

(٧) (رسالة في الجدري والحصبة) طبعت بنفقة المدرسة الكلية السورية الانجيلية في بيروت سنة ١٨٧٢

وفي مقدمتها قال « لما كانت هذه الرسالة قليلة الوجود استحسنت عمدة الادارة للمدرسة الكلية السورية الانجيلية طبعها حفظاً لها من الدثور · وامرت باضافة بعض الشروح اليها اصلاحاً للخطأ وايضاحاً لما قد يشكل على القرّاء · و بالله التوفيق »

وقد ضبط الكتاب على بعض النسخ المطبوعة في بلاد اوروبا وعلى نسخة في مكتبة الدوكية في المدينة البندقية ·

(٨) (كتاب في اللوغرذمات والانساب وفي مساحة المثلثات المستوية ومساحة السطوح الاجسام ومساحة الاراضي وسلك البحر والعبارات النسبية لمساحة المثلثات الكروية طبع . في بيروت سنة ١٨٧٣

(٩) اصول علم الهيئة (الفلك) صفحاته ٢٨٨ فيه مئات من الرسوم . طبع في بيروت سنة ١٨٧٤

(١٠) (رسالة الافتخار بالصليب) على قول الرسول غل ٦ : ١٤ صفحاتها ١٥ طبعت بنفقة جمعية شمس البر فرع جمعية اتحاد الشبان المسيحيين في بريطانيا سنة ١٨٧٤

(١١) (اصول التشخيص الطبيعي) صفحاته ١٢٨ طبع بنفقة المدرسة الكلية السورية الانجيلية في بيروت سنة ١٨٧٤

(١٢) (كتاب الروضة الزهرية في الاصول الجبرية) صفحاته ٢٦٤ طبع ثانيةً في بيروت سنة ١٨٧٧

(١٣) (اصول الباثولوجيا الداخلية) اي مبادىء الطب البشري النظري والعملي صفحاته ١٠٤٨ طبع في بيروت سنة ١٨٧٨

(١٤) (ترجمة تاريخ الاصلاح في القرن السادس عشر) للعلامة ميرل دوبينياه المجلد الاول صفحاته ٧٥٨ المجلد الثاني صفحاته ٧٠٠ طبع في بيروت سنة ١٨٧٨؛

(١٥) (السهم الطيار والفخ القرار) لتوقية الكروم من الثعالب الصغار صفحاته ١٢ طبع في المطبعة الامركية ١٨٨٢

(اراد بالثعالب العيوب كالحسد ومحبة المجد العالمي والافتخار بشرف الحسب والنسب او احتقار من نظنه دوننا والخساسة والاسراف وسوء الخلق وقساوة الطبع والمزح وكلام الهزل والكسل)

(١٦) (ترجمة قصة بيت شونبرج وكوتا) تأليف الخاتون مدام تشارلس . صفحاتها ٥٧٠ ترجمت من الانكليزية وطبعت بنفقة جمعية لندن لطبع الكراريس سنة ١٨٨٥

(١٧) (النقش في الحجر) الجزء الاول صفحاته ١٢٧ موضوعه الطبيعة والعلم ونواميس المادة طبع في المطبعة الادبية بالرخصة الرسمية من نظارة المعارف الجليلة في الاستانة العلية نمرو ٨٣٤ بتاريخ ١٠ ربيع اول سنة ٣٠٣ و١٨٨٦

(الجزء الثاني) صفحاته ١٤٦ موضوعه علم الكيمياء قدمه الى الشاب الذكي البارع سعادتلو السيد حسن ابن السيد عبد القادر ابن الحاج عبدالله بيهم . اعتبارًا لما بذله جنابه من الجهد والعناء في خدمة المعارف واذاعتها طبع في نفس المطبعة وبالرخصة ذاتها سنة ١٨٨٦

(الجزء الثالث) صفحاته ١٢٦ موضوعه الطبيعيات ونواميسها العامة طبع في المطبعة الادبية بالرخصة الرسمية نفسها

(الجزء الرابع) صفحاته ١٠٢ موضوعه الجغرافية الطبيعية طبع في المطبعة الادبية سنة ١٨٨٧

(الجزء الخامس) صفحاته ١٢٣ موضوعه الجيولوجية اي طبقات الصخور قدمه الى حضرة الشيخ الجليل العالم النحرير صاحب السماحة محمود افندي حمزة مفتي الانام في دمشق · تقدمة الاحترام لشخصه والمقام · طبع في المطبعة الادبية سنة ١٨٨٧

(الجزء السادس) صفحاته ١٢٤ في علم الهيئة يقرب الاقصى بلفظٍ موجزٍ. طبع في المطبعة الادبية سنة ١٨٨٨ قدمه الى حضرات الاجلاء عمدة مدرسة كفتين من اهالي طرابلس الفيحاء شكرًا على ما بذلوه من الجهد في تسهيل وسائل المعارف لابناء الوطن

(الجزء السابع) صفحاته ١٣٠ في علم النبات قدمه الى جريدة المقتطف الاغر وهو المجلة الاولى العلميـة العربية التي انشئت في العصر الحديث وان كثرت بعده الجرائـد العلمية فهو بسبقٍ حائزٌ تفضيلاً لان الفضل للمتقدم (طبع في المطبعة الادبية سنة ١٨٨٨

(الجزء الثامن) صفحاته ١٤٠ في علم المنطق طبع بالرخصة

نفسها في المطبعة المذكورة سنة ١٨٨٨

(١٨) (كتاب المرآة الوضية في الكرة الارضية)

صفحاته ٥٠٢ قدمه الى الشيخ الجليل ذي الفضل العالم العلامة الرياضي والطبيب النطاسي الدكتور ميخائيل مشاقه اقرارًا بفضله العميم لاشتراكه قلبًا وعملاً مع كل من خدم المعارف في البلاد الشرقية طبع في بيروت ثالثة سنة ١٨٨٦

(١٩) (كتاب ارواء الظماء من محاسن القبة الزرقاء).

صفحاته ٢٣٩ الفه سنة ١٨٨٨ وصدره بقول ابن حسن التاجي

انظر الى حسن تكوين السماء وقد لاحت كواكبها والليل ديجورُ

كانها خيمةٌ ليست على عمدٍ زرقاء قد رصعت فيها الدنانيرُ

طبع في مطبعة الاميركان في بيروت سنة ١٨٩٣

وما احلى قوله رحمه الله في ديباجته

«أين الشبان الاغنياء الذين يبنون لانفسهم مراصد لرصد الحوادث والظواهر الطبيعية ودرس مواقع الافلاك لذةً لانفسهم وافادةً لاصحابهم ونفعًا لجيلهم فضلاً عن اللذة الدائمة الشريفة التي كانوا يلتذون بها من قبل التأمل بغرائب الكون ومحاسنه. واين منه ذلك من الانكباب على الكولَ والنرد والشطرنج. واكل الطعام وشرب المدام ونطيط الرقص. الامور المعمية للعقول المضعفة للاجسام

المفسدة للاخلاق · ولله در القائل

سهري لتنقيح العلوم الذ لي | من وصل غانيةٍ وطيب عناقِ
وتمايلي طرباً لكل عويصة | في الذهن ابلغ من مدامة ساقي
وصرير اقلامي على صفحاتها | اشهى من الدوكاه والعشاقِ
والذ من نقر الفتاة لدفها | نقري لالقي الرمل عن اوراقي

(٢٠) (كتاب كشف الاباطيل في عبادة الصور والتماثيل) صفحاته ٤٦ طبع رابعة في بيروت سنة ١٨٨١

(٢١) (كتاب بزوغ النور على ابن حور) صفحاته ٥٠٠ وهو رواية عن عصر يسوع المسيح · تأليف صاحب السعادة ليو ولص سفير الولايات المتحدة الاميركية سابقاً لدى الدولة العثمانية ترجمه بتصرف في اواخر حياته وعند ما انجز ترجمته توفاه الله الى رحمته ثم بعد وفاته طبع في مطبعة المقتطف بمصر سنة ١٨٩٦

(٢٢) (كتاب طب العين) وفيه عشرات من الرسوم لم يطبع

(٢٣) (كتاب الباثولوجية المرضية) لم يطبع منه سوى بعض مقالات سمح لنا في حياته ان نثبتها في مجلتنا الطبية

(٢٤) (كتاب الباثولوجية العامة) لم يطبع

(٢٥) (تاريخ الاطباء) قد اثبت بعض نبذ منه في مجلة

المقتطف في سنيها الاولى

وقال رحمه الله في ديباجة كتاب مبادىء علم الميتورولوجيا اي الظواهر الجوية . تأليف الياس لومس الاستاذ في مدرسة يل الذي ترجمه الى العربية جناب العالم الفاضل الدكتور فارس افندي نمر . ب . ع . يوم كان معلماً في المدرسة الكلية السورية الانجيلية في بيروت ما نصه بالحرف

الى القارىء

لما كانت الظواهر الجوية واقعة تحت نظر جميع الناس من العال والدون ولما كان كثيرٌ منها قد اشغل عقول العلماء لغرابتها وعسر معرفة عللها واوهمت عقول البسطاء والسذج وافزعتهم بدون داعٍ ولا سبب ولم يكن في اللغة العربية كتابٌ في هذا الفن يوضح ما عرف من تلك الظواهر ويدل على كيفية رصدها وتقييد الرصد لكي تعين على التقدم الى معرفة ما لم يزل مجهولاً من جهة علل حوادث جوية كثيرة الوقوع . ولما رايت كتاب الاستاذ الدكتور الياس لومس من افضل ما تألف الى الان في هذا الفن كلفت الى ترجمته تلميذي ومعيني في المرصد الفلكي والمتيورولوجي المعلم فارس نمر . ب . ع . فاجاب طلبي وقد اكمل العمل على اتم المراد ثم اضفت الى كتاب الاستاذ لومس المشار اليه

بعض الامور التي لم يذكرها مقتبساً اياها من عدة رصود ومؤلفات في هذا الفن وذلك لاتمام الفائدة وتلك المضافات تعرف بكونها محصورة بين علامتين هكذا « » والمامول ان هذا المولف يرغب على الاقل بعضاً من اهل الشرق في اقتناء الآلات اللازمة لرصد الحوادث الجوية لعلهم يعينون على اكتشاف بعض مكنونات الطبيعة ومستوراتها و بذلك يفيدون انفسهم و ينفعون الآخرين وكان الفراغ من طبعه في ٥ تموز سنة ١٨٧٦ على نفقة المدرسة الكلية السورية الانجيلية

هذه آثاره العلمية والطبية والادبية واما اعماله واجراءاته ونكاته فلا تزال ولن تزال الى الآن ما يتحدث به الجم الغفير من السوريين والمصريين · رحمه الله ولم يحرمنا المقتدين به · والمقتفين اثره من الاولى يوقفون النفوس على خدمة البشرية · و يجهدون العقول في ترقية الشؤون الوطنية · و يشمرون السواعد لاعلاء منار العثمانية في ظل العلم المنيف والعرش الشريف · آمين

(انتهى)